

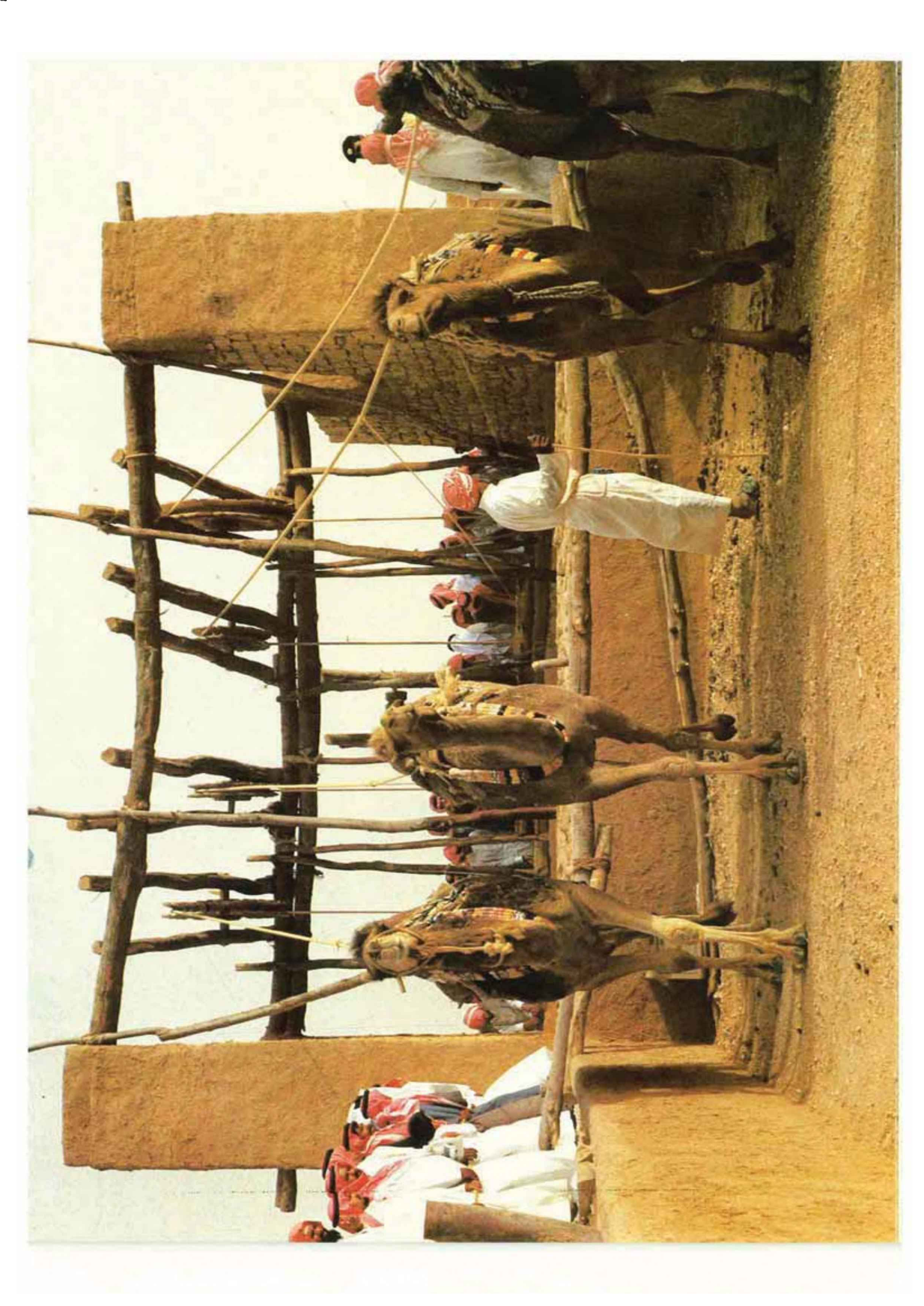
مجلة ثقافية شهرية

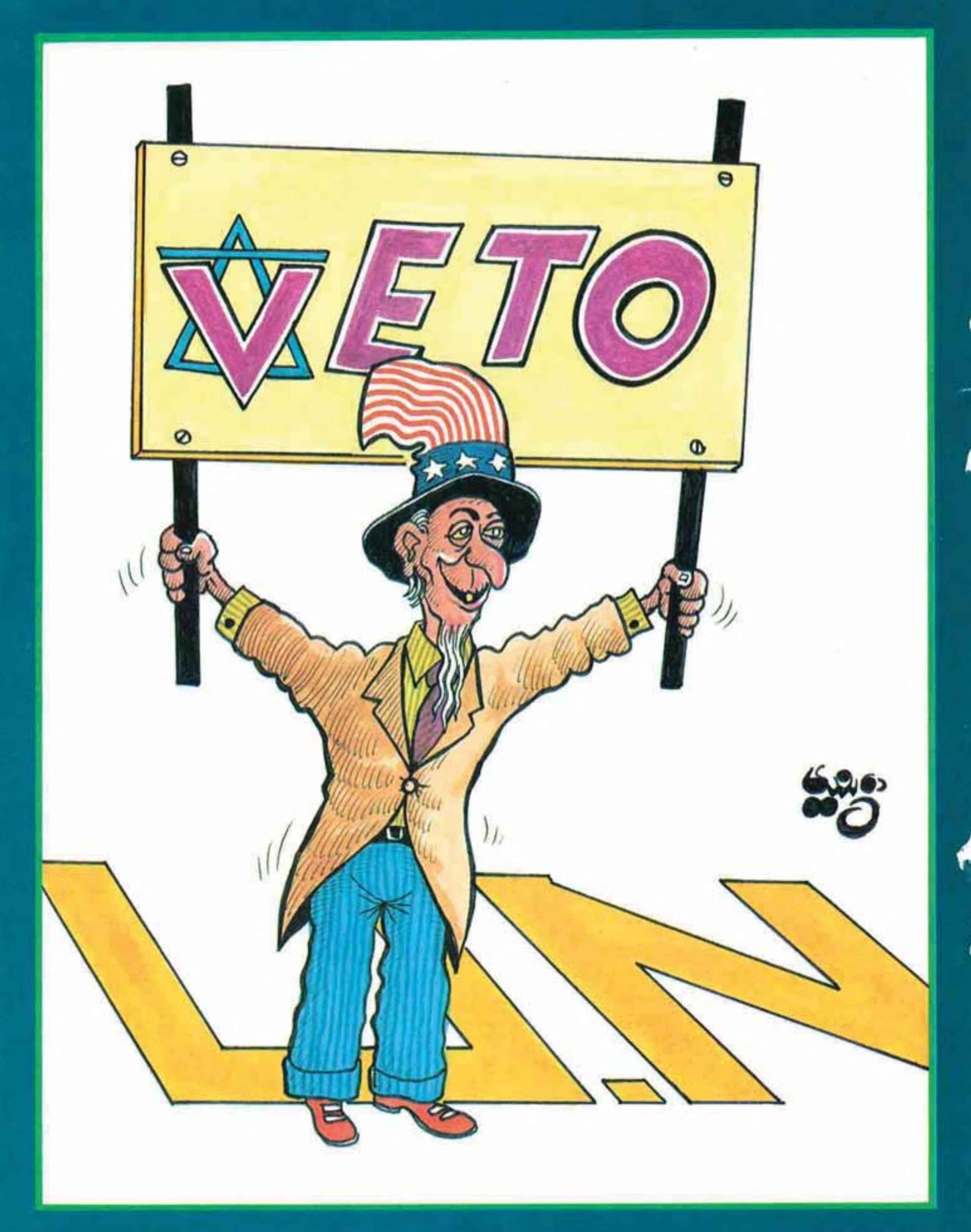
AL FAISAL MAGAZINE

غير مخصص للبيع

ISSUE 110 - 10th YEAR - APR/MAY. 1986.

العدد (١١٠) ـ شعبان ١٤٠٦هـ ـ السنة العاشرة ـ نيسان (ابريل) / أيار (مايو) ١٩٨٦م.




VETO
U.N.

★ تمثالا ممنون في البر الغربي للأقصر (١٣٩٨ ـ ١٣٦١ ق.م) ★

الأقصر

مدينة وتاريخ

أو «مدينة المائة باب»

بقلم: جلال العشري

★ البحيرة ومن خلفها الكرنك ★

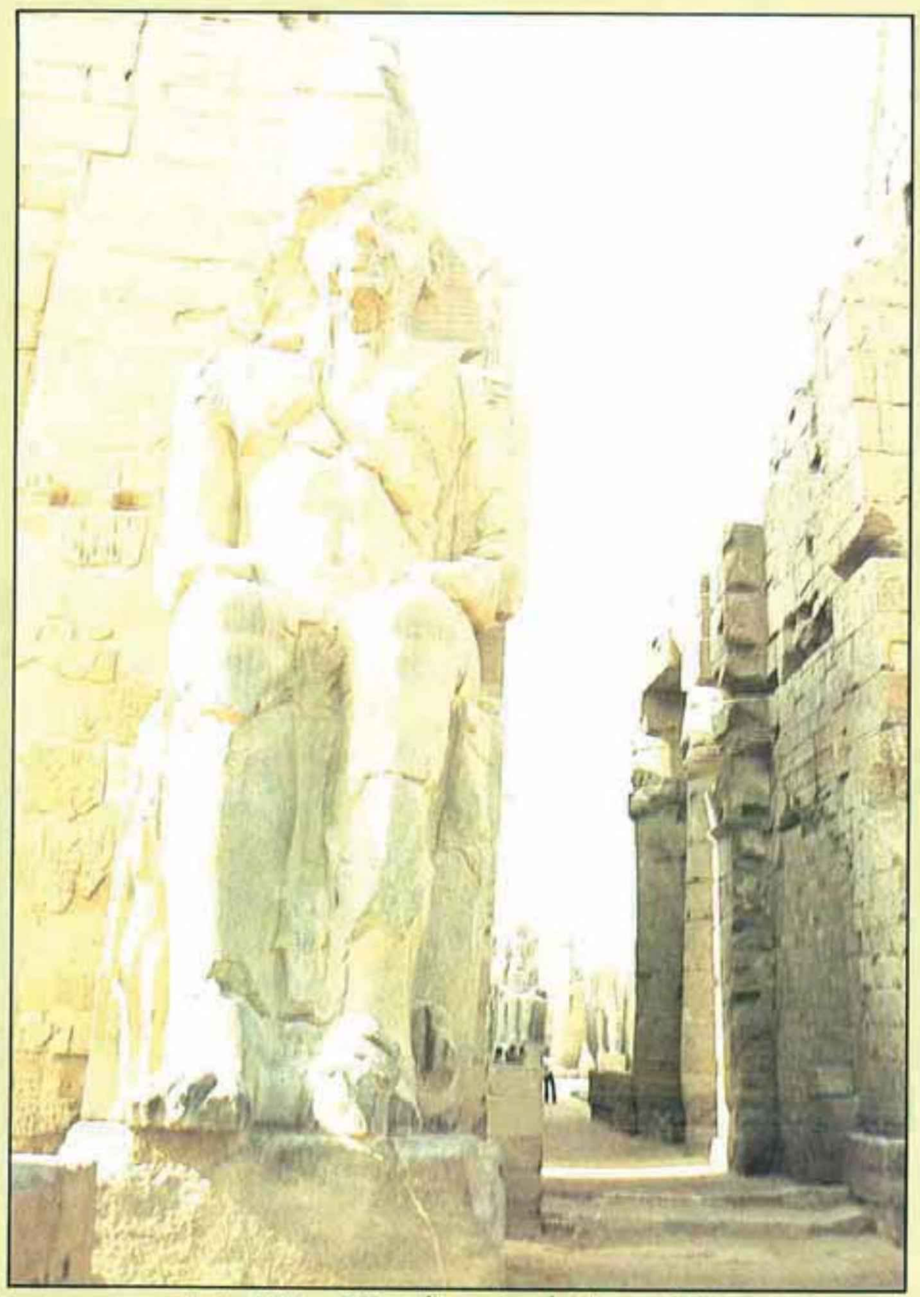
● إنها متحف بلا جدران ، فحيثما سرت وجدت أمامك أثراً من الآثار ، معابد ومقابر ، مسلات وألواحاً ، تماثيل ونقوشاً ، أحجاراً وصخوراً ، وكل أثر من هذه الآثار يحمل فكرة ، ويرمز إلى معنى ، ويشير إلى دلالة . إنه قطعة جامدة ولكنها حيَّة وناطقة بحضارة كانت ، ولم يبق منها إلا التذكار .

●● إنها صورة صغيرة للمدينة الكبيرة .. أو المدينة الأثرية العظيمة ، مدينة الأقصر .. التي ظلت شامخة تبعث الرهبة في نفس كل زائر ، وتثير الدهشة على وجه كل سائح ، وتجبر على احترامها الإنسان القديم والحديث .

★ معبد الدير البحري ـ الملكة حتشبوت (١٤٨٦ ـ ١٤٦٨ ق . م) ★

عد بالقرون إلى الوراء ، قرناً قبل قرن ، وقف بأطلال معابد الكرنك .. وتذكر قدرة الإنسان على أن يواجه الجبل ويتحدى الصخر ، لكي يجعل من الحجارة حضارة ، ومن الصخور قصوراً ، ومن هجير الصحراء واحة فيحاء ، ومن خلاء لا يعرف سوى الموت ملأ ينبض بأجمل وأشهى ما في الحياة .

وإذا مددت بصرك من فوق أطلال الكرنك عبر طريق الكباش ، رأيت معبد الأقصر ، يشهد بأمجاد القدامى ، ويحكي قصة عصر ، من أروع العصور في تاريخ الإنسان ، وكأنما تماثيل الكباش في الجزء الممتد من معبد الكرنك ، وتماثيل أبي الهول في الجزء المبني عند معبد الأقصر ، تنطق بتفاصيل القصة ، وتبوح بأسرار الحكاية .. قصة التاريخ وأسرار التراث .



★ تمثال رمسيس الثاني في مدخل معبد الأقصر (١٢٩٠ ـ ١٢٢٤ ق . م) ★

ويجيء النيل ليشطر المدينة إلى شطرين ، هما بيت الشعر ، أو بيت القصيد في التاريخ المصري القديم . فعلى الضفة الشرقية ، حيث تشرق الشمس ، قامت «**مدينة الأحياء**» ، حيث المعابد والقصور ، ترمز إلى ارتباط الدين بالحياة ، وعلى الضفة الغربية ، حيث تغرب الشمس ، أنشئت «**مدينة الموتى**» التي تغمرها المقابر ، وتصل الحياة الدنيا بالحياة الآخرة ، وكأن الإنسان الميت يغرب مع الشمس إلى عالمها المحجوب ، حتى يصل مرة أخرى إلى الشرق ، فتشرق الشمس من جديد .

أما **مدينة الأحياء** ، فكانت تقع إلى الشرق من طريق الكباش ، ممتدة في الأراضي الزراعية نحو الجبل ، فإذا ما اتجهت شمالاً ، كان **معبد الميدامور** ، وإذا اتجهت جنوباً كان **معبد الطور** . وكأنما المدينة بجهاتها الأصلية الأربع أشبه بالعنقود ذي المعابد الأربعة : **الكرنك ، والأقصر ، والطور ، والميدامور .**

وأما **مدينة الموتى** التي تبعد عن شاطئ النيل لكي تترامى في الأراضي الصحراوية ، فأول ما يطالعنا فيها هو **الدير البحري** ، حيث معبد **الملكة حاتشبسوت** الذي يواجه معبد الكرنك .

وخلف جبل الدير البحري منطقة **وادي الملوك** ، حيث تحت ملوك الدولة الحديثة مقابرهم في سفح واد جاف بعيداً عن العمران ، يحتوي اثنتين وستين مقبرة ملكية .

وإلى الشمال من الدير البحري سلسلة جبال تعرف **بذراع أبي النجا** ، وهي مملوءة بالمقابر منذ الدولة الوسطى ، وإلى الجنوب من ذلك الدير سلسلة جبلية تعرف **بعلوة الشيخ عبد القرنة** ، وتضم مقابر الدولة الحديثة .

أما الأرض المنبسطة أمام هذه السلسلة ، فتحوي مجموعة من المقابر التي يرقى بعضها إلى ذروة عالية من فن النقش الحجري ، مثل مقبرة «**خع أمحات**» ، و «**رع موسى**» .

وإلى الجنوب من منطقة القرنة ، توجد منطقة دير المدينة ، وهي الحي السكني للفنانين ، الذين كانوا يعملون بالمقابر الملكية ، وقد نحتوا مقابرهم المتواضعة في سفح الجبل .

فإذا أوغلنا في السير جنوباً ، وصلنا إلى واد آخر منعزل ، مهجور ، ولكنه مشهور ، ذلك هو «**وادي الملكات**» ، الذي يحتوي على عدد



★ طريق الأعمدة المؤدي إلى فناء المسلة ـ معبد الأقصر ـ (١٣٩٨ ـ ١٣٦١ ق . م) ★

كبير من المقابر ، وصل إلى أربع وسبعين مقبرة ، وقد نحتت هذه المقابر لملكات مصر وأمرائها ، وبقي منها مقبرة **الملكة نفرتاري** ، ومقبرتا الأمير «**آمون خويش أف**» والأمير «**خع واست**» ، وهما من أبناء **رمسيس الثالث** ، والمقبرتان معاً من أجمل مقابر ذلك العصر .

وأمام وادي الملكات ، على الحافة من الوادي ، قامت مدينة «**هابو**» ، التي تضم واحداً من أضخم معابد البر الغربي ، ألا وهو المعبد الجنائزي للملك **رمسيس الثالث** .

أما **معبد سيتي** ، فيقع في الجزء المواجه لذراع أبي النجا ، حيث تمتد سلسلة المعابد من الشمال . . ومن أشهرها **معبد الرامسيوم** المواجه لعلوة الشيخ عبد القرنة ، وكان يوجد إلى جواره شمالا معبد «**أمنحتب الثاني**» ، وجنوباً معبد «**تحتمس الرابع**» ، ثم المعبد الضخم لأمنحتب الثالث .

أما قصور «**أمنحتب الثالث**» ، **والبحيرة** المشهورة التي كان يتنزه فيها مع زوجته ، فكانت تقع بجوار **مدينة هابو** . . مدينة الموت والحياة !! .

متحف بلا جدران

تلك صورة مصغرة للمدينة الكبرى . . أو المدينة الأثرية العظمى . . المدينة التي ظلت شامخة تبعث الرهبة في نفس كل زائر ، وتثير الدهشة على وجه كل سائح .

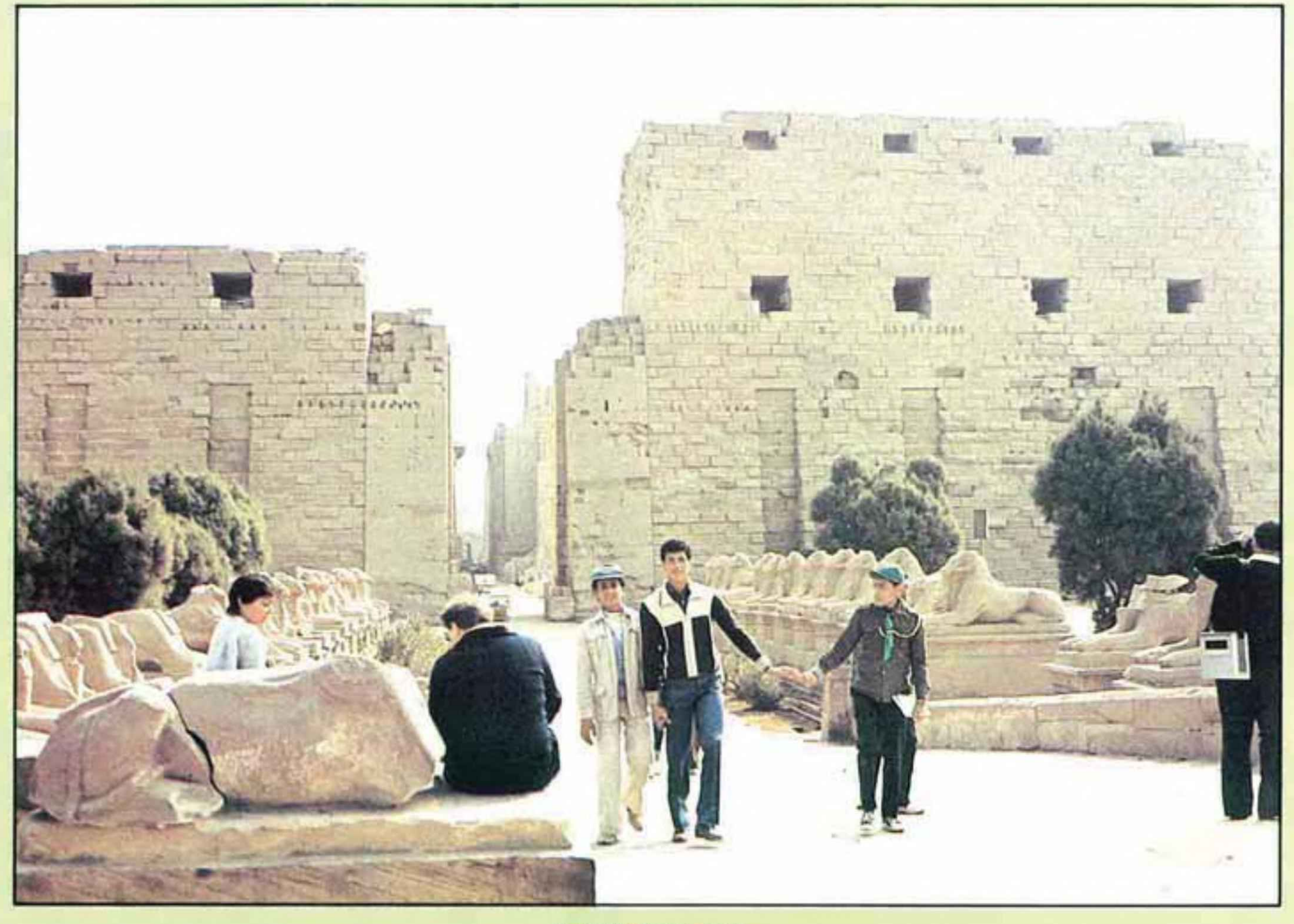
إنها متحف بلا جدران ، فحيثما سرت وجدت أمامك أثراً من الآثار ، معابد ومقابر ، مسلات وألواحاً ، تماثيل ونقوشاً ، أحجاراً وصخوراً ، وكل أثر من هذه الآثار ، يحمل فكرة ويرمز إلى معنى ، ويشير إلى دلالة ، أنه قطعة جامدة ولكنها حية وناطقة بحضارة كانت ، ولم يبق منها إلا التذكار .

كل هذا في مدينة واحدة ، إنها مدينة «**نو**» ، أو «**نو آمون**» ، أي مدينة آمون ، كما سماها الفراعنة ، أو مدينة طيبة ذات المائة باب ، كما سماها الآشوريون ، أو مدينة ديوبوليس كما سماها الإغريق ، أو **مدينة الأقصر كما سماها العرب** ، وكما هو اسمها في وقتنا الحاضر .

والأقصر كما يقول **شهاب الدين الحموي** في كتابه «**معجم البلدان**» جمع قصر ، أو جمع قلة ، وهو اسم مدينة على شاطئ شرقي النيل بالصعيد الأعلى ، فوق **قوص** ، وهي أزلية قديمة ذات قصور ، ولذلك سميت الأقصر .

ووصف الحموي للمدينة بأنها «أزلية» يدل على عمق ثقافته ، وسعة أفقه ، واستيعابه الشامل لتاريخ المدينة ، فقد ظهرت هذه المدينة في زمن لم تعرف بدايته ، غير أن جهود الباحثين تشير إلى قدمها ، إذ إن اسم آمون الذي تنسب إليه المدينة ، ذكر في نصوص الأهرام القديمة ، ومما يذكر أيضاً أن **خوفو** قام بإصلاحات في معبد آمون في طيبة ، والمعروف أن هذا الملك ينتمي إلى الأسرة الرابعة ، وهذا معناه أن المدينة كانت موجودة قبل قيام هذه الأسرة .

ومع ذلك ، فهناك أسطورة قديمة ، تقرر أن **مدينة آمون** هي أقدم مدينة ظهرت على الأرض ، وتحليل هذه الفكرة في هذه الأسطورة



★ واجهة مدخل الكرنك ★

كما يقول الباحث الدكتور **محمد عبد القادر محمد**، في كتابه «**آثار الأقصر**»، أن العالم كله كان مغموراً بالمياه، ثم ظهرت الأرض جزيرة، وعلى هذه البقعة أقيم أول معبد، هو معبد **الكرنك**، وبقيت لهذه البقعة أهميتها ومكانتها الخاصة طوال التاريخ الفرعوني، بل حتى مجيء المسيحية والإسلام.

وقد كانت شارة ذلك الإقليم كما يقول هذا الباحث، صولجاناً خاصاً أو عصا مزدانة بريشة نعام، ومربوطة بشريط، وكانت العصا في الأصل فرع شجرة منسقاً على هذا الشكل، وهذه الشارة تعني في النقوش الهيروغليفية «**السلطان**» كما تعني «**السعادة**»، وهذا المضمون له دلالة تمتد إلى المستقبل، وتنبئ عن الازدهار والأمل المرتقب لتلك المدينة في عصرها وفي ما بعد عصرها من عصور!

تاريخ ما قبل التاريخ

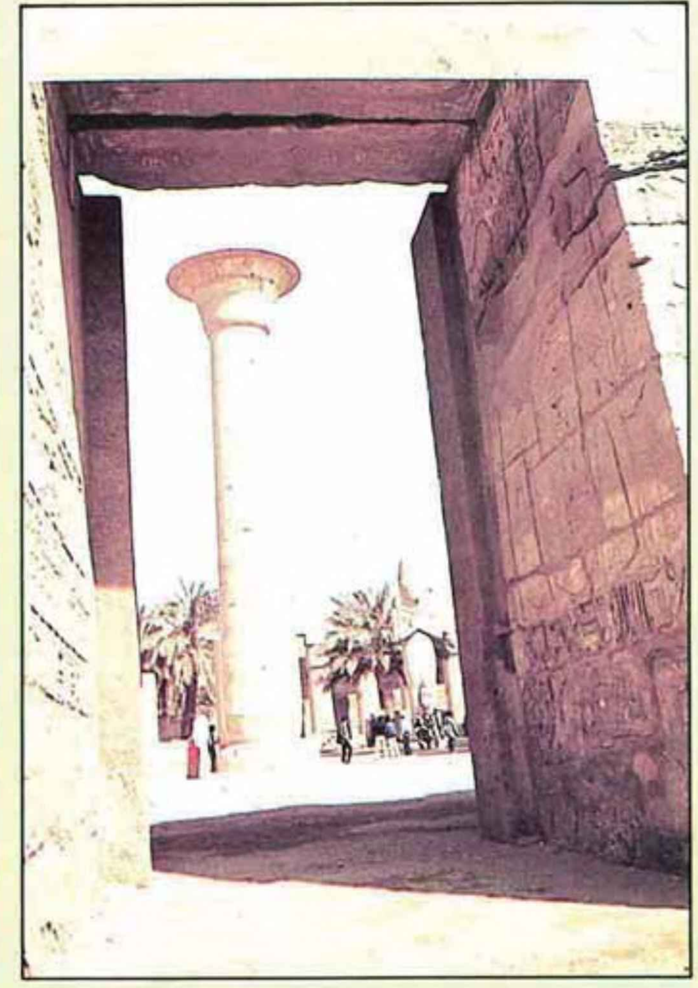
ويذهب الباحثون إلى أن الإنسان ظهر في هذه المنطقة منذ عصر مبكر، وليس أدل على ذلك مما عثر عليه من أدوات طرانية من صنع الإنسان الباليوليثي، الذي كان موجوداً ومستقراً على حافة الوادي، حيث لم تكن السهول مما يصلح لسكناه.

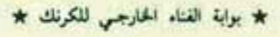
وعن عصور ما قبل التاريخ «٤٠٠٠ ق.م»، أجريت أعمال تنقيب بالجبانة في **أرمنت**، حيث عثر على دقات فردية تشير إلى قيام محلات من العصر الحجري الحديث، كما توجد جبانة شمال **القرنة** من العصر الحجري الوسيط.

فإذا عبرنا العصور والقرون إلى أيام الدولة القديمة، رأينا الأقصر بلدة متوسطة في أيام تلك الدولة، ثم زادت أهميتها منذ «**الأسرة الحادية عشرة**»، بعد أن انتصر أمراؤها في حروبهم ضد الطيبيين، وأصبحت عاصمة للبلاد كلها، فشيدوا فيها القصور الضخمة، والمعابد الكبيرة.

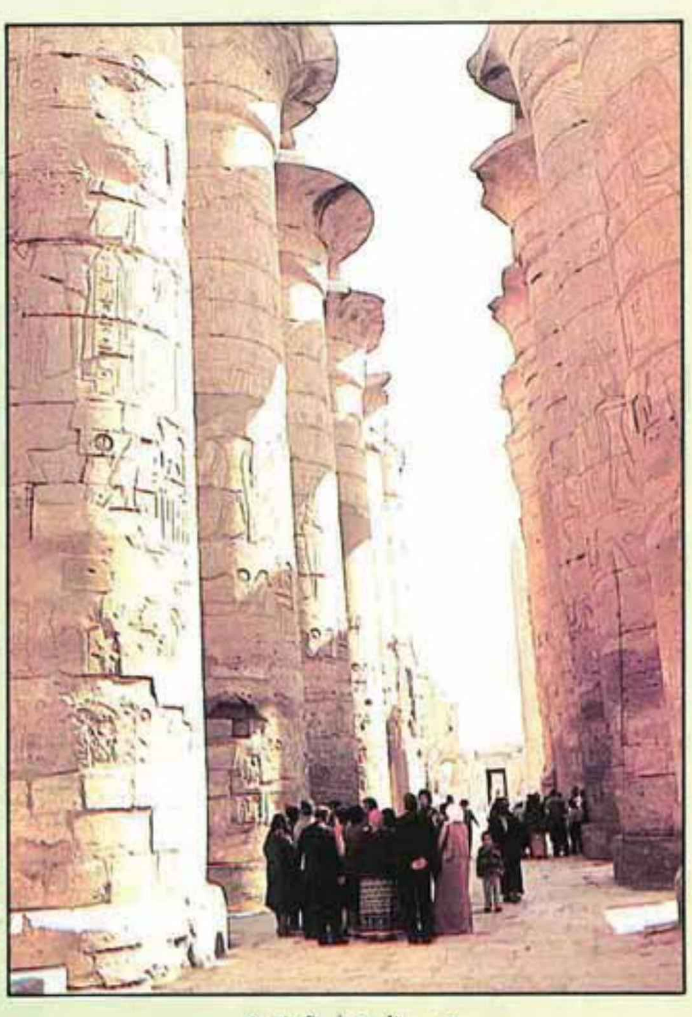
وعندما قام أمراؤها مرة ثانية بحربهم لتحرير البلاد من **الهكسوس**، وتم لهم ما أرادوه من نصر، أصبحت طيبة مرة أخرى عاصمة لمصر كلها، ومقراً لملوك **الأسرة الثامنة عشرة**، بل وعاصمة للإمبراطورية المصرية في الدولة الحديثة، حيث جملها الملوك، وشيدوا المعابد الضخمة لـ «**آمون ــ رع**».

وبعد أن انتقلت عاصمة الملك إلى الشمال، ظلت طيبة «**الأقصر**» عاصمة دينية، والمقر الرسمي لـ «**آمون ــ رع**» حتى آخر أيام التاريخ المصري، وكان لها دور هام في المحافظة على النزعة القومية، إذ كانت تتزعم





★ بوابة الفناء الخارجي للكرنك ★



★ بهو الأعمدة في الكرنك ★

بين حين وآخر ثورات الصعيد ضد البطالمة وضد الرومان .

عاصمة العالم القديم

كان اسمها منذ أقدم العصور « **الحريم الجنوبي** » ، كما جاء في « **الموسوعة المصرية** » ، وذلك لأن بيت آمون الكبير كان في **الكرنك** ، وكان معبد الأقصر يسمى بيته ، أو حريمه الجنوبي ، بالنسبة إلى الكرنك .

وفي أيام الإمبراطورية كانوا يسمونها « **مدينة آمون** » ، ومن هنا اشتهرت باسم « **نو** » ، أو « **نو آمون** » . أما في أيام الآشوريين فقد عرفت باسم « **طيبة** » ، وهو اسم **معبد الكرنك** حيث مركز المدينة الديني ، الذي كان بيتاً لـ « **آمون** » .

وبعد أن جاء الإغريق ، ترجموا اسمها إلى « **ديوبوليس** » ، أو مدينة الإله حسب زعمهم ، بينما كانت معروفة في أيام الرومان باسم « **دوا كاسترون** » أي المعسكران ، إذ شيَّد الرومان معسكراً على كلا جانبي المعبد .. **الشرقي والغربي** ، وحولوا المنطقة كلها بما في ذلك المعبد إلى حامية عسكرية .

وفي العصور الوسطى سميت المدينة باسم « **الأقصرين** » ، وهو اشتقاق من اسمها في العصر الروماني ، إلى أن جاء الفتح الإسلامي ، فأطلق عليها العرب اسم مدينة القصور ، ثم حُرِّف الاسم بمرور الزمن إلى اسمها الحالي ، **الأقصر** .

ولقد مرت الأقصر بأعظم فترات ازدهارها في أيام الإمبراطورية ، حينما راح الملوك يتنافسون في تجميلها ، فشيَّدوا المعابد الضخمة لآمون ، وبنوا القصور الضخمة للملوك والأمراء ، وجعلوا المدينة جديرة بأن تكون عاصمة للعالم القديم .

ولقد كانت كذلك بالفعل ، كانت المنارة التي يتجه نحوها وفود جميع بلاد الشرق القديم ، يحملون الجزية والهدايا ، ويحصلون الحكمة والمعرفة ، ويتذوقون الفن الفرعوني القديم .

وساعدها على ذلك مكانها المرموق على سطح الإقليم الذي وقعت فيه ، حيث توسطت مصر العليا ، أو الصعيد الأعلى ، وفي جنوبها **أسوان أو جزيرة ألفنتين** ، وبلاد النوبة الغنية بالذهب ، وهي الطريق إلى قلب إفريقيا العامر بالرخاء وبالثروة ، حيث العاج والأبنوس والتبر وأشجار البخور .

وعلى الرغم من هذا كله ، فإن المدينة تقع على مقربة من مناطق ذهب الصحراء الشرقية ، وعندها تنتهي طرق الصحراوات الغربية ، وفي

شمالها منطقة زراعية ، لها قيمتها في ميدان الرخاء ، في وقت كانت الدلتا فيه لا تزال تكسو معظم أراضيها أحراش البردي .

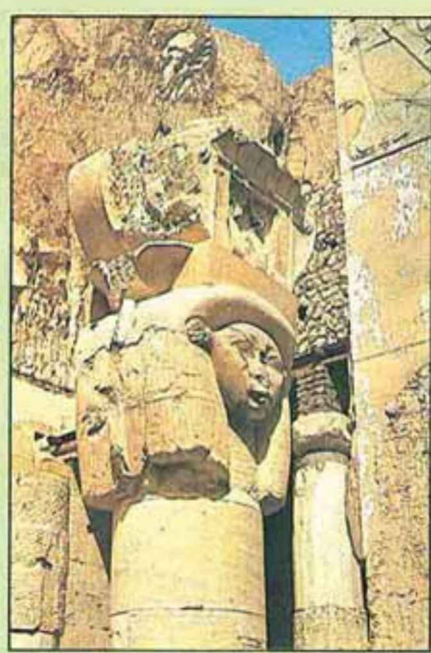
أما هذه الأرض الزراعية الواسعة ، التي كانت تمتد شمال طيبة ، حتى تصل إلى دندرة ، فكانت من أخصب أراضي مصر التي تروى بماء النيل ، ويزيد من خصوبتها ماء الفيضان الذي كان يغمرها مرة في كل عام .

عيد في كل عام !

ويرجع تاريخ أهم آثار الأقصر إلى عهد الإمبراطورية ، مثل **معبد الأقصر** الذي شيَّده **أمنحوتب « أمينو نيس الثالث »** في المكان الذي كان يشغله معبد الدولة الوسطى ، ثم شيَّد **رمسيس الثاني** أمامه البهو الكبير ، والبيلون ، والتماثيل ، والمسلتين اللتين نقلت إحداهما إلى **باريس** ، وهي الآن في **ميدان الكونكورد** .

وكذلك أهم أجزاء **معابد الكرنك** ، التي لا تضارعها في أهميتها أية منطقة أخرى ، ثم **وادي الملوك** ، الذي دفن فيه فراعنة الدولة الحديثة ، من الأسرات ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ووادي الملكات ، ومئات المقابر الخاصة ، وعدد من المعابد الجنائزية المنتشرة على الضفة الغربية لنهر النيل وأشهرها : **معبد القرنة « سيتي الأول »** ، **والدير البحري « الملكة حتشبسوت »** ، **والرمسيوم « رمسيس الثاني »** ، ومعبد **أمنحوتب الثالث « تمثال ممنون »** ، **ومعبد مدينة هابو « رمسيس الثالث »**

وفي الشهر الثاني من كل عام ، وهو **شهر « بابه »** في السنة القبطية ، كانت مدينة طيبة تحتفل احتفالا رسمياً وشعبياً بعيدها الكبير ، وهو عيد **« أبت الجنوبية »** ، فيحملون سفن **آمون** وزوجته **موت** وابنه **خونسو** إلى شاطئ النهر ، ويضعونها فوق سفن في نهر النيل ، من الكرنك إلى الأقصر ، ثم يحملون تلك السفن في موكب



★ حتشبسوت ★



★ رسم جداري من ألوان حتشبسوت (الدير البحري) ★

عظيم إلى داخل معبد الأقصر لكي تمضي به فترة من الزمن ، ثم تعود ثانية إلى الكرنك .

وكان هذا العيد أعظم أعياد العاصمة ، وأهم أسواقها التجارية ، ولقد نقشت صور هذه الاحتفالات على جدران بهو الأعمدة الضخم ، وهو من أهم المميزات الأخاذة لمعبد الأقصر ، وقد بني داخل جدران المعبد ، وكذلك حوله من الخارج ، كنائس من العصور المسيحية ، ومساجد من العصر الإسلامي .

وتوالت العصور ...

بعد انتهاء الإمبراطورية ، بقيت لطيبة أهميتها كعاصمة لدولة **« آمون »** الدينية ، واستمر الملوك يشيدون فيها المعابد والمباني والمقابر ، ويرممون ما تلف أو تحطم من المباني القديمة ، إلى أن انقضت أيام البطالمة والقرون الأولى من أيام الرومان .

وعندما انتشرت المسيحية ، حوِّلت بعض المعابد إلى كنائس ، كما تعرضت نقوش بعض المعابد الأخرى للتشويه ، **فمعبد الأقصر** مثلاً تحوَّل إلى كنيسة في عصور المسيحية الأولى ، **وقدس الأقداس** الذي كان قد بناه **الإسكندر الأكبر** تعرض للتشويه .

واخذت أهمية المدينة الكبرى التي كانت عاصمة للعالم القديم كله ، تتضاءل حتى أصبحت بلدة صغيرة ، شأنها شأن أية بلدة أخرى ، إلا فيما بقي فيها من آثار .

وفي العصر الإسلامي ، انتعشت المدينة قليلاً ، وازدهرت إلى حد ما ، وشهدت اهتماماً دينياً تمثَّل في إقامة مسجد **« أبو الحجاج »** في الركن الشمالي الشرقي من معبد الأقصر ، ويعد حالياً من أهم مساجدها على الإطلاق .

غير أن المدينة لم تنل حظها من الاهتمام ، ولم تأخذ نصيبها من الازدهار إلا في العصر الحديث ، عندما عاد الاهتمام بآثارها القديمة ، وأصبحت أكبر مراكز السياحة في مصر بعد مدينة القاهرة ، وتم إنشاء طريق معبد يربط المدينة بالقصير على البحر الأحمر ، فضلاً عن الميناء الجوي الذي ييسِّر حركة الطيران من وإلى الأقصر !

آثار ودمار

روت الأساطير القديمة ، أن الأقصر ـ طيبة ، كانت أصلاً جزيرة تحيط بها المياه من كل جانب ، وقد عثر **الدكتور محمد عبد القادر محمد** صاحب كتاب **« آثار الأقصر »** على نص يرجع إلى الأسرة الثالثة عشرة جاء فيه :

« إن الملك سبكحتب (أحد ملوك هذه الأسرة) في السنة الرابعة من حكمه ، في الشهر الرابع من الصيف ، في أيام النسيء عبر جلالته النهر إلى هذا



★ معبد الأقصر ــ الواجهة وأمامها المسلة الكبرى ــ (١٣٩٨ ــ ١٣٦١ ق . م) ★

القصر الشمالي (الكرنك) القائم وسط المياه » .

وهذا ، يتفق كما يقول المؤلف ، مع ما ذكر **في التوراة سفر ناحوم ٣ : ٨** من أن « **نو آمون كانت تحيط بها المياه من جميع الجهات** » .

وربما كان هذا على حد تعبيره ، هو وضع الكرنك حتى الدولة الحديثة على الأقل ، ولكن في الوقت الحاضر ، لم يثبت أن المياه كانت تحيط بمعبد الكرنك إلا من جهتين فقط ، هما الجهة الغربية ، والجهة الشمالية ! .

وإن كان الكرنك بسبب المصرف الذي يحيط به من جميع الجهات ، قد تحوّل مرة أخرى إلى جزيرة كبيرة ! .. ذلك أن مياه الفيضان ، منذ بداية العصر المتأخر ، أخذ ارتفاعها يعلو على منسوب أرضية المعبد ، وقد تحدث **أرسركون الثالث** أحد ملوك الأسرة الثانية والعشرين ، عن الفيضان الذي لم يسمع بمثل شدته ، والذي حطم أرصفة النهر ، وتدفق في معبد الأقصر .

وقد غدت هذه الظاهرة حدثاً سنوياً ، يتكرر مرة في كل عام ، نتيجة لتغطية الأراضي الزراعية بمياه النيل ، باعتبارها الوسيلة الوحيدة لري الأراضي في مصر العليا قبل بناء السد العالي .

وكانت هذه المياه تترك طبقة من الغرين فوق سطح الأرض ، تزيد من ارتفاعها بمعدل ملليمتر واحد تقريباً في كل عام ، حتى ارتفع منسوب المياه حوالي ثلاثة أو أربعة أمتار ، بعد بضعة آلاف من السنين .

وبذلك أصبح معبد الكرنك وغيره من معابد مصر العليا المشيدة على ضفاف النيل ، مثل : **معبد الأقصر ، والميدامور ، والطور ، وإسنا ، وأدفو** ، تحت مستوى منسوب مياه النيل .

ولحماية منطقة الكرنك من خطر الفيضان ، أنشئ مصرف كبير يحيط بالمنطقة كلها ، كانت المياه تنزح منه بصفة مستديمة ليلاً ونهاراً طوال موسم الفيضان ، مما يؤكد الحقيقة الثابتة ، من أن المباني المصرية القديمة قد شيدت على أساسات راسخة ، على عكس ما هو شائع في بعض الكتب العلمية ، من أن هذه المباني لا أساس لها ، ولو كان الأمر كذلك لانهارت منذ أزمان بعيدة .

النيل والنخيل

والأقصر ، على الرغم من موقعها بصعيد مصر الأعلى ، على الضفة الشرقية للنيل ، وعلى

الرغم من كونها أشهر المدن السياحية بمصر، إلا أنها قليلة التعداد نسبياً، حيث يبلغ عدد سكانها حوالي ٥٠,٠٠٠ نسمة، كما أنها تابعة إدارياً لمحافظة **قنا** الواقعة بين محافظتي **سوهاج وأسوان**.

وعن محاسن الأقصر ومميزاتها، يقول **أبو جعفر الأدفوي** المتوفى عام ٧٤٨هـ - ١٣٤٧م، في كتابه **«الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد»**، إن ماءها أحسن المياه وأحلاها، ونخيلها يمتد على شاطئ النيل. ثم يقول عن فاكهة هذا الإقليم عموماً إنها شديدة الحلاوة، حسنة المنظر، وبخاصة العنب والبطيخ، كما أن رائحة الرياحين العطرة، تفوح من مختلف جهات هذا الإقليم، الذي اشتهر بطيب أرضه ووفرة محصوله، كالقمح والشعير والذرة، كما اشتهر بطيب المرعى وطيب لحم الحيوان ولذته، أما شتاؤه فهو طيب الإقامة، مخصب، كثير الألبان، جيد البقولات!

وقد اكتشف في هذا الإقليم عدد من المعادن الهامة مثل: الذهب والحديد والفوسفات والبرام، التي يشير إليها **الأدفوي** بقوله **«معدن البرام»**، وهي الطينة الطفلية التي يصنع منها البرام والقدور، التي تستخدم في الأغراض المنزلية.

ومن أحجاره الكريمة التي تم الحصول عليها، الزمرد والياقوت والزبرجد والرخام. ويشير **ابن الكندي** إلى أنه قد تم اكتشاف النفط في سنة ٨٤٠هـ، في هذا الإقليم.

أما عن ألوان التجارة في الأقصر، فنجد البضائع والمصنوعات الواردة من الجنوب، حيث يكثر تجار التوابل، كالفلفل والبهار والحبهان والكافور والبخور ومختلف العطور، بالإضافة إلى حوانيت المنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية، وحوانيت دباغة الجلود والصباغة، وصناعة البرام والمراوح والحصر. ثم حوانيت بيع التحف والعاديات وأشباه الآثار المصرية. وبعد هؤلاء جميعاً، نجد تجار الماشية والمكارين الذين يتولون شراء وبيع الحمير.

مشتى بلا مصيف

ويتميز شتاء الأقصر بالدفء والحرارة، على نحو يجعله مشتى من أجمل وأنجع مشاتي العالم، فهو مقصد السيّاح والزائرين، وطلاب الراحة والاستجمام، وكل من يبحث عن الشمس الصريحة المشرقة، والجو الجاف الجميل، والطقس الباعث على النشاط لدى الإنسان.

غير أن صيف الأقصر يختلف عن شتائها كل الاختلاف، فهو حار قائظ كثير الحشرات كالذباب والبراغيث، فضلاً عن كثرة الهوام، كالعقارب والثعابين وغيرها من الحشرات السامة والقاتلة.

والأقصر على الرغم من هذا كله، وبحكم توسط موقعها الجغرافي بين بلاد المشرق والمغرب، أصبحت مركزاً من المراكز الهامة التي كانت تربط مصر من الجنوب بأهم بلدان آسيا وشرقي إفريقيا.

وكان الحجاج، وهم في طريقهم إلى الأراضي المقدسة، يتوجهون من الأقصر إلى **قوص**، إلى صحراء شاسعة كانت تسمى في العصر الإسلامي بصحراء **«عيذاب»**، التي هي الصحراء الشرقية الآن، ثم منها حيث يركبون **بحر القلزم** المعروف بالبحر الأحمر الآن، ثم من هذا البحر يتجهون إلى الأراضي المقدسة، حيث يركبون سفناً كانت تسمى **«الجلاب»**، وكانت هذه السفن تقطع المسافة في البحر من **ميناء عيذاب** حتى **ميناء جدة**، في حوالي تسعة أيام حسبما أشار الرحالة المغربي **ابن جبير**، في رحلته الشهيرة، وهو يصف رحلة العذاب إلى عيذاب بقوله إن الإبل، بعد أن كانت تجهز تشد الرحال وتسير القوافل في صحراء، كانت تسمى صحراء عيذاب، وهي الصحراء الشرقية، حتى تصل إلى ساحل بحر القلزم، أو بحر الملح، أو بحر فرعون، وكلها أسماء كان يعرف بها البحر الأحمر في العصر الإسلامي.

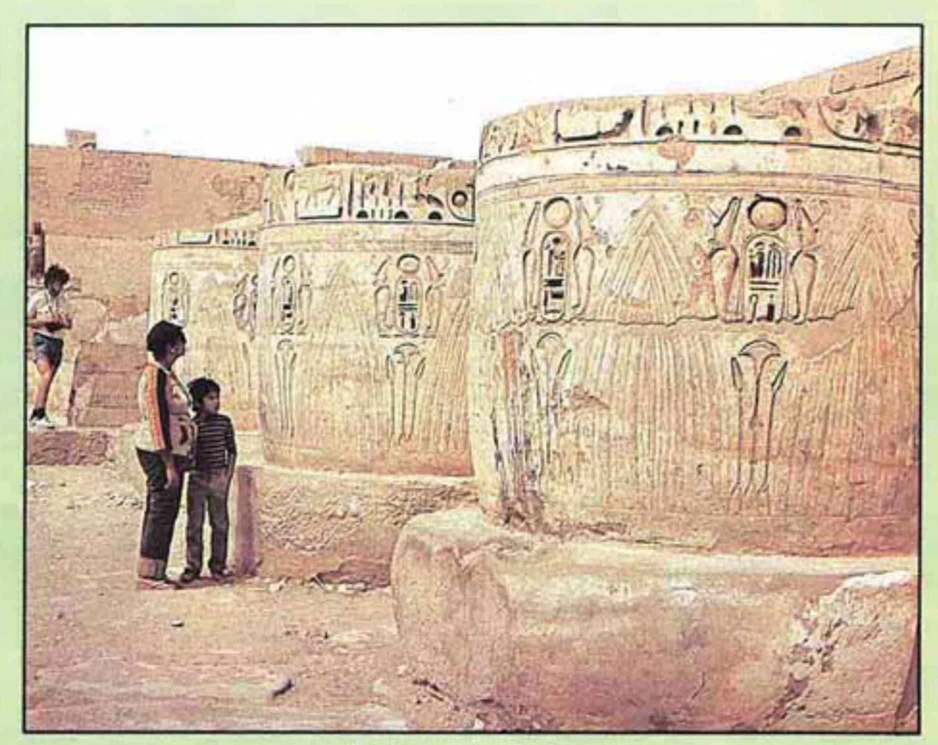
وهذه القوافل، تمر من موضع المبرز إلى ماء يعرف بالحاجز، ثم إلى موضع يعرف بقلاع الضباع، ثم إلى محطة اللقيطة، ثم إلى ماء العبدين، وقد سمي كذلك لأن عبدين كانا قد ماتا عطشاً قبل أن يرداه، ثم دفنا به.

ثم إلى موضع يعرف بدنقاش، ثم إلى ماء شاغب، ثم إلى ماء امتان، ثم إلى ماء يعرف بمجاج، ثم إلى ماء يعرف بالعشيرة، ثم يسلك الحجاج طريقاً سهلاً رملياً يسمى الوضح، ثم إلى ماء الخبيب، ثم منه مباشرة إلى ميناء عيذاب على ساحل البحر الأحمر، وهو من أشهر الموانئ الإسلامية في ذلك الوقت، وقد قطع **ابن جبير** هذه المسافة في هذه الصحراء الشاسعة في تسعة عشر يوماً.

بعد ذلك يركب الحجاج هذا البحر من ميناء عيذاب حتى يصلون إلى ميناء **جدة**، وكانت الوسيلة الوحيدة المعروفة لركوب البحر هي المراكب التي كانوا يسمونها **الجلاب**، وهي من نوع بسيط، لكنه يمتاز بالمتانة في الصنع، وكان أهل عيذاب الذين يطلق عليهم العيذابيون مهرة في صنع هذه المراكب، لأنها كانت الوسيلة الوحيدة للتكسب والرزق، يحملون فيها الحجاج إلى جدة، ويردونهم بعد قضائهم فريضة الحج، ويقولون في ذلك وقد امتلأت المراكب حتى غدت كأقفاص الدجاج **«علينا بالحجاج وعلى الحجاج بالأرواح»**، كما جاء في **رحلة ابن جبير**.

مدينة لها تاريخ

وإذا كانت مصر قبل الفتح الإسلامي، قد قسمت إلى قسمين كبيرين، هما الوجه البحري، أو أسفل الأرض، والوجه القبلي **«الصعيد»**، أو أعلى الأرض، وكان كل قسم من هذه الأقسام مقسماً إلى وحدات إدارية صغيرة، يعرف كل منها باسم **«نوم»**، وكان العرب قد استعاضوا عن كلمة **«نوم»** بكلمة **«كورة»**، وهي التي تؤدي معنى الناحية، أو المركز في مفهومنا العصري، وكان عدد الكور قد بلغ الثمانين في الوجهين البحري والقبلي، فقد كانت **الأقصر** ذات شأن في هذا التقسيم الإداري.



★ قواعد أعمدة من مدينة هابو ★

وليس أدل على ذلك من أن الكثيرين من المؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب، قد أسهبوا في وصفها، وذكر محاسنها، وما كانت تتمتع به من مكانة مرموقة بين مختلف الديار المصرية. من هؤلاء، مثلاً **عبد الغفار بن نوح الأقصري**، المتوفى سنة ٧٠٨هـ - ١٣٠٨م، الذي عاش بين الأقصر وقوص في عصر المماليك، ووضع مؤلفاً في جزءين تحدث فيه عن كثير من رجال التصوف وأهل العلم والفضل، الذين عاشوا في الصعيد الأعلى.

وكذلك **أبو جعفر الأدفوي** المتوفى سنة ٧٤٨هـ - ١٣٤٧م، وصاحب كتاب **«الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد»**، الذي يعتبر موسوعة على جانب كبير من الأهمية لدراسة الصعيد وأهله في العصرين.. **عصر الأيوبيين وعصر المماليك**.

هذا، بالإضافة إلى بعض كتب التراجم والطبقات، التي ألفت في عصر المماليك مثل: **«الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة» لابن حجر العسقلاني** المتوفى سنة ٨٥٢هـ - ١٤٤٨م، و **«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي** المتوفى سنة ٨٧٤هـ - ١٤٦٩م، و **«الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع» للسخاوي** المتوفى سنة ٩٠٢هـ - ١٤٩٦م، وغير أولئك وهؤلاء!.

قبائل عربية ومستعربة

وحينما فتح **جوهر الصقلي** مصر سنة ٣٥٨هـ - ٩٦٨م، كان من الطبيعي أن ينتقل إليها عدد من القبائل العربية والمستعربة، ولهذا فإن العصر الفاطمي يمثل مرحلة من المراحل الهامة في تاريخ الهجرات إلى مصر عن طريق الصحراء الكبرى.

ومن أهم القبائل التي سكنت الصعيد عموماً، **بنو هلال** الذين كانوا يقطنون الحجاز، واستقر أغلبهم في الأقصر وأسوان. **وجهينة**، وهي من قبائل الحجاز العظيمة، وكانت منازلهم في ينبع ويثرب وقريش، وكانت مساكنهم في نجد، حتى طاب لهم المقام في الأقصر وأسوان. **وقبيلة البجة** وهي إحدى القبائل البربرية المستعربة، التي صحبت الفاطميين إلى مصر، واستقرت في جنوب الصعيد، ومن أهم بطونها **العبابدة والبشارية**، الذين يعيشون حتى وقتنا الحاضر عيشة البدو الرحل، ويشتغلون بتربية الماشية والأغنام، ويكثرون في الصحراء الشرقية، في المناطق الواقعة بين الأقصر وأسوان وبلاد النوبة.

والجعافرة، الذين ينتسبون إلى **جعفر الطيار**، ويكثرون في أدفو والأقصر وأسوان، **والأشراف الجهامزة** الذين ينتسبون إلى الأمير **جمال الدين جماز**، وهو شريف حسيني كان أميراً بالمدينة المنورة، ثم رحل إلى الديار المصرية في أواخر حكم الأيوبيين، واستقر بها، وتنقل أتباعه بينها وبين الأقصر وأسوان.

والهوارة، وهم ينتسبون إلى عرب الحجاز، ومنهم من يقول إن أهلهم بربر من المغرب، **والأشراف الحجاجية** الذين ينتسبون إلى **يوسف أبي الحجاج الأقصري**، الشريف الحسيني العراقي الأصل الذي استقر في الأقصر.

وليس من شك في أن هذه القبائل العربية كانت تجري في دماء أبنائها الخصال العربية الحميدة، كالجود والكرم، والتضحية والفداء، والشجاعة والإقدام، مما كان له أثره وتأثيره في أهالي هذا الإقليم، حتى لقد ذهب **المقريزي** إلى القول إن الرجل كان يمر من القاهرة إلى أسوان فلا يحتاج إلى نفقة، بل يجد في كل بلد وناحية دور الضيافة، فإذا دخل داراً منها أحضر لدابته علفاً، وجيء له بما يليق به من الأكل والطعام.

تلك هي الأقصر.. مدينة السر في جوف التاريخ، مدينة المشرق والمغرب، مدينة الكرنك والبحيرة، مدينة المائة باب، التي احتضنت المعبد الفرعوني والكنيسة المسيحية والجامع الإسلامي، مدينة الشمس الدافئة، والنيل الجاري، والليالي القمراء.. المدينة التي تقف بأسرار الفراعنة رافعة مسلاتها المذهبة، باسطة حيطانها المنقوشة، فاتحة أبوابها المائة، تقف بهذا كله، وكثير غيره، عروساً في مهرجان الحضارة المصرية، ودرة في مفرق التاريخ.



الشرق ** في عيون الغرب

●● «حارس مع عازف القانون «Guard Withazither Player ●●

● لودويك دويتش ● المدرسة النمساوية ● رسم بالزيت ● ١٨٩٦م ●



المتحف الوطني للأثنوغرافيا وما قبل التاريخ

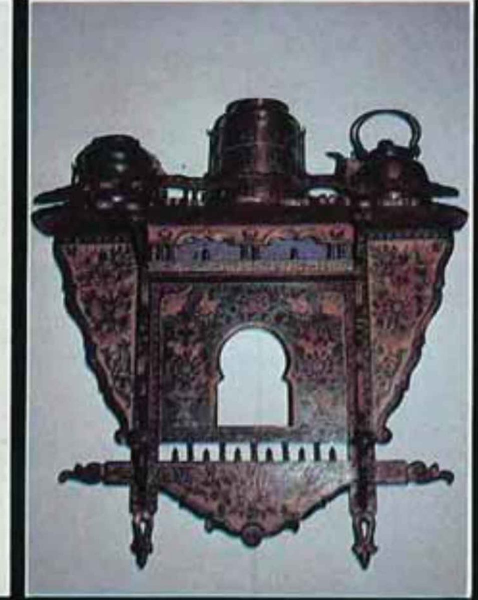
الباردو.. في الجزائر



من بين المتاحف العديدة التي تذخر بها الجزائر، ينفرد المتحف الوطني للأثنوغرافيا وما قبل التاريخ الشهير بمتحف (الباردو)، بجمعه بين روعة هندسته المعمارية وغناه بالمعروضات القيّمة. فالقصر الذي أنشئ فيه المتحف، يعد واحداً من مفاخر الفن المعماري الإسلامي، الذي بلغ قمة تطوره إبان عهد حكم الأتراك للجزائر.

ولقد قدّر لهذا القصر المنيف أن يحتفظ بتماسك هيكله المعماري لدرجة ملفتة للنظر. فالألوان المنقوشة على البلاط الخزفي النادر الذي يكسي كل جدرانه. ما زالت تحافظ على رونقها وبهائها، كما أن حدائقه الغنّاء التي تحيط به من كل جانب ما زالت تحتفظ بخضرتها وأزهارها الكثيرة التنوع.

يقع متحف (الباردو) جنوب غربي القطاع الأوسط من



★ أوان نحاسية مختلفة (العهد التركي) ★



★ إناء نحاسي ★

★ معصرة الزيتون القديمة (مدخل المتحف) ★

العاصمة الجزائرية فوق هضبة الجزائر، وهو قريب من (قصر الشعب) التاريخي، الذي كان يطلق عليه (جنان خوجة الخيل). وأغلب الظن أن كلمة (الباردو)، التي اشتهر بها كل من القصر والمتحف محرّفة عن الكلمة الإسبانية (برادو) PRADO، التي تطلق على المساحة الخضراء المغطاة بالورود، وقد أطلق نفس هذا الاسم على الكثير من القصور التي بناها الحفصيون في ضواحي مدينة **تونس**، ومنها قصر (باردو)، الذي يضم (متحف باردو الوطني)[1].

شيّد هذا القصر في القرن الثامن عشر الميلادي، من قبل أمير تونسي منفيّ يدعى **الحاج عمر**، واحتفظ بملكيته هو وورثته حتى الاحتلال الفرنسي للجزائر عام ١٨٣٠م، وبعد ذلك تناوب على ملكيته عدد من الوجهاء، من بينهم **آغا بسكرة**، وجنرال فرنسي. وفي عام ١٩٢٨م، اشترته إدارة الاستعمار الفرنسي وحولته إلى متحف، عند شروعها بالتحضير للاحتفال بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر.

والرقعة التي بني عليها القصر، عبارة عن جنة فسيحة من الأرض الخضراء، وكان القصر عبارة عن مسكن صيفي شيّد خارج أسوار مدينة الجزائر.

وظيفة المتحف وأقسامه

لا يختلف متحف الباردو



★ مرآة وطربوش (العهد التركي) ★





★ خادمة القصر، تمثال من الشمع ★



★ امرأة من ناحية (توقرت) بلباسها التقليدي ★



★ كرسي منقوش (العهد التركي) ★

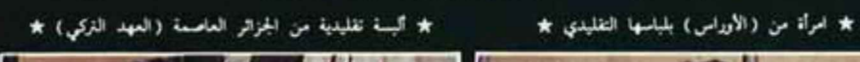
★ واجهة مقهى القصر (العهد التركي) ★

عن باقي المتاحف من حيث وظيفته، والغاية من إنشائه، فالمتحف عبارة عن مؤسسة علمية وإعلامية وثقافية وتربوية، ونافذة يطلّ المرء من خلالها على ماضي وحاضر الإنسان وإبداعاته ونتاجاته الفكرية والاقتصادية وأسلوب ارتقائه الحضاري. من هذا المفهوم حددت وظيفة هذا المتحف بالحفاظ على التحف الفنية وترميمها وتعريف الزوّار بمصادرها وأصولها ومعانيها، وإجراء الدراسات الأنثروبولوجية المقارنة من خلال البحث في بعض النتاجات الحضارية الإنسانية التي تم العثور على شواهدها أثناء القيام بأعمال الحفر والتنقيب، كما أن الكثير من المعروضات التي يضمها المتحف جلبت في إطار التعاون الدولي في مجال تبادل معروضات المتاحف.

ويمكن تقسيم متحف الباردو إلى جناحين رئيسيين، جناح ما قبل التاريخ، وجناح الأثنوغرافيا.

جناح ما قبل التاريخ

يضم هذا الجناح الآثار التي خلفها الإنسان في العصر الحجري، الذي يمتد من العصر الباليوليثي PALEOLITHIC إلى العصر النيوليثي NEOLITHIC، وتتألف معروضاته من المجموعات الحجرية التي جلبت من الجزائر وتونس والمغرب على الخصوص، وتتضمن **الأدوات الصوانية والكلسية** التي استخدمها الإنسان القديم في أغراض



★ امرأة من (الأوراس) بلباسها التقليدي ★

★ ألبسة تقليدية من الجزائر العاصمة (العهد التركي) ★

★ لباس تقليدي من مدينة تلمسان ★







الصيد ، ويحتوي أيضاً على **آثار الإنسان الحجري** الذي عاش في القارة الأمريكية ، بالإضافة لهيكل إنسان **(تين هينان)** الكامل . وخصص قسم مستقل من هذا الجناح **لعلم المستحاثات** PALEONTOLOGY يحتوي على المئات من الأحافير والنقوش والرسوم ، التي سجلها الإنسان القديم على الأحجار . ويشهد الآن هذا القسم عملية شاملة تهدف لإعادة تنظيمه وإثراء محتوياته من المعروضات وتطوير أساليب العرض وطرق حفظ المعروضات .

جناح الأثنوغرافيا

يحتل هذا الجناح جزء بسيطاً من الطابق الأرضي للمتحف ، وكل الطابق الأول ويتميّز باحتوائه على مختلف النتاجات التقليدية الشعبية الجزائرية مرتبة وفقاً لأصولها الثلاثة الصحراوية والقبائلية والحضرية ، ومن معروضات هذا الجناح الأسلحة المختلفة والألبسة التقليدية والجواهر والأدوات النحاسية والفخاريات والسجاد والالات الموسيقية وبعض الرسوم والمنحوتات ، التي يعود معظمها إلى العهد التركي وما قبله .

● **الأسلحة اليدوية :** يضم متحف باردو مجموعة نادرة من الأسلحة اليدوية (البيضاء) التي استخدمت في الجزائر في العهود المختلفة ، ومن أهم خصائصها التعبير عن جمال التصميم ، والقدرة على التحكم في تشكيل الحديد الذي صنعت منه النصال ، ومن أنواعها الرماح والخناجر والسيوف . وتتجلى الناحية الجمالية في هذه الأسلحة بالزخارف المتنوعة المنقوشة على المقابض والأغماد .

● **الفخاريات والفن الخزفي :** يعدّ فنّ الصناعات الخزفية واحداً من أقدم الفنون التقليدية التي عرفها إنسان ما بعد العصر الحجري ، فهو فن معروف منذ ما يقارب خمسين قرناً ويشكل جزءً متكاملاً في تراث الإنسانية الثقافي . وفي الجزائر أخذ هذا الفن حظاً وافراً من التطور يتجلّى بالصنوف العديدة من الأواني الفخارية المعروضة في متحف باردو .



★ حوض وصحن من المرمر في فناء القصر ★

ويمكن تقسيم الأواني الفخارية وفقاً لوظيفتها أو شكلها . وبناء علىّ هذا التقسيم يمكن تمييز الأواني التي تستعمل في أغراض الطبخ ، أو حفظ الماء والحبوب وغيرها ، ومن هذه ، الجرار والأباريق والقدور والأطباق التي جلبت من المناطق القبلية والصحراوية . وتركت الناحية الجمالية بصماتها الواضحة على مختلف هذه الأدوات ، حيث تجلّت بأشكال المعروضات المتنوعة وبنقوشها الزاهية .

● **الجواهر :** توجد في متحف باردو كمية هامة من الجواهر جلبت من كل أنحاء الجزائر ، وخاصة من مناطق القبائل **والهوقار** hogar والشمال القسنطيني والأوراس ، ولكل من هذه الأنواع خصائصه التقنية والجمالية ، وتميَّز منها العقود الأوراسية الجميلة المطعّمة بدرر من الخرز ، والجواهر القبلية المصنوعة من الفضة المطعّمة ذات الألوان المتنوعة ، ومن أنواعها العقود والأقراط والسلاسل والدبلات والأساور والتيجان .

ويتضمن هذا الجناح من المتحف واجهات زجاجية لعرض الملابس التقليدية المختلفة التي تتنوع أصولها ومواطنها ، وتشمل هذه الألبسة تلك التي استعملت في **تلمسان** غرباً حتى **عنابة** شرقاً مروراً بتلك التي استعملت في وسط البلاد وأقصى جنوب الصحراء .

ولعل ما تجدر الإشارة إليه في هذا المتحف ، هو الغرفة الكاملة التي تصوّر طريقة حياة الأسرة الجزائرية إبان العهد التركي ، وتتضمن هذه الغرفة سريراً نادراً وسجاداً قديماً وبعض الأثاث وأربعة تماثيل شمعية لمجموعة من النساء .

وبعد استعراضنا السريع في اقتضاب لأهم محتويات هذا المتحف الجميل ، نترك المجال للصور التي تمكنا من التقاطها داخل وخارج هذا المتحف ، فلعلّها تلقي المزيد من الضوء على معروضاته .

الهوامش

(١) نشرت مجلة «الفيصل» استطلاعاً مصوّراً حول (متحف باردو الوطني في تونس) ، في عددها رقم (٣٩) ، الصادر في رمضان ١٤٠٢هـ ، تموز (يوليو) ١٩٨٢م .



يا حلوة الوصل

شعر: إبراهيم أمين فودة

أكنتِ ناسية بالأمس ميعادي ... أم كنتِ لاهية أغراك إسهادي؟!

لا أنتِ تلكَ ولا هاتيك يا كبدي ... لكنه قَدَرٌ في النَّجدِ والوادي

قد تصبرُ الأمُّ عن أفلاذِها عَنَتاً ... وفي جوانِحِها قلبٌ لهم فادي

يا أمُّ يعرب هل أصغيتِ لي أبداً ... فشاقكِ اللحنُ أم أشجاكِ إنْشادي

هتفتُ باسمكِ في الآفاقِ فانبعثت ... به الترانيمُ من أصداءِ أعوادي

وردَّد الناسُ أنغامي بألسنةٍ ... مذاقها الحبُّ في حَشْدٍ وفي نادي

وَضَاقَ بالنَّغَم الحَاني أبالسةٌ ... لا يفقهون نشيدَ المدنف الحادي

لا يفهمون الهوى إلا هوى برئت ... منه القلوبُ فأضحى رِجْسَ أجسادِ

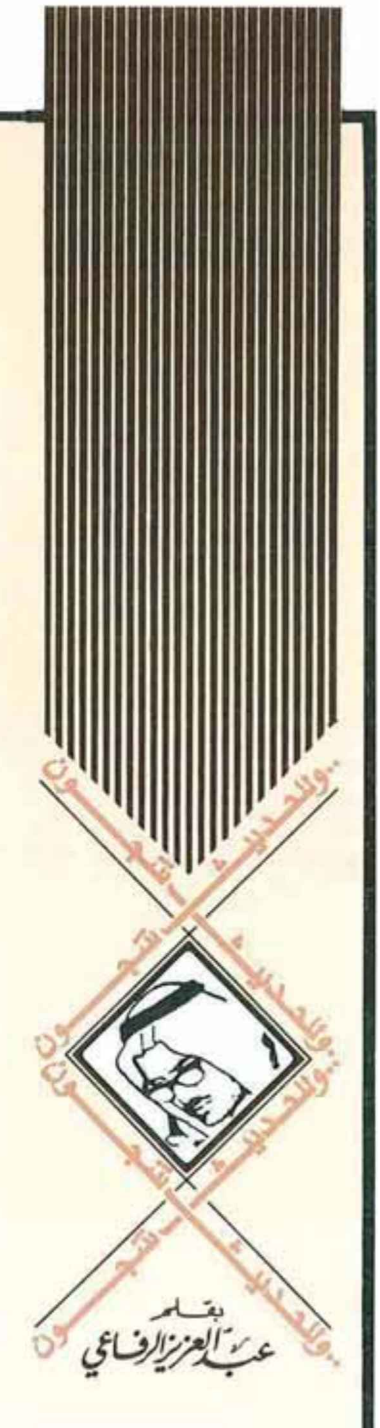
ظنُّوا بي الظَّنَّ لم أعبأ به أبداً ... وأنتِ.. أنتِ التي أرجو لإسعادي

أظل أهتف في سهلٍ وفي جبلٍ ... وأعلنُ الحبَّ لم أحْفَلْ بحُسَّادِ

حتى أضُمَّكِ والأفراحُ كسْوَتُنا ... يا حلوةَ الوَصْلِ قد أنجزتِ ميعادي



عن ديوانه «حياة وقلب»



من المتنبي .. إلى ابن خلكـــان

قال صاحبي : أما بلغك بعض ما زعمه بعض الباحثين أو الباحثات ، عن المتنبي ؟ .

قلت : وما ذاك ؟ .

قال : لقد زعموا في دراسة استنتاجية ترتكز على علم النفس ، أن المتنبي كان عنيناً ..

قلت : وكيف يصح ذلك .. ومن المعروف أن للمتنبي ابناً هو المحسِّد ؟! .

قال : أمتأكد أنت ؟ .

قلت : كيف لا .. وقد حضر معه موقعته مع بني ضبة ..

قال : لعلك ـ إذن ـ تكتب عن هذا الموضوع في بابك من مجلة (الفيصل) : (و .. للحديث شجون) ..

قلت : ولكن الأمر مشهور .. وأشهر من أن أكتب عنه أو فيه ..

وطويت الحديث .. وفي ظني فعلاً أن الأمر أشهر من أن يبدئ فيه كاتب أو يُعيد ..

ولكن ، مع ذلك ظل الأمر هاجساً من هواجسي ، وقلت لنفسي : أفلا أرجع إلى مرجع قريب ، هو أقرب المراجع إلى متناول يدي ، فأنظر ماذا يقول عن المحسِّد .. ؟ .

ورجعت إلى (وفيات الأعيان) لابن خلكان ، فقد كان هذا الكتاب في صحبتي ، أو كنت أنا ـ بالحري ـ في صحبته ، إبان ذلك الحوار ، وابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) ، أحد عشاق المتنبي ، فهو وإن أعجب بالبحتري ، وصردر وابن التعاويذي ، إلا أن ذلك لا ينقص عنده من قدر المتنبي .. واكتفيت بهذا المرجع ، ذلك أن الذين كتبوا عن المتنبي من القدامى والمحدثين ، لا يطالهم إحصاء ، فماذا قال ابن خلكان عن المحسِّد بن المتنبي ؟ .

في الجزء الأول ، ص ١٢٣ ، من طبعة صادر ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، أن المتنبي ، بعد أن رحل عن كافور «وقصد بلاد فارس ، ومدح عضد الدولة ابن بويه الديلمي ، فأجزل جائزته ، ولما رجع من عنده قاصداً إلى بغداد ، ثم إلى الكوفة في شعبان لثمان خلون منه ، عرض له فاتك بن أبي الجهل الأسدي في عدة من أصحابه ، وكان مع المتنبي أيضاً جماعة من أصحابه فقاتلوهم ، فقتل المتنبي وابنه محسِّد ، وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية ، في موضع يقال له : الصافية ، وقيل حيال الصافية ، من الجانب الغربي من سواد بغداد ، عند دير العاقول ، بينهما مسافة ميلين» .

وهكذا نرى ، أنه قتل وقتل معه ابنه محسد .. وعلى طريقة ابن خلكان ، في ضبط الأعلام في نهاية تراجمه ، فقد ضبط مُحسِّد ، بضم الميم ، وفتح الحاء المهملة ، والسين المهملة المشددة ، وبعدها دال مهملة ..

أقول : أي إن الاسم على وزن محمد .. وهو اسم غريب غير معهود ، ولا أعلم لمَ اختاره المتنبي ، وما هي فلسفته فيه .. فإن المتنبي ، رجل مفكر ، لا يختار أموره بطريقة عفوية .. فلا بد أن يكون له فيها تخطيط ..

وهكذا نرى أن الباحث أو الباحثة ، قد غفل أو غفلت عن حقيقة كبرى في حياة المتنبي هي أنه (رجل) ، وأنه (أب) ..

وهكذا نعلم أيضاً حقيقة أخرى ، وهي أن نظرية دراسة الشعراء من خلال أشعارهم نظرية لا تطرد معاييرها .. وأنها قد تسوق إلى الغَرر .. فقد نجد من الشعراء من يتحدث عن الضرب والطعان ، وهو في واقع الأمر جبان .. وآخر قد يصف المعارك ، والنقع ، والنجوم والكواكب ، بينما هو كفيف لا يبصر مثل بشار .. الذي يحدثنا في شعره أن له جسماً ناحلاً كأغصان البان .. بينما هو في واقع الأمر صاحب جسم ضخم سميك ..

وقد يحدثنا شاعر مثل عمر بن أبي ربيعة عن غزواته النسائية ، ثم يقول : إنه امرؤ مولع بالحُسْن يتبعه .. لا حظ له منه إلا لذة النظر .. ترى أي أقواله نصدق ؟ ، وقد يؤكد لنا شاعر آخر مثل أبي العتاهية بإلحاح ، أنه رجل زاهد ، ثم يقال عنه إنه من الذين يكنزون الذهب والفضة .. فلا ينفقون

منها شيئاً .. وقد نجد في أشعار ابن الفارض أوصافاً للخمر، فنحسبه من كبار المعاقرين لابنة الحان، بينما يقال في أخباره إنه كان صوفياً زاهداً .. ترى أية ضلالات تلك التي نقع فيها إذا اعتمدنا ـ فقط ـ في دراساتنا للشعراء على آثارهم الشعرية، واعتمدنا استنباط سيرتهم من أشعارهم ؟.

ليس معنى هذا بالطبع، أنني أدعو إلى إغلاق الباب تماماً في وجه الدراسات النفسية التي تعتمد الأثر الفني، ولكني أقول : إن هذه النظرية ينبغي في حالة تطبيقها أن يتم ذلك بحذر كبير، وبإدراك حقيقي للمعايير النفسية، مع فهم واع للنصوص لا يتعارض مع الأخبار الواردة عن سيرة الشاعر الذي ندرسه .. وإلا فكيف يصح أن يقال عن المتنبي إنه عنين، وهو أبو محسد ؟.

قد ينفسح المجال للاستنتاج الذي يظل في مرتبة التخمين، فلا يتجاوزها إلى مرتبة اليقين، أو ما يشبهه الذي يأتي به النص ـ أقول قد ينفسح المجال لهذا الاستنتاج، في الحالات التي لا نجد فيها أخبار الشاعر كافية لتغطية جوانب مهمة من سيرته ـ حينئذ يصح أن يجتهد المجتهدون .. على أن لا ننسى أن الشعراء كثيراً ما يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يقولون، ويقولون ما لا يعتقدون ..

وفيات الأعيان

قلت، إن كتاب (وفيات الأعيان) في صحبتي هذه الأيام، وإن النسخة التي بين يدي هي من تحقيق الدكتور (إحسان عباس) ..

هذه الطبعة خرجت عام ١٣٩٨هـ .. أي إنها طبعة حديثة، لم يتجاوز عمرها بعد السنوات السبع ..

وعندي أن الدكتور إحسان عباس، من خير الباحثين المحققين، الذين تصدوا لتحقيق بعض نفائس من تراثنا، وله من سعة اطلاعه وروحه العلمية ما يعينه على البلوغ في هذا الفن، شأواً بعيداً، لذلك فإني أشعر بكثير من الثقة، كلما رأيت اسمه متصدراً على إنجاز تراثي، عاداً ذلك كسباً حقيقياً لعشاق التراث .. ومن حسن الحظ أن هناك أكثر من كتاب تراثي مهم حظي بعناية الدكتور إحسان عباس .. الذي أرجو من الله أن يمده بالكثير من التوفيق والنشاط ..

ولكن .. يبدو أنه لا بد من لكن هذه .. وكان بودي حقاً أن يخلو منها كلامي عنه.

لكن عجبت كيف تتوفر عناصر كثيرة لإخراج هذا الكتاب إخراجاً لا يعتوره نقص، ثم يكون عرضة للخلل والاضطراب ؟.

فهذا محققه قمة من قمم التحقيق في عالمنا العربي، وهذه إحدى المؤسسات العلمية الكبيرة تعين بالمال من أجل طباعته، وهذه دار كبرى من دور النشر الشهيرة تتولى إصداره، وهذا المناخ العلمي يتاح للمحقق، من مكتبة كبيرة غنية بالمراجع إلى أصدقاء من العلماء والأدباء، إلى تلامذة يسهمون في هذا العمل بجهودهم وأوقاتهم .. فماذا بقي ؟.

كان أول ما لاحظته أن يُصدر الكتاب في جزئه الأول بترجمة للمؤلف منقولة من كتاب الوافي .. فكان طبيعياً أن يبدهني سؤال .. هو ألم يتولَّ ذلك المحقق، فلماذا تُنقل الترجمة من كتاب بعينه ؟ لكني أجد الجواب بعد أن أقرأ، بعد الترجمة مباشرة، كلمة تحمل عنوان (تحقيق الكتاب)، تتحدث عن نسخه، فقد جاء فيها، ص ١٧، أن ترجمة المؤلف (أي التي كتبها المحقق) ستدرج في الجزء الثامن منه .. ولكني لا أجدها في الجزء الثامن، بل هي في أول السابع، أي إنها أقحمت في التراجم، فلا هي (مقدمة) حقاً، ولا هي (مؤخرة) أو كلمة ختام، وكنت أفضل لو وضعت في الختام إذا كانت هناك ظروف حتمية جعلتها لا تأتي في صدر الكتاب .. وقد اضطر المحقق أن يتحدث في مقدمته عن (تفاوت النسخ)، مما يدخل في كلمة (تحقيق الكتاب).

على أية حال، لقد وجدت الأستاذ الدكتور (علي جواد الطاهر)، قد لاحظ هذه الملاحظات، مع مراجعات وتدقيقات أخرى مفيدة جاءت في الرسالة التي صدرت له عن مؤسسة الرسالة عام ١٣٩٧هـ، بعنوان (ملاحظات على وفيات الأعيان)، وإننا لنأمل للكتاب طبعة تالية يستدرك فيها المحقق والناشر هذه الملاحظات ومثيلاتها.

تدريس الحضارة العربية الإسلامية للراشدين من غير العرب

بقلم : د. حمادة إبراهيم محمد اسماعيل

تعد مشكلات تدريس الحضارة في فصول اللغة قائمة في جميع أنواع التعليم ، سواء منها ما يستهدف تحقيق نتائج عملية فورية ، من مثل التمرس الصحيح على التراكيب الأولية للغة الأجنبية ، أو ما يستهدف الانفتاح الثقافي للطلاب وإثراء شخصياتهم . وبطريقة أوضح ، فإن مشكلة تعليم حضارة البلد الذي ندرّس لغته هي مشكلة قائمة بمجرد أن نعد تدريس اللغة مادة تربوية . إذن فهي ليست ـ كما هو في الاعتقاد السائد ـ مشكلة تخص المستويين المتوسط والمتقدم دون مستوى المبتدئين . إن مفهومنا عن تعليم اللغة وتصورنا لطبيعة هذا التعليم ، هما اللذان يقرران ضرورة تدريس الحضارة أو عدم تدريسها .

والحقيقة أن معظم المهتمين بهذه المشكلة يتناولونها من جانب واحد ، وهو جانب المحتوى ، مهملين الجانب التربوي الذي يتمثل في دمج تدريس الحضارة في مقرر اللغة الأجنبية ، وقلما وُضعت دراسة حول العلاقات بين اللغة والحضارة ، وهي إن وجدت ، فقلما تتناول الموضوع من الناحية التعليمية ، صحيح أن بعض الدراسات تؤكد ، بما لا يدع مجالا للشك ، الروابط الوثيقة بين اللغة والحضارة ، غير أنها لا تقترح الحلول التربوية لتدريس هاتين المادتين ، أو بمعنى أصح ، هاتين الحقيقتين في إطار واحد ، وهو إطار تدريس اللغة للمبتدئين .

إن معظم الدراسات المتخصصة[١] اتجهت نحو تيسير مهمة المدرسين الذين يقومون بتدريس الحضارة في الجامعات أو المعاهد العليا أو المراكز الثقافية ، دون الاهتمام بمساعدة الآلاف المؤلفة من مدرسي اللغات الأجنبية المضطرين ، بناء على اللوائح والتعليمات ، إلى إدراج تدريس الحضارة ضمن تدريس اللغة منذ بداية هذا النوع من التدريس[٢] .

وحتى لا يصرفنا التفكير في الحضارة عن حقيقة تدريس اللغة ، فلنحاول أن نعرض المشكلة من وجهة نظر لغوية : إن اللغة وسيلة اتصال تحلل بها المجتمعات الإنسانية شمائلها بصور مختلفة ، على هيئة وحدات لها مضمون دلالي وتعبير صوتي[٣] .

وفي ضوء هذا التعبير ، فإن الطفل ، خلال تعلمه للغة الأم ، يتعلم كيف ينظم ويوصل تجربته وخبرته بواسطة الشفرة أو النظام اللغوي للبيئة التي ينتمي إليها ، فهو يكيف تجربته أو خبرته الفردية مع خبرة البيئة الجماعية ، وأثناء قيامه بهذه العملية يندمج في بيئته اللغوية .

فماذا يحدث حينما نعلّمه بعد ذلك لغة أجنبية ؟ .

طبيعي أنه سيتعلم حينئذ كيف يستعمل الشفرة أو النظام اللغوي الجديد لتوصيل خبرته أو تجربته ، سيتعلم وسيلة اتصال هي ليست وسيلته ، وإنما هي تخص بيئة لغوية مختلفة تحلل بها شمائلها بصورة مختلفة .

ولا داعي للتعمق في التفكير لكي ندرك العلاقة الوثيقة بين النظام أو النظام الذي أصبح واضحاً للغويين والتربويين ، وبين محتوى الخبرة الإنسانية التي يسلكها هذا النظام ، ويمتطيها كوسيلة للاتصال ، أي بين اللغة وبين المحتوى .

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن : هل يمكن أن نهتم بنظام الاتصال (اللغة) دون الاهتمام بمحتواه ؟ هل يمكن أن نهتم بشكل اللغة دون الاهتمام بمضمونها ؟ .

صحيح أننا لو وجّهنا هذا السؤال إلى لغوي لرد بالإيجاب ؛ فاللغويون منذ « **سوسير** » يستبعدون من مجال نشاطهم واهتماماتهم محتوى الرسالة ، سعياً وراء فهم النظام الذي تسلكه . فإهمال المحتوى في حد ذاته هو أحد الصفات الرئيسية التي يتميّز بها علم اللغة الحديث ، بل وبصفة عامة ، التي تتميّز بها سائر العلوم التي تعتمد على نظام رمزي أو شفري . صحيح لقد كان لهذا الموقف المنهجي ، كما نعرف ، نتائج إيجابية عظيمة بتطبيقه في مجال تعلم اللغات الحية ، ومن ذلك التقدم الذي تحقق في تعليم الأصوات وتدريس الأنماط النحوية .

ولكن مدرس اللغة الحية له موقف مختلف ، نلخّصه في النقاط الآتية :

١ ــ حتى من وجهة النظر اللغوية ، ومع اعتبار الظروف الصناعية التي يتم فيها تعليم اللغة الثانية لطلاب دون أن يخرجوا من بلادهم ، فإن مضار التداخل في مجال الخبرة الإنسانية ومحتوى الرسالة ، لا تقل عن مضاره في مجال الأداء اللغوي الشكلي . فلا يكفي أن يتعلم الطالب كيف يستعمل شفرة جديدة ، إذ لا بد أن يفهم أن هذه الشفرة تتضمن رؤية مختلفة أو تصوراً مختلفاً للعالم ، وأن عملية تعلم اللغة لا تقتصر على مجرد التمرس على الرموز الجديدة التي يمكن بواسطتها ترجمة الرسائل التي يصدرها بلغة الأم ترجمة حرفية . إن أقل ما نقوله هنا ، إن تعليم الطالب النظام اللغوي الجديد اعتماداً على السياق الاجتماعي الثقافي الحضاري لا يخلو من الفائدة .

٢ ــ مع التمادي في استخدام اللغة بصورة مجردة ، تصاب اللغة بالخواء ، ولا تصبح وسيلة اتصال ، لأنها لا تحمل شيئاً توصله ، ويكفي نظرة سريعة على الأدب والمسرح والسينما وغيرها من وسائل التعبير المعاصرة لندرك هذه الحقيقة ، فهذه الوسائل جميعاً تزخر بالأمثلة التي تعرض اللغة كوسيلة اتصال محض لا توصل شيئاً بالمرة ، ولا تحقق أي تفاهم ، بل على العكس ، فهي حينما تتجرد من المضمون تصبح وسيلة لعدم التفاهم[٤] والخلاف والنزاع .

والخبرة الإنسانية تثبت لنا أن سوء التفاهم يمكن أن يقع على الرغم من الاستعمال السليم للرموز اللغوية ، وهذا ما نشاهده بل ونعايشه كل يوم بين زوجين أو بين أب وأولاده ، حينما يعلنون أنهم لا يفهمون بعضهم بعضاً « أو

أنهم لا يتكلمون لغة واحدة » ، أو أنه « لم يعد هناك تفاهم بينهم » . إن نظام اللغة في مثل تلك الحالات لم يصب بسوء أو خلل ، وتراكيب اللغة لم تمس ، غير أن اللغة ميتة والاتصال لا يتم . إننا بذلك لا نقلل من شأن الطرق الحديثة في تعليم اللغات ووسائلها (وبالذات تمارين الأنماط التي تستهدف تكوين التلقائية اللغوية عند الدارسين) ، كما قد يتوهم البعض ، ولكن ذلك لا يمنع مدرسي اللغات جميعاً من التطلع إلى أن تصبح التراكيب التي تدرس عن طريق التكييف اللغوي ، مجرد خطوة أولى نحو توظيف أكثر إنسانية للغة الأجنبية ، وتحقيقاً لهذا الأمل ، **فإن وضع العبارات اللغوية داخل سياقها الحضاري فيه إنقاذ لها من هذا الهزال أو هذا الخواء الذي يجردها من كل مضمون .**

٣ ــ من وجهة النظر التربوية العملية ، كل الدراسات حول دور الحافز في تعليم اللغات ، تؤكد أن تقديم العناصر الحضارية ، إذا تم بشكل علمي مدروس ، يعد عاملاً حافزاً بالغ القوة ، بدونه سرعان ما تصاب اللغة بالرتابة .

٤ ــ وأخيراً ، ليس هناك مدرس لغة يرضى أن يقتصر في تدريسه على تعليم الشفرة أو الرمز ، حتى لو قبل ذلك ، فإنه يخالف ما تنص عليه توصيفات المقررات الدراسية بالنسبة لتعليم اللغات من ضرورة التركيز على تدريس الجوانب الحضارية أيضاً .

وبعد أن رأينا أن مشكلة تعليم الحضارة يمكن أن تواجهنا منذ السنوات الأولى من تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية ، من حقنا أن نتساءل ، قبل أن نقدم الاقتراحات والتوجيهات الجديدة ، عن طبيعة الحلول التي كان معمولا بها حتى الآن ، كيف كانت تواجهه في الماضي مشكلة تدريس حضارة العرب والمسلمين مع تدريس لغتهم ؟ ، لم تكن الطريقة تخرج عن حالة من الحالات الثلاث التالية :

١ ــ لا تدرس الحضارة بالمرة : كان يحدث في بعض الأحيان أن يصرف النظر عن تدريس الحضارة لأسباب مختلفة أهمها :

ــ أن الوقت لا يكفي ، وأن الساعات المخصصة لتدريس اللغة لا تحتمل تدريس الجوانب الحضارية .

ــ لأن المقررات ، على العكس من الحالة السابقة ، تنص على تدريس مكثف على مدى ساعات طويلة ، ويمتد على مدى سنوات طويلة ، وأن المطلوب أولا هو الوصول بالطلاب إلى أساس لغوي متين ، واستيعابه جيداً قبل الانتقال إلى تدريس الحضارة .

ــ لأن تعليم اللغة العربية وارد في الخطة الدراسية ، باعتباره تعليم لغة اتصال وحسب ، من دون السياق الاجتماعي الثقافي الإسلامي العربي .

ــ لأن التصور القائم هو أن تعليم اللغة للمبتدئين يشمل في الواقع تدريس الحضارة .

وأياً كانت الأسباب ، فلا نملك إلا أن نؤكد ، أن تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية تعليماً يتجرد عن قصد من أية إشارات إلى الحضارة ، أو دون الاعتماد على هذه الحضارة ، يكون تعليماً ناقصاً . ولعل الحالة الرابعة من بين الحالات التي أوردناها هي الأكثر قبولا : « تعليم اللغة يعني تعليم الحضارة » .

٢ ــ الحضارة تمثل خلفية لمقرر اللغة : وهنا يصمم المقرر ، بحيث يوضع في إطار من الحضارة ، أو من الحياة العربية الإسلامية ، وهذا ما هو قائم بالفعل بالنسبة لأغلب الكتب المدرسية والمقررات التي تدور حول رحلة إلى بلد عربي أو أسرة عربية ، ومثل هذه المقررات ، إذا لم تنفذ بصورة جيدة ، يمكن أن تصبح على جانب كبير من الخطورة ، إذ هي توهم بتحقيق حل لمشكلة تعليم الحضارة في حين أن العملية ليست أكثر من ذر للرماد في العيون .

صحيح أنه من المفيد طبع النصوص بطابع الحياة الإسلامية العربية ، مع الالتزام بمبدأ التدرج على مستوى النحو والمفردات ، ولكن ذلك لا يحل مشكلة تعليم الحضارة من خلال تعليم اللغة .

٣ ــ تقديم ملامح من الحضارة للطالب خارج إطار المقرر : وأخيراً ، يستطيع المدرس ، خارج إطار المقرر ، أن يقدم إلى الطلاب بعض ملامح الحضارة الإسلامية بطرق مختلفة منها الجيد والرديء ، ومن أردئها ، للأسف ، ومن أكثرها شيوعاً ، الطريقة التي تفرض على الطلاب في السنة الأولى أو الثانية دراسة ملخصات في تاريخ أو جغرافية هذه البلاد ، سواء باللغة العربية أو بلغة الطالب . هذا في حين أن الفائدة الكبرى تكمن في تقديم كل ما من شأنه أن يثير فضول الطلاب نحو البلاد التي يدرس لغتها من مثل المعينات البصرية من أفلام وصور فوتوغرافية ورسوم وبطاقات أو طوابع بريدية . هذا ، بالإضافة إلى كل أنواع الأنشطة غير المنهجية من مثل المراسلات وتبادل الطوابع وغيرها ، والتعليق على الأفلام ، أو البرامج التلفزيونية التي تدور حول البلاد العربية والإسلامية ، وباختصار كل ما من شأنه أن يدعم الحافز عند الطالب نحو معرفة أفضل لهذه البلاد (وفي ذات الوقت يقوى هذا الحافز لتعليم اللغة العربية) . ولكن ، مع ما تحققه كل هذه الوسائل من فائدة ، فإنها للأسف ، كما قدمنا ، تتم خارج إطار المقرر ، وبعيداً عن التدرج الذي يسير عليه .

نخلص مما تقدم إلى أن مشكلة تدريس الحضارة في السنوات الأولى من تعليم اللغة العربية لم تحقق تقدماً ملحوظاً ، فالواقع أن الحضارة لا تدرس في هذا المستوى (تدرس اللغة بدون الحضارة) ، أو هي تدرس بطريقة غير تربوية (تدريس الحضارة بشكل موسع على حساب اللغة) .

وإذا كنا بصدد العلاقة بين اللغة والحضارة ، فلنحاول أن نناقش موضوع الحضارة للمبتدئين من خلال اللغة العربية الأساسية ، ومع أنه لم يتم حتى الآن حصر شامل ونهائي للغة العربية الأساسية لمختلف المستويات ، بل ولا حتى للمستوى الأولي ، فلنفترض وجود مثل هذا الحصر على الأقل للمستوى الأولي ، لأن المناقشة لن تكون حول محتوى هذه اللغة الأساسية بقدر ما ستكون حول طريقة استغلالها لخدمة الأهداف الحضارية . ولا شك أن أي حصر للغة العربية الأساسية في هذا المستوى الأولي ، يجب أن يشتمل على ألفاظ من مثل : طالب وموظف ومدرس . ولا شك أيضاً أن مثل هذه الألفاظ توجد في كل لغات العالم . ففي كل بلد في العالم تقريباً ، يوجد طلاب وموظفون ومدرسون وآباء وأمهات وأبناء ، كما توجد أفعال : أكل وشرب ونام وعمل . **إن المهم ليس تقديم مثل هذه العناصر على نحو ما تقدم به في أية لغة أخرى أو على نحو عام ، وإنما المهم تقديمها في إطارات ، صحيح أنها تقليدية ، ولكنها تحمل الطابع العربي الإسلامي الذي يميزها عن مثيلتها في اللغات الأخرى ،** لأن الرأي السائد بالنسبة للحضارة ، كما هي الحال بالنسبة للغة ، ألا نبدأ فنقدم للطالب

الأجنبي ما له مثيل في لغته الأم وحضارته ؛ ولكن بالعكس ، يجب أن تكون نقطة الانطلاق تقديم ما يتميّز ويختلف عن لغة الطالب وحضارته ، ما يحمل الطابع العربي الإسلامي ، وما تنفرد به عبقرية اللغة العربية . وأول سبب لذلك هو تجنّب التداخل اللغوي والحضاري منذ الدروس الأولى .

وفي ضوء هذا المفهوم ، علينا ألا نكتفي بتقديم مفردات وتراكيب الطعام ـ مثلاً ـ بالشكل العام العادي ؛ بل يجب أن نضيف إلى إطار الوجبة الشائع من الحقائق والقيم والتقاليد والعادات الإسلامية العربية ، ما يميّزها عن الوجبة في لغة وبيئة الطالب ، بحيث يكون هناك ، إلى جانب الحافز « اللغوي » المحض ، حافز آخر « معرفي » أو حضاري ، وكأمثلة على العناصر أو الإضافات المميّزة يمكن أن نذكر في مجال الوجبة : غسل اليدين قبل الأكل ـ التسمية ـ اجتماع الأسرة لتناول الطعام معاً في البيت ـ عدم شرب الخمور ـ تخصيص ثلث المعدة للأكل وثلث للشراب وثلث للنفس ـ عدم أكل لحم الخنزير ـ الأكل باليد اليمنى . . . إلخ . وهكذا يوظف الموضوع العادي والمفردات العادية ، في إطار القيم والحضارة العربية الإسلامية(*) .

وهذا مثال واحد من عشرات الأمثلة التي يمكن استخلاصها من اللغة الأساسية مع طبعها بالطابع الذي قد لا يوجد في لغة الطالب وحضارة الطالب . ويمكن تطبيق ذلك على سائر الموضوعات العادية التي توظف فيها اللغة الأساسية في أية لغة : المنزل ـ الأسرة ـ المدرسة ـ السوق ـ الطبيب . . . إلخ .

كما يمكن إضافة موضوعات أخرى تختلف أساساً عن تلك الموضوعات العامة الشائعة بين الشعوب المختلفة : المسجد ـ الصلاة ـ وصلاة الجماعة ـ وصلاة الجمعة ـ وصلاة العيدين ـ والحج ـ والعمرة ـ والمناسك . . . إلخ .

وكما نرى ، يتم ذلك كله بشكل طبيعي دون إقحام . والأهم من ذلك أنه يتم داخل إطار تدريس اللغة العربية ، ومن خلال هذا التدريس ، **وبذلك تكف اللغة عن الدوران في حلقات التدريبات النمطية الفارغة ، وتصبح اللغة بحق وسيلة اتصال لديها ما توصله ، ألا وهو قيم أهل اللغة وحضارتهم .**

وعلى المستوى الدلالي ، وفي إطار موضوع الأسرة تُشرح المفردات التي تنفرد بها اللغة العربية ، تأكيداً لعبقرية هذه اللغة من مثل : عم وخال وجد وحفيد ووالدين ، فكل من هذه الكلمات يُعبَّر عنه في كثير من اللغات الأخرى (الإنجليزية ، والفرنسية ، والإيطالية ، والإسبانية ، والألمانية) بكلمتين ؛ بل إن كلمة خال يُعبَّر عنها في هذه اللغات باصطلاح : « عم من ناحية الأم » .

وبالمثل على الصعيد النحوي ، توجد في اللغة العربية مفاهيم وتصورات لحقائق واقعية وسلوكية مرتبطة بعادات وتقاليد حضارية عند أهل هذه اللغة قد لا يكون لها مثيل عند غيرهم من الشعوب ، وبالذات في أشهر اللغات الحية . من ذلك استعمال المثنى في الأسماء والصفات والأفعال ، وتأنيث الفعل ، وتأنيث ضمير المخاطب ، فهل مثل هذه العناصر المميّزة للغة على المستوى النحوي ، هل هي مجرد حقائق نحوية محض ، أم هي أيضاً تعبّر عن أنماط سلوكية ترتبط بسياقات حضارية معيّنة ؟ .

إننا لا نستطيع أن نزعم أن اللغة العربية أو أي لغة في العالم تعبّر عن تصورها للعالم والحقائق بصورة شخصية فردية « لا نظير لها في أي لغة أخرى » . كذلك لا نستطيع أن نقبل نقيض هذا الزعم تماماً ؛ وإلا لأمكن ترجمة كل شيء ، أو التعبير عن أي شيء ، بشرحه بجملة قد تطول أو تقصر . إن كل ما نريده ، هو أن يدرك مدرسو اللغة العربية للأجانب أن تعبيرات من أبسط التعبيرات في اللغة العربية وأكثرها شيوعاً من مثل : السلام عليكم ! ، سأخرج بعد قليل . حضرت منذ قليل . . يمكن أن تكون تعبيرات صعبة بالنسبة للطالب الأجنبي ، فلا يكفي أن نشرح له تحية الإسلام بما يقابلها في لغته الأم ، أو لغة وسيطة من مثل ما يترجم بالعربية « بصباح سعيد » ، أو « مساء سعيد » ، حتى لا يُقصر الطالب استعماله للعبارة العربية على الحالات النادرة التي يضطره فيها السياق الموقفي إلى استعمال ما يقابلها في لغته الأم . . يجب أن نعلمه أن يستعمل العبارة العربية في جميع الحالات التي تستعمل فيها في اللغة العربية ، وفي البيئة العربية الإسلامية . . كذلك يجب أن يتعلم الطالب الأجنبي أن يستعمل زمن المستقبل أو الماضي في جميع الحالات التي تفرض ذلك في اللغة العربية ، في حين أنه قد يكون في لغته الأم درجات للمستقبل وللماضي ، من مثل : الماضي القريب والماضي البعيد والماضي البسيط والماضي المركب والماضي المستمر ، والمستقبل القريب والمستقبل البعيد والمستقبل .

اللغة والموقف

ذكرنا في معرض حديثنا ضرورة وضع اللغة في سياق موقفي ، وقد كثر الحديث في طرق التعليم الحديثة ، خصوصاً بالنسبة للغات الحية ، عن الموقف وضرورة التزام المقررات والكتب الدراسية بالاعتماد عليه في عرض عناصر اللغة حتى تصبح اللغة الأجنبية لغة حية بالفعل ، وعلى ذلك فقد زاد نصيب الحوارات في الكتب المدرسية والمقررات بالنسبة للنصوص السردية أو الوصفية القديمة التي كانت سائدة في كتب تعليم اللغات . والحقيقة أن وضع اللغة في مواقف هو إكساب الطالب لأنماط من السلوك اللغوي ما كان له أن يكتسبها لو أنه ظل يتخذ من اللغة موقف المتفرج .

كذلك فلا ينبغي أن يُصنع الحوار فقط من أجل متطلبات الفن الحواري وواقعيته وحيويته ، مع الالتزام بضرورات التدرج النحوي ؛ بل ينبغي أيضاً أن نأخذ في الاعتبار ، النتائج اللغوية للسياق الموقفي . إذ إن هذا السياق الحواري ، يستلزم سلسلة من الاختيارات من بين صيغ بسيطة ، ولكنها ذات صبْغة حضارية وتعتمد في استعمالها « في موقف » على الجوانب الاجتماعية الثقافية للغة . ولذلك فإن معظم الحوارات تتطلب استعمال بعض التعبيرات التقليدية ، من مثل : عبارات التحية والوداع والشكر والتمييز بين « أنتَ وأنتِ » ، وذلك حتى لا يقع الطالب الأجنبي في أخطاء التقابل اللغوي مع لغته الأم .

نتائج تربوية

إن الاعتبارات التي سقناها والقائمة حول العلاقات بين اللغة والحضارة بالنسبة للمفردات والقواعد وأنماط السلوك اللغوية الموقفية ، تُفضي بنا إلى سلسلة من النتائج التربوية :

١ ـ إن تدريس الحضارة للمبتدئين ، يقوم بصفة خاصة على تجنب التداخل اللغوي الذي يمكن أن يسببه التداخل الحضاري ، وعلى ذلك فإن تعليم اللغة العربية يجب أن يتضمن المفاهيم الحضارية .

٢ ــ هذه المفاهيم الضئيلة تتميّز في الواقع بغزارة شديدة إذا ما تنبه إليها المدرسون ، ومن المفيد جداً في هذا الصدد أن يقوموا بمراجعة المحتوى اللغوي للكتب الدراسية والنصوص أو الحوارات التي يستعملونها في تعليم اللغة العربية .

٣ ــ وكما هي الحال بالنسبة للصوتيات والقواعد ، فإن اطلاع الطلاب على الجانب الحضاري في المستوى اللغوي يجب أن يعتمد على المقارنة بحضارة الطالب ، وبذلك يصبح تعلم الحضارة في البداية تعلماً مقارناً وتقابلياً .

٤ ــ وعلى النقيض مما يحدث بالنسبة للصوتيات والقواعد ، حيث المقارنة اللغوية لا تخدم سوى المدرس ، إذ تساعده في تحديد التدرج الذي يسير عليه ، فإن الاختلافات الحضارية التي يمكن أن تثير التداخل الحضاري يجب أن تُشرح للطلاب .

٥ ــ هذه المهمة تحتاج من المدرس إلى دقة فائقة ، وحذق شديد ، وحذر بالغ ، فالواقع أنه إذا كان يجب عليه أن يكشف بالتدريج عن الاختلافات الحضارية ، فذلك بغرض شرحها وإفهامها للطلاب وضمان قبولها من جانب الطلاب الأجانب ، لذلك يجب عليه أن يتجنب عرض الحضارات أو إحداها باعتبارها **قيماً شاذة غريبة** . بل عليه أن يذكر دائماً أن دوره لا يكمن في «**المعارضة بين نمطين من البشر ، ولكن في إثارة اهتمام كل من النمطين بالآخر لأنهما متشابهان ومختلفان**» .

٦ ــ هذا التدريس لا يجب أن يكون شمولياً ، بل ينبغي على المدرس ألا يترك شيئاً في اللغة يمر دون أن يقدم الشرح الضروري ، الذي يتعلق به على الصعيد الحضاري ، وبالتالي يجب أن يكون تدريس الحضارة قائماً على مبدأ التدرج .

٧ ــ وطبقاً لضرورات التدرج ، يجب أن يلتزم هذا التدريس بالتدرج في الأهمية أو الأولويات ، فمع الطلاب المبتدئين يُقتصر على الملامح ذات المغزى في الحضارة مع التغاضي عن الفروق والاختلافات الإقليمية المعقدة والجوانب البالية ، فلا داعي ــ مثلاً ــ للتركيز على بعض المهن التي تُعتبر في طريق الزوال .

٨ ــ ولا شك أن هذا التدريس التوافقي ، والمنتظم في ذات الوقت ، يجب أن يكون أفقياً لا رأسياً ، بمعنى ألا يخوض كثيراً في أعماق التاريخ . ومع ذلك ففي حالة حضارة ثرية بالقيم والعادات ، كالحضارة العربية الإسلامية ، فإن انعكاس الماضي على الحاضر يتجلى في مواطن كثيرة ، مما يتيح للمدرس عدم الانغلاق في إطار السطحيات العصرية ، إذ إن العناصر التاريخية أو التقليدية الماثلة في حقائق الواقع المعاصر يمكن ، بل يجب أن تكون مادة للشرح المبسط .

إن تدريس الحضارة بهذه الجزئيات ، البسيطة في ظاهرها وحسب ، ودمج هذا التدريس باللغة ، ليس مهمة هيّنة ، بل قد تتطلب مجهوداً ودقة من جانب المدرس أكثر مما لو طُلب منه عمل محاضرات في الفن الإسلامي أو في الإنجازات العلمية الحديثة التي حققتها البلاد العربية الإسلامية .

بقي أن نعرف في أي مرحلة من مراحل درس اللغة يمكن للمدرس أن يعرّج على الجوانب الحضارية . الواقع أن من الأفضل ألا يكون تدريس الحضارة سبباً في إحداث خلل في مسار درس اللغة ، ذلك المسار الذي يميل اليوم بل ويلتزم بالدقة الشديدة ، ومع ذلك فمن بين المراحل المختلفة في درس اللغة ، **هناك مرحلتان يجب أن نستثنيهما من هذه المهمة ، وهما مرحلتا المراجعة والتثبيت ، فليس من المعقول أن تدرس الحضارة من خلال تمارين الأنماط . وعلى النقيض من ذلك ، فإن مرحلتي «العرض» ، و «التوظيف» هما أنسب المراحل لتدريس الحضارة** ، فالعرض الذي يتضمن شروحاً من خلال «سياقات متعددة» يسمح باستعمال الوسائل السمعية البصرية ، كما يسمح بتدارك التقابل الثقافي الذي يجب أن يستعد له المدرس مسبقاً . أما التوظيف ، فهو أكثر المراحل مرونة ، إذ إنه يستعمل كل الوسائل الفنية لإنعاش وتنشيط العناصر المدروسة ووضعها في مواقف ، كما يعيد تمثيل العناصر التي قُدِّمت في العرض ، وذلك في سياقات مختلفة ، كما يساعد الطلاب على التآلف مع المفردات أو التراكيب اللغوية المطبوعة بطابع الحضارة .

وأخيراً ، إذا كان مستوى الطلاب في السنة الثانية مثلاً يسمح بعمل دروس محادثة قصيرة ، فمن الممكن أن يصبح جانب الحضارة المقارن ، الذي سبق أن ذكرناه مادة لهذه الدروس ، بل ويمكن أيضاً في ختام هذه الدروس ، أن يُعرج على عمل تدريبات مراجعة وتثبيت حول المكتسبات الخاصة بالحضارة .

قلنا في بداية هذه الدراسة ، إن مشكلة تدريس الحضارة لا يمكن إهمالها أو التغاضي عنها حينما تصبح اللغة الحية مادة تربوية ، ذلك لأنه بالإضافة إلى الأسباب النفعية ، فإن التربويين يفكرون قبل كل شيء في توسيع آفاق الطالب الإنسانية . إن استغلال تدريس اللغة الحية في تعليم الطالب الاختلافات بين الثقافات والحضارات فيه إعداد له لتقبل هذه الثقافات وهذه الحضارات . إن تدريس الحضارة ، مرتبطاً بتدريس اللغة ، كما عرضنا ، منذ السنوات الأولى ، ما هو إلا استجابة لهذه الحاجة التي شعر بها المربون في العالم أجمع ، حينما زاد اهتمامهم بتعليم اللغات الحية ، ولن يتحقق هذا الهدف إذا اقتصر التدريس على أنماط الاتصال . لأنه من الممكن جداً أن يتحدث الناس نفس اللغة ، ولكن دون أن يفهم بعضهم بعضاً . إن دراسة اللغات وأبحاثها يجب أن توثق العلائق بين الإنسان وأخيه الإنسان ، أو بمعنى أفضل بين الإنسان وإخوانه في البشرية .

الهوامش

(١) انظر العدد الخاص من دورية «اللغة الفرنسية في العالم» ، أبريل ومايو (نيسان وأيار) عام ١٩٦٣م . العدد ١٦ .

(٢) كمثال على ذلك ، يعتبر تدريس حضارة البلاد التي تدرس لغاتها الحية في إيطاليا مادة إجبارية في المستوى المتوسط .

(٣) انظر : Martinet, A., Eléments de linguistique générale, Colin, Paris, 1962.

(٤) يضيق المجال عن ذكر الأمثلة التي لا حصر لها ، والتي تؤيد هذا الرأي ، يكفي أن نقرأ لكاتب مثل «أوجين يونسكو» بعض مسرحياته القصيرة مثل : «المغنية الصلعاء» ، و «الدرس» ، و «الكراسي» ، و «مشهد رباعي» ، و «تحريف ثنائي» .

(٥) يمكن استغلال موضوع الطعام والوجبات لإضافة المفاهيم والألفاظ الخاصة بوجبتي السحور ، والإفطار ، وإبراز المعنى الإضافي الإسلامي للفظ الإفطار في هذا السياق . ومن هذا المنطلق تقدم حقائق الإسلام الكبرى وأركانه الأساسية غير الصوم .

بعض المراجع

(1) Martinet, A., Eléméents de linguistique générale, Colin, Paris, 1962.

(2) Fishman, Sociolinguistiques, Bruxelles et Paris, 1971.

(3) Darbelent, Sématique et Civilisation, en "Le Français dans le monde", no 81, Juin 1971.

أين الألفبائية الصوتية العربية؟

بقلم: د. عبد العزيز السويل

اللغة هي وسيلة الاتصال الشفهي الوحيدة التي تمكن الفرد من الاتصال بغيره من أفراد مجتمعه. واللغة هي مادة علم اللغويات الحديث وصلبه. ويقصد بلفظ «لغة»، في إطار هذا العلم، اللغة الشفهية فقط، وهذا يعني إقصاء اللغة المكتوبة والتفريق بين اللغتين مهم وضروري، فاللغة «المحكية» هي وسيلة الاتصال بين أفراد المجتمع كافة بينما يقتصر استخدام اللغة «المكتوبة» على أولئك القادرين على التفاهم بها.

وفي اللغة المكتوبة لا يمكن الاتصال مباشرة مما قد يولِّد فتوراً في الرسالة فالكتابة مجرد «تجميد للكلام» في صورة واحدة ثابتة وهذا أشبه ما يكون بتثبيت صورة إنسان فتظل كما هي، بينما ينمو الإنسان وتتغير ملامحه. وليس الأمر كذلك في حال النطق باللغة إذ تخضع هذه لظروف اللحظة الكلامية وهي أكثر قابلية للتعبير عن متغيرات الحال وبالتالي عكس هذه المتغيرات بأساليب متعددة قد تصوِّر كلها بصورة كتابية واحدة.

ولا يعادل الكلام في أهميته للإنسان إلا الماء والهواء فلولاه لما تمكن الإنسان من مدّ جسور التفاهم بينه وبين الأفراد الآخرين في جماعته. ولظل فكر الإنسان حبيس ذهنه. بل لقد ذهب بعض علماء الإنسان إلى القول: إنه لا فكر أصلاً بلا لغة. وهكذا فالإنسان عاجز عن التعبير عن أفكاره ومشاعره وعواطفه إلا عن طريق اللغة. واستخدام اللغة المنطوقة لهذه الحاجات جعلها عرضة للتغير والتبدل المستمر تبعاً لتغيُّر هذه الأمور وتبدلها. ولكن هذا التغيُّر ـ ولحسن الطالع ـ يسير وفق أطر ومسارات منتظمة يمكن التنبوء بها وتتبع أصولها وفروعها.

ولقد حدثت هوة عميقة بين اللغة المنطوقة وصورتها المكتوبة بسبب هذه الاختلافات. وأقرب مثال لهذه الهوة ما يلحظه من يعرف اللغات الأوروبية كالإنجليزية والفرنسية. ففي **الإنجليزية** مثلاً يتعلم طلاب المدارس أن في اللغة ستة وعشرين حرفاً. خمسة منها متحركة والباقية سواكن. ولكن الواقع أن في اللغة الإنجليزية ما لا يقل عن ثلاثة وأربعين «فونيمة» منها تسعة عشر صوتاً متحركاً والباقيات ساكنة. ولا مجال لتقديم وصف تفصيلي ودقيق لهذه اللغة إلا بمعرفة كل هذه الأصوات والقدرات على وصفها ورسمها بدقة متناهية. وهكذا الأمر بالنسبة لكل اللغات الإنسانية الحية. لا تتيح إذاً ألفبائية الكتابة الإنجليزية تصوير اللغة كما هي اليوم تصويراً يمثل واقعها. بل إن نقصاً خطيراً أصاب تلك الألفبائية بسبب تطور اللغة المنطوقة وعدم بقائها على حالها يوم اتُخذت تلك الألفبائية لتصوير اللغة.

دراسة اللغات

كيف يستطيع علماء اللغة دراسة اللغات إذاً؟

لا يمكن القول إن الحل لهذه المعضلة يمكن في تغيير ألفبائية الكتابة كلما حدثت هوة بينها وبين لغة الحديث بسبب تطور الأخيرة ففي ذلك خطر جسيم قد يؤدي إلى قطع الأجيال عن تراثها المكتوب. فالكتابة أولاً وأخيراً هي الأسلوب التقليدي وربما الوحيد المأمون لنقل التراث عبر الأجيال، ولا بد من الإبقاء على صورة كتابية واحدة يتفق المجتمع عليها لتسجيل لغته على الورق. وعلى علماء اللغة أن يجدوا حلاً لمشكلتهم غير العبث برموز الكتابة الأصلية، وهذا بالضبط هو ما اتفق عليه هؤلاء العلماء.

لقد توصل علماء اللغة في الغرب إلى ما أطلق عليه اصطلاحاً «**الكتابة الصوتية**» وهي عبارة عن تصوير صوتي دقيق لكل فونيمة بألفبائية مفصَّلة تفصيلاً كافياً لذلك. **وأشهر الفبائية تم استخدامها للكتابة الصوتية هي ما يعرف بالألفبائية الصوتية العالمية وتعرف اختصاراً بـ (IPA)**[1]، وهي عبارة عن إفراد رمز كتابي مستقل لكل صوت ممكن في أغلب اللغات واللهجات العالمية. ونقول «أغلب» لعدم إمكانية شمول كل لغات ولهجات العالم.

دور المسلمين

ولم يأت علماء الغرب بجديد في هذا المجال فقد سبقهم **المسلمون** إلى ذلك بأكثر من ألف ومائتي سنة عندما واجهوا نفس المشكلة في درسهم النحوي، وقد كان للجانب الصوتي للغة أهمية خاصة في **النحو العربي الإسلامي** وتمثل ذلك فيما يُعرف **بعلم التجويد والقراءات** بل إن النحاة عُنوا بهذا المنحى عناية خاصة حدت **بابن جني** إلى إفراد كتاب يعالج دراسة الأصوات بشكل خاص وهو مؤلفه «**سر صناعة الإعراب**».

وابن جني يعتبر رائد مدرسة الأصوات العربية بلا منازع. ولعل أول من اهتم بالألفبائية الصوتية كان **الخليل بن أحمد** في كتابه «**العين**»، وتشتمل محاولة الخليل على تسعة وعشرين حرفاً رتَّب أصواتها تبعاً لمخارجها بدءً من الحلقية وحتى الشفوية وكان **لسيبويه** في «**الكتاب**» محاولة أخرى تختلف كثيراً عن ما ذهب إليه الخليل وتلاهما ابن جني الذي اتفق مع سيبويه مع تعديل بسيط[2].

ولا شك أن اتخاذ هذه المحاولات الجادة كحل لمشكلة اللغويات العربية الحديثة أمر يحتمه المنطق وتقتضيه الضرورة. وسأقدم فيما يلي

تلخيصاً لهذه المشكلة، لقد خبت شرارة الدراسات اللغوية في الشرق شأنها في ذلك شأن غيرها من مجالات العلم الأخرى وانتقل مشعل الحضارة إلى الغرب فذهبنا إلى ديارهم لتلقي العلم كما أتوا هم يوماً إلى ديارنا لذلك. وكان من الذاهبين، طلاب العلوم اللغوية الذين قدموا أطروحات شيّقة عن اللغة العربية ولهجاتها. وكُتبت تلك البحوث بلغات بلاد التعليم (الإنجليزية والفرنسية غالباً)، وتم تبعاً لذلك استخدام الألفبائية الصوتية العالمية ذات الرموز اللاتينية. وتلك ولا شك مرحلة هامة ومطلوبة للحاق بركب العالم المتحضر، والوقوف على أحدث نظريات العلم. وإذا ما تم مزج هذا بما عندنا من تراث لغوي وعلمي ثر، نخرج بتجربة علمية نادرة لا يتوفر غيرنا عليها. ولكن تلك المرحلة انتهت أو أوشكت على الانتهاء، فقد عاد الطلاب وأخذوا زمام العلم في بلادهم ولم يعد مقبولا منهم كتابة أبحاثهم بلغات أجنبية ولغتهم أقدر على ذلك وأجدر به، خاصة إذا كان المجال في علم اللغة نفسه، حيث التراث اللغوي الجم والمنهج البحثي المتميّز. **وليس من المنطق في شيء أن يكتب علماؤنا بحوثهم بالعربية ويستخدمون رموزاً أجنبية لتمثيل ما يريدون**. والحل المعقول هنا هو تبني ألفبائية صوتية عربية وعندما نقول عربية، فإننا نشير إلى كل اللغات الشرقية وأعتقد جازماً بجدارة العربية بذلك لعدة أسباب لعل أهمها أن العربية كانت قد قامت بدور موحّد في تاريخ العالم الإسلامي، فهي لغة المسلمين حقاً في المحافل العالمية وعلى رأسها **هيئة الأمم المتحدة**. هذا طبعاً عدا كونها لغة الإسلام وإناؤه. كما إن جذور اللغة استطاعت يوم عزها أن تكون وعاءً لكل الدراسات، العلمية ويمكنها أن تقوم بنفس الدور اليوم. ثم إن بعض اللغات الشرقية الإسلامية تستخدم الحروف العربية في كتابتها إلى اليوم، وهكذا فهذه اللغة ليست عربية فقط بل هي قبل ذلك إسلامية. العربية إذن هي الخيار الأمثل لصياغة هذه الألفبائية والاتفاق عليها. ويبقى أن يطرح المرء السؤال التالي:

ما أهمية وجود هذه الألفبائية في اللغة العربية؟

أرى لهذا الجانب وجهان رئيسان:

● **الأول**: دراسة اللغة العربية الفصحى وعلومها وما يرتبط بها من لغات العالم الإسلامي.

● **الثاني**: دراسة اللهجات غير المكتوبة وتراث الشعوب الإسلامية والعربية وآدابها.(٣)

أما من حيث الوجه الأول فلا شك أن وجود مثل هذه الألفبائية سيعطي العربية بعداً آخر يجعل منها وعاء قابلاً لدراسة غيرها من اللغات واللهجات وهو أمر جد مطلوب لتوطيد علاقات الإخاء والود مع العالم وخاصة الإسلامي في إفريقيا وآسيا. ولضبط النطق أهمية خاصة في مجال تعلم العربية لغير الناطقين بها.

كما أن الحاجة قائمة إلى وسيلة لضبط نطق **اللهجات العربية** القديمة ودراستها دراسة مستفيضة تبين عن كوامنها وتحدد أطرها، وسيفيد من ذلك كل مجالات الدرس العربي كالشعر والنقد والبلاغة. كما سيكون ذلك بمثابة إضافة قيّمة وجديدة لعلم هام ومتطور هو علم التجويد. بل إن علوم أخرى **كالجغرافيا والتاريخ** وغيرها ستفيد إفادة جمّة من هذه الألفبائية، فلطالما عانى المختصون من ضبط نطق أسماء المناطق والأعلام. **وستكون الألفبائية الصوتية ضرورة في المجالات الإعلامية خاصة الشفهية منها كالإذاعة والتلفزيون وما في حكمها**.

أما فيما يتعلق بالوجه الثاني فإن دراسة اللهجات المحكية أصبحت أمراً واقعاً تحتمه ظروف مجتمعاتنا الراهنة. وهي دراسات يجب أن تتم بلغتنا لا بغيرها وعلى من يريد أن يعرف عنها شيئاً أن يقرأ ذلك بالعربية وإن لم يجدها فليتعلمها. أما إن كان القارئ والكاتب من أهل العربية، فالكتابة والقراءة عنها بغير العربية كارثة حضارية يجب تلافيها، وإذا كان لا بد من الكتابة عن هذه اللهجات بالعربية فليس من المعقول رصد نطقها بحروف غير عربية خاصة وأن لغة التحدث قادرة على استيعاب ذلك بل قد تفوق غيرها في ذلك. **ولا ينكر عاقل أهمية دراسة المأثور الشعبي من حكم وأمثال وأشعار وقصص وأساطير وحكايات شعبية**. وتلك بالفعل مواضيع دراسات مكتوبة بالعربية ولكنها تعاني من ضبط الشكل وصعوبة تحديد النطق لفقر ألفبائية الكتابة العربية عن الإلمام بكل أصوات تلك اللهجات مما يضطر الباحثين إلى استخدام حروف قد تفسد المطلوب وتشوه النطق. ولا سبيل إلى التغلب على هذه المشاكل إلا بالاتفاق على ألفبائية صوتية.

ألفبائية مساندة

لا بد من الإشارة هنا إلى أن المطلوب هو ألفبائية مساندة للألفبائية العربية وليس بديلة لها. وتكون الألفبائية الصوتية لغة علم لا شأن للعامة بها. ولا يُكتب بها إلا ما لا يمكن تمثيله بالألفبائية العربية المعتمدة للكتابة. كما أن الاتفاق على المواصفات الدقيقة لهذه الألفبائية ضرورة يحتمها الواقع العملي. ولا بد من تحديد سمات الرموز بشكل مفصّل من حيث كل من الشكل والمضمون. وتكون تلك السمات مما يضمن الألفبائية المقترحة أكبر قدر من الموافقة والقبول من جمهور العلماء والباحثين في المجالات اللغوية. وهذا بلا شك يفوق قدرة الأفراد ولا بد له من البحث الجماعي كأن تُعقد ندوة أو مؤتمر يكون من مهامه الاتفاق على تلك الوسيلة اللغوية الهامة. ولقد كان لكاتب هذه السطور تجربة هي جهد المقل في هذا المجال وهي عبارة عن اقتراح موجّه لعلماء الصوتيات العرب علّه يجد أذناً صاغية.

الهوامش

(١) International Phonetic Alphabet.

(٢) انظر: بحث المؤلف «نحو ألفبائية صوتية عربية موحدة. اقتراح لعلماء الصوتيات العرب»، مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المجلد الثالث عشر، العدد الأول.

(٣) انظر: المرجع السابق لتفصيل ذلك.

دور المستشرقين في إبراز جوانب الإبداع في الفكر الجغرافي العربي

بقلم: د. سعيد حسين علي

المستشرقون مجموعة من غير العرب، من رواد التتبع العلمي، أيقنوا أصالة التراث الفكري العربي بمختلف فروعه، ومن ضمنه التراث الجغرافي، فأسهموا في توضيح جوانب الإبداع في الفكر المذكور، وفي هذه المقالة، نريد أن نسلّط الضوء على شهاداتهم في أصالة علم الجغرافية عند العرب ضمن نقطة معينة ركّز عليها أولئك المستشرقين بصورة واضحة. ونحن بهذا لا نريد أن نلم بجميع ما كتبه المستشرقون في هذا المضمار، وإنما سنناقش ذلك الجانب الذي أثار اهتمامهم من فكر العرب.

المنهج الميداني

فبصدد ما كتبه **آدم متز** عن الدور الكبير الذي لعبه **الكندي**، كرائد من رواد النهضة العلمية التي ظهرت في القرن الثالث الهجري (٢٠٠ هـ، أي حوالي ٨٠٠م)، فإنه حفزنا لما فات الباحث من إهمال ذكر رسائله الجغرافية الأصيلة عن المطر والضباب والحرارة والبرودة... والتعليل العلمي للظواهر الطبيعية، تعليلاً لم يسبقه إليه أحد في أصالته وصحته، فمن الإجحاف أن ينعت هذا الفيلسوف العربي بكونه ممثل الجغرافية اليونانية[١].

وقد ذكر المستشرق المذكور آراءه في كتابات الجغرافيين العرب، ومنهم **اليعقوبي** الذي اعتبره أول الجغرافيين العرب، اعتمد على مشاهداته الشخصية، وملاحظاته الخاصة في وصف الممالك[٢].

لم تقف تعاليم الدين الإسلامي عقبة أمام نشاط العرب العلمي، على العكس من الديانتين اليهودية والمسيحية، وهذه ميزة اهتمت بها المستشرقة الألمانية **زيغريد هونكه**، التي وصفت الإيمان الحرفي المطلق بما ورد من معلومات في التوراة، حاجزاً ضد تقدم كل بحث يعارض تلك المعلومات ولفترة طويلة امتدت مئات السنين[٣]، كما كانت الكنيسة في العصور الوسطى، تعتبر أي اجتهاد وتعليل يتعارض مع تعاليمها هرطقة يعاقب عليها فاعلها.

لقد أثّر الفكر الجغرافي العربي لدرجة كبيرة في حدوث قفزة حضارية عند الأوروبيين بالدرجة الأولى. وإن مصطلح (الغرب الإسلامي) بنظر الأوروبيين، يعتبر اعترافاً ضمنياً بتأثير حضارة العرب المسلمين في الأندلس، وقد حاول المؤرخون الدفاع عنه وتسويغ استعماله في كتاباتهم، ومنهم المستشرق **(ليفي بروفنسال)** الذي جعله يمتد (من المغرب العربي، وشبه جزيرة إيبريا على تخوم المحيط الأطلسي، وعلى جانبي الطرف الأقصى من عالم البحر المتوسط)[٤]، تلك الأصقاع التي تأثرت بحضارة العرب.

وقد جاءت محاولة المستشرق الدكتور **غوستاف لوبون**، بمقارنة دقة العرب في بحوثهم الجغرافية عن ظواهر معينة، بما سبق أن بحث بتعليلات خاطئة من قبل اليونانيين بصفة خاصة، كنظرة جادة لإبراز التفوق العلمي للعرب على من سبقهم في هذا المضمار.

وفي هذا الجانب ركّز غوستاف لوبون على الحقائق العلمية التالية:

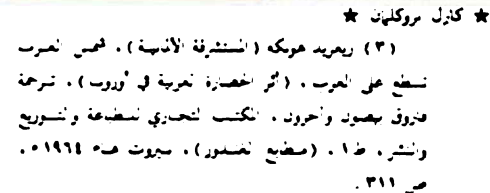
١ ـ وجود خطأ في تحديد المواقع الفلكية للمدن عند **بطليموس** (العالم اليوناني)، في حين تميّزت المواقع نفسها بالدقة التامة في كتب الجغرافيين العرب، كما أن العرب عيّنوا مقدار الخطأ في كتابات ذلك العالم في طول البحر المتوسط، الذي جعله يزيد عن طوله الحقيقي بمقدار ٤٠٠ فرسخ[٥].

٢ ـ تضمنت **خريطة الإدريسي** منابع نهر النيل[٦]، وهذا يدل دلالة قاطعة على وصول العرب إليها، في حين أن تلك المنابع تنسب خطأً على أنها من مكتشفات الأوروبيين في الوقت الحاضر، وبالتحديد من مكتشفات كل من **سبيك وغرانت**.

الوصف الجغرافي

وفي مضمار الوصف الجغرافي والرحلات، فقد أعجب هؤلاء المستشرقون بدقتها، فقد بيّن **سير توماس آرنولد** الأثر المهم الذي تركه أداء فريضة الحج، في وضع كتب الوصف الجغرافي، كما أوضح ما للنشاط التجاري بين بلاد العالم وبلاد العرب، في ظهور العديد من الدراسات الوصفية عن اسم



★ توماس أرنولد ★ ★ و . ل . ديورنت ★ ★ كارل بروكلمان ★

وشعوب العالم[7]. كما أبرزت مجموعة المستشرقين المشتركين مع السير توماس آرنولد أهمية الدور الذي قام به الملاح العربي **أحمد بن ماجد** في توليه مهام قيادة بعثة **فاسكو دي جاما** من شرق إفريقيا إلى طريق الهند.

ويدلل **و . ل . ديورنت** على أن للعرب قصب السبق في وصف بلاد الصين، حيث إن رحلة **سليمان التاجر** سبقت رحلات **ماركو بولو** Marco polo إلى تلك البلاد بـ ٤٢٥ عاماً[8].

وتبعاً لذلك، فإن غوستاف لوبون أطلق على العرب صفة السياح القدامى، طبقاً لقدم رحلة التاجر العربي المذكور التي كتبها في عام ٨٥١م[9].

رسم الخرائط

يعقب المستشرق لويس يونغ على أن أهمية الجغرافيين المسلمين تكمن لا لكونهم تركوا لنا تراثاً جغرافياً ضخماً لبلاد شرقي آسيا وأجزاء من إفريقيا وجنوبي روسيا، إلى جانب البلاد الإسلامية فحسب. بل في كونهم أيضاً قد رسموا الخرائط الخاصة ببعض الأقاليم مما يعزز الدراسة التفصيلية أي (الجغرافية المحلية)[10].

وقد أولى المستشرق الروسي **كراتشكوفسكي** اهتماماً كبيراً للجانب **الكارتوغرافي** عند العرب، فقد اعتبر الدور الذي لعبته الخرائط العربية في توضيح العديد من خصائص الأقاليم، دوراً يميز المدرسة العربية في الجغرافيا، ويميل **شبرنجر** Sprenger **ونالينو** Nallino استناداً إلى كتاب **(الفهرست) لابن النديم**، إلى أن العرب تركوا لنا مجموعة ضخمة من الخرائط العربية، **هي من وضع أبي زيد البلخي** معتمداً على من سبقوه من العرب، وفيها ميل إلى رسم سواحل وأنهار العالم رسماً هندسياً[11]، وقد نالت خارطة البحر المتوسط **للإصطخري** اهتماماً واسعاً في مادة الجغرافية، حيث رسم البحر المذكور على شكل إهليلجي[12].

ويكفي في توضيح مقدار ما ساهم به الجغرافيون العرب، أن نطلع على كتب **البيروني** في الجغرافيا، فقد ذكر **كارل بروكلمان** أن هذا العالم تعلم السنسكريتية، التي فتحت له أسس المعرفة للثقافة الهندية الغنية من الوجهتين العلمية والدينية، مما جعله يشرع في تأليف كتابه عن الهند في عام ١١٠٧م[13].

ويؤكد الدكتور **لاسي أوليري** على أن تدقيق وتمحيص معلومات اليونانيين كان ديدن الجغرافيين العرب، فقياس محيط الأرض بتشجيع من **المأمون** ما هو إلا تدقيق للتجربة التي قام بها الجغرافي اليوناني Eratosthones **(ايراتوستين)**[14] واكتشاف الخطأ في القياس اليوناني، هو بمثابة تعبير عن أعمال العرب العلمية المأثورة[15].

الهوامش

(١) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، أو عصر النهضة في الإسلام، ج٢، مطابع مكتبة الخانجي، القاهرة، (سنة بلا تاريخ)، ص ٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٩.

(٣) زيغريد هونكه (المستشرقة الألمانية)، شمس العرب تسطع على الغرب، (أثر الحضارة العربية في أوروبا)، ترجمة فاروق بيضون وآخرون، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ط١، (مطابع المنصور)، بيروت عام ١٩٦٤م، ص ٣١١.

(٤) ليفي بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، مطبعة النحوي، بيروت (سنة بلا تاريخ)، ص ٥

(٥) الدكتور غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، حلب عام ١٩٦٩م، ص ٤٦٨.

(٦) المرجع السابق، ص ٤٧٠

(٧) سير توماس أرنولد، تراث الإسلام، لجنة من المستشرقين، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط٢، بيروت عام ١٩٧٢م.

(٨) و . ل . ديورنت، قصة الحضارة م ١٣، (عصر الإيمان)، ترجمة محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط٢، القاهرة عام ١٩٦٤م، ص ١٨٣.

(٩) وقد أكمل أبو زيد السيرافي هذه الرحلة في عام ٨٨٠م، وأضاف إليها معلومات جديدة عن عرب زاروا بلاد الصين. راجع: غوستاف لوبون، مرجع سابق، ص ٤٦٨.

(١٠) لويس يونغ، العرب وأوروبا، ترجمة ميشال أزرق، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، عام ١٩٧٩م، ص ١٠٣.

(١١) أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان، القسم الأول، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، عام ١٩٦٣م، ص ٢٠٥.

(١٢) المرجع السابق، ص ٢٠٨

(١٣) راجع في ذلك:

كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين ومنير البعلبكي، ط٥، مطابع دار العلم للملايين، بيروت، عام ١٩٦٨م، ص ٢٦٩.

(١٤) الدكتور لاسي أوليري، علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة الدكتور وهيب كامل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، عام ١٩٦٢م، ص ٢٢٣.

(١٥) عبد الرحمن البدوي، دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، وكالة المطبوعات، الكويت، عام ١٩٧٩م، ص ٢٥٢.

★ ★ ★ ★



بقلم: د. علي جواد الطاهر

١ ـ مسكويه في «منهج البحث»

مسكويه هو الأديب الفيلسوف الأخلاقي المؤرخ **أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه**، المتوفى سنة ٤٢١ هـ ـ ١٠٣٠ م، كتبه كثيرة متنوعة على تنوع فروع علمه. وهو معروف، ترجمت له الكتب القديمة مثل «**إرشاد الأريب**» لياقوت الحموي؛ ودرسته الكتب الحديثة، ومنها كتاب خاص به **للدكتور عبد العزيز عزت**. وكتبه معروفة، طبع منها غير قليل، أشهرها «**تهذيب الأخلاق**».

ونحن ـ هنا ـ منه في موقف محدود جداً هو «**منهج البحث**»، كما وردت مواد منه في كتاب له غير مشهور هو «**الهوامل والشوامل**»، والكتاب في حقيقته رسالتان: واحدة، تقوم على أسئلة وجهها إلى مسكويه **أبو حيان التوحيدي** (الأديب المفكر، صاحب الإمتاع والمؤانسة.. المتوفى على بعض الروايات عام ٤١٤ هـ)؛ وثانية، هي جوابات مسكويه موزعة على تلك الأسئلة. صدر الكتاب في القاهرة عام ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١ م، عن لجنة التأليف والترجمة والنشر: «نشره أحمد أمين، والسيد أحمد صقر». أسئلة أبي حيان التوحيدي متنوعة بين الفلسفة واللغة مشتتة هملاً، لم يرض مسكويه لنفسه الضياع والتشتت لدى الإجابة، وإنما رسم لنفسه ـ بمقتضاها ـ منهجاً يقيد شاردها ويضبط مشتتها، ومن ثم أعلنه صريحاً، والتزمه في دقة. ومن هنا تأتي أهميته الخاصة، تاركين «الأهميات» الأخرى لأصحابها. وإذا كان الكتاب مما لا يرد على بال الباحثين في مواده الأساس، فالأولى به أن لا يمر بخاطر الباحثين في «منهج البحث» عند العرب.

أجل، وقد كان مسكويه منهجياً على درجة عالية دلالة على نضجه وتمكنه، وعلامة على ما وصل عليه البحث والتأليف في الحضارة العربية ـ الإسلامية.

هي أسئلة كثيرة، وأقل ما يعني الجواب عنها هو الإيجاز والاكتفاء بالضروري، والنص على ذلك صراحة منذ البداية، ليكون المتلقي والسامع والقارئ على علم فيما هو مقبل عليه. وهذا هو الذي فعله مسكويه، إذ ختم مقدمته بقوله:

«وشرطنا إذا تكلمنا في مسألة أن نُبيِّن عويصها، ونشرح مشكلها، فإذا تعلق ذلك بكلام مسبوق إليه مقرر، وأصل محكوم به مثبت، قد شرحه غيرنا، وبيَّنه، لا سيما رجل مشهور بالحكمة، عالي الدرجة فيها، أرْشَدَنا إليه، ودلنا على موضعه، فإني رأيت ذلك أولى من تكلُّف نسخه ونقله والتكثر به، مع ذكريه إيماءً واختصاراً....».

هذا هو الأساس في البحث والتأليف، وفيه تفريق بين الأصل والفرع، وما يقال وما لا يقال، ويبقى بعد ذلك ما هو للمؤلف نفسه، وعليه تقوم شخصيته، وتتضح أصالته. وقد أدرك سلفاً أن التطويل ليس من المنهج، وأن الإعادة لا ترفع من شأنه، وإذا كان لا بد من الإفادة مما للآخرين، فبمقدار قليل لا يطغى على ما للمؤلف نفسه، ويكتفي بعد القليل بالإشارة إليه، والإحالة عليه. البحث تركيز ووقفة عند الأصل الذي هو للباحث.

أجل، وإذا كانت القضية المعروضة للبحث مشوشة متناقضة مختلطة، كان الموقف المنهجي هو الذي فعله مسكويه، أن لا يهجم على الجواب قبل أن يصفيها وينقيها، ويحدد صميمها، ويتبين الأصل والفرع، والأولي والثانوي.

لقد وجَّه أبو حيان التوحيدي (مرة) سؤالا مطولا (ص ص ٢٤ ـ ٢٦) متفرعاً مضطرباً، اختلطت ذيوله برؤوسه، وتقدم متأخره على متقدمه؛ وما كان لمثل مسكويه أن يقبل الحال كما هي، ويترك السائلَ في منجى من التنبيه، بل التقريع، وهكذا قال له:

«هذه المسألة موشَّحة بعدة مسائل طبعية [لعلها طبيعية]، وقد جعلتها مسألة واحدة، ولعل التي صيرتها أذناباً هي أشبه بأن تكون رؤوساً....».

وفعل مثل ذلك، عندما عاد أبو حيان التوحيدي إلى الحال ثانية (ص ص ٥٤ ـ ٥٦)، فذكره بالحال الأولى وقال:

«هذه المسألة التي ذنَّب فيها صاحبها بمسائل أعظم منها، وأبعد غوراً وأشد

اعتياصاً ، وأصابه فيها ما كان أصابه قبلُ في مسألة تقدمتها . . . » .

وإذا كان مسكويه قد دلنا على ما يجب في مقتضى المنهج ، من التمييز بين الرأس والذنب ، وألا نقدم الذنب على الرأس ؛ فإنه قد دلنا كذلك أن الذي يخالف المنهج قد يقع في ذلك لـ « داء يعتريه ، ومرض يلحقه . . . » ، وهذا صحيح كذلك .

ويظل مسكويه ملتزماً موقفه بحكم صفاء ذهنه ، وملتزماً التنبيه لدى اختلاط عناصر السؤال ، وتقرير موقفه من ذلك . ففي جواب عن سؤال (ص ٨٨) يقول :

« وكان ينبغي ألا تختلط هذه المسائل هذا الاختلاط ، فإني أرى المسألة الشريفة الصعبة إلى جانب الأخرى التي لا نسبة بينها قلّةً وسهولة . وليس للمجيب أن يقترح السؤال ، وينظِّم الشكوك [كذا] ؛ ولأجل هذا اضطررت إلى الكلام في جميعها على حسب مراتبها » .

فمن المنهج ألا تجيب عن الاختلاط بالاختلاط ، ولا بد من التمييز ، ومن المنهج كذلك ، أن تدفع عنك من يظن أنك لم تلتزم الإجابة على مقتضى السؤال .

وهكذا يبرهن مرة بعد مرة ، على ثبات الموقف لديه ، وأنه ليطيل أو يختصر في برهاناته حسب المقتضى ، وقد يكتفي بالسطرين كما في (ص ٩٥) :

« وجدت هذه المسائل مع اختلافها ما يتقارب ، وما يتباعد في المعاني ، فألفت الشكل إلى شكله ، ولم أراع تأليفها ونظمها » . ولو راعى التأليف الذي صدرت عن السائل كما هو لاضطرب الجواب فارق الشكل الشكل .

ويقع السائل في أحوال أخرى يحتاط المسؤول بحكم ما التزم من منهجه عن التكرار أو الإطالة بالتذكير بما مر منها ، جزءً فيقول (ص ٢٤٤) : « قد مر جواب هذه المسألة في عرض ما تكلمنا عليه في المسائل المتقدمة . . . » ، أو كلاّ فيقول (ص ٢٥٥) :

« هذه مسألة قد أجيب عنها فيما تقدم ، ولا معنى لتكرير الكلام فيها » .

ونسأل مسكويه عن موقف الباحث الذي اشترط الإيجاز من « مسألة » تتطلب الطول في الجواب ، فنراه يوجز بالضروري الذي يقتضيه الشرط ، ثم بعد ينقل الموضوع إلى رسالة خاصة به يؤلفها لتفي بالمطلوب ، ولتستكمل شرائطها الخاصة بها من المنهج . وهكذا موقفه من سؤال أبي حيان التوحيدي .

٢ ـ مقدمة الإلياذة

سليمان البستاني (١٨٥٦ ـ ١٩٢٥ م) ، من الشخصيات المدهشة في تاريخنا الحديث ، وأقصد بالمدهشة التي تثير العجب والإعجاب ، وتستدعي التقدير والتكريم . حياته حافلة بالأعمال والأسفار ، والسياسة والأدب ، وبلغ بالسياسة درجة الوزارة ، وبالأدب ترجمة « **الإلياذة** » ، وكتابة مقدمتها ، غير ما نشر من مقالات وألَّف في التاريخ ، مما صدر مطبوعاً أو ظل مخطوطاً . . . وعجيب في تلك الشخصيات بعد ذلك ـ وقبله ـ حبهم ـ وحبه ـ للعربية . . .

ولم يمض الرجل نسياً منسياً ، فقد احتُفل بمناسبة مرور مئة عام على ميلاده ، وأُلف فيه أكثر من كتاب . . . وظل اسمه يتردد كلما جرت مناسبة . . . وأكثر ما بقي من ذكره ما كان مرتبطاً بترجمة الإلياذة ، فما كانت الترجمة بالعمل السهل ، وما كان الباعث عليها بالباعث الهيِّن . والرجل يعرف عدة لغات ، على رأسها **الفرنسية والإنكليزية** . ويقرأ في هذه اللغات خوالد التراث وروائع الآثار : « وكنت كلما قرأت منظومة من المنظومات القديمة والحديثة ، زاد إعجابي بالإلياذة . لأنها ، وإن كانت أقدمهن عهداً ، فهي لا تزال أحدثهن رونقاً ، وأبهرهن رُواءً ، وأكثرهن جلاء ، وأوسعهن مجالا ، وأبلغهن جميعاً (. . .) ، فقلت ما أحرى لغتنا العربية أن تحرز مثالا من هذه الدرة اليتيمة . . . » .

وشرع ينفذ العزم وهو في **القاهرة** أخريات سنة ١٨٨٧ م ، ويسير حتى لو استدعى ذلك تعلم اللغة اليونانية . . . ويسير . . . حتى إذا أتم النقل ، رأى أن يكتب له مقدمة ، فكتب مقدمة على وجه الاستفاضة ، بلغت نحواً من مائتي صفحة ، ثم كتب « ديباجة » قدم بها جملة عمله في لطف وتواضع :

« هذه إلياذة **هوميروس** أزفها إلى قرّاء العربية شعراً عربياً . ولقد استنفدت وسعي في نظمها وإحكامها ، راجياً أن تكون محكمة التعريب ، خلية من شوائب اللكنة والعجمة . . . فإن أحسنت وفيه منتهى جهدي ، فذلك من حسنات الاجتهاد ، وإلا فحسبي أن أفتحه باباً يلجه من وفقه الله إلى سبيل السداد » .

لقد كانت الترجمة حدثاً ، وكانت عاملاً في النقاش الأدبي ، وباعثاً على النظر في واقع الشعر العربي ، وحافزاً للشعراء في أن يطيلوا ويتصيدوا الموضوعات . . . وسارت كلمة « ملحمة » مصطلحاً . . . براقاً . . . حمّله الاستعمال ما له وما ليس له ، وذلك دليل آخر على أهمية الحدث . . .

« نشرها بالقاهرة ، مطابع الهلال ، ربيع سنة ١٩٠٤ م . . . واستقبل الأدباء في مصر والأقطار العربية ، هذا الأثر الجليل ، على أنه حدث القرن في عالم الأدب ، فأفردت المجلات





والصحف أبواباً في درسه وتقريظه ، وتنادى ذوو العلم والوجاهة إلى تأليف لجنة تُعنى بتكريم المعرب في مهرجان كبير أقيم في فندق شبرد مساء الثلاثاء ١٤ حزيران (يونيو) عام ١٩٠٤ م ، وكان هذا المهرجان الأول من نوعه في بلاد العرب ، اشترك فيه عشرات من قادة الفكر والعلم والسياسة وروّاد النهضة الحديثة ، أمثال : **محمد عبده ، سعد زغلول ، إسماعيل صبري ... أحمد شوقي ، خليل مطران ، حافظ إبراهيم ....** » .

وكان للمقدمة وقع خاص ، وقع الرضى والاهتمام والاستفادة والعلم والتأثر ... ومن ثم فهي ليست مقدمة بالمعنى الرسمي للمقدمة ، وإنما هي ما يمكن أن يُعدّ كتاباً طبع في صدر الإلياذة ... ومن الناس من ذهب إلى أنها من الأهمية في النقد الأدبي ، بمكان مقدمة **ابن خلدون** في التاريخ وعلم الاجتماع ... ووراء القول إعجاب شديد ، وحماسة الاحتفال ... دون أن يجردها من خطرها ونفوذها وجدارتها بالذكر والدرس ... وسارت كلمة « الملحمة » بعدها وكأنه لفظة عربية الحروف والدلالة ، وأنها الكلمة المعدة لتقابل المصطلح الغربي ...

ثم إن المقدمة قدمت للقارئ العربي ، والأديب العربي ما لا علم له به في أدب الغرب ... وما أمكن أن يستثيره هذا العلم من العلم بأدبه مقابلة حيناً ، وفي باب الشيء بالشيء يذكر ... ومقارنة في النهاية ... وقد يجد نفسه راجحاً في أمر ، وقد يحس بحاجة إلى أمر ...

لقد عرفتنا المقدمة : هوميروس ، والإلياذة **والأوديسة** ، والملاحم ، وأسباب الخلود : « ... أسباب ثابتة مغرسها في النفس ومنبتها في القلب لا تتغيَّر بتغيُّر زمان ، ولا تتأثر بترقٍ وحضارة .

فإن هوميروس ، إنما نقَّر على أوتار الأفئدة فأثارها . ونفخ في بوق الأرواح فأطارها . ومزج الحقيقة بالخيال مزجاً يخيل إليك أنهما تآلفا فتحالفا . وسبر أعماق النفس في سذاجتها . وتحرى الفطرة في بساطتها . وهاج العواطف والشعائر ، وتكلَّم بجلاء ، لا تشوبه مسحة التكلف ، فأسهب موضع الإسهاب ، وأوجز موضع الإيجاز ، ومثل تمثيلاً ناطقاً ، وفصل تفصيلاً صادقاً عن عقيدة وإخلاص .... » .

استوحى البستاني هذه المعاني النقدية من أثر خالد إزاءه ، يوحي بها مؤيدة بما وصل إليه النقد الغربي في تحليله وأحكامه ... وكان كلام البستاني جديداً على النقد العربي ، ولكنه نفذ إليه ... حتى تلقيناه بعد مر السنين ، وكأنه أرث قديم وليس من قبيل التأثير والتأثر ، والأدب المقارن .

ثم طالع البستاني عصره — مستفيداً من الدرس الغربي — بضروب الشعر عند الإفرنج : والإفرنج يرجعون الشعر إلى « بابين : **الشعر القصصي** وهو الذي عبرنا عن منظوماته بالملاحم . **والشعر الموسيقي** وهو ما يعبر عن منظوماته بالقصائد أو الأغاني . ويسمون الأول « **إيبيك** » ، والثاني « **ليريك** » ، وكلا اللفظين يوناني الأصل ؛ فالأول من (إيوس) بمعنى الغناء أو (إيو) بمعنى الكلام . والثاني من (ليرا) بمعنى القيثارة أو الكنارة أو آلة طرب أخرى تشبه العود المعروف عندنا ...

وقد ألحقوا بهذين البابين باباً ثالثاً دعوه « **دراما** » ، من لفظة (ذراما) اليونانية بمعنى العمل أو الصنعة ، وهو ما نستحسن التعبير عنه بالتمثيلي ، لأنهم يقصدون به غالباً منظوم الروايات التمثيلية ، وهو متوسط بين القسمين السابقين ، ولكل من هذه الأقسام الثلاثة فروع .... » .

ومضى القارئ العربي يصغي للمصطلحات الجديدة في مداليل لم تمر به ، وهو إذ يصغي ويناقش يوسع من أفقه ، ويطيل التأمل فيما له وعليه ، وما لأدبه وعليه ... ولاتساع الأفق مفعوله لدى الشاعر والناقد والمثقف ، وهو ما لا بد منه في كل حين ، وفي بداية النهضة على وجه الخصوص ، فمن أي الشعر العربي ؟ ، إنه من النوع الثاني الذي جاء من اللير ... ويمضي في البحث ، والصفات ، والمزايا ، والاستفادة الجديدة ، والمقابلة ، والمقارنة ... ولم يتركه البستاني حائراً ، لأنه عارف جيداً بالشعر العربي فحدثه عنه حديث الدارس الناقد في تعريفه وأبوابه وأعلامه ، وطبقات شعرائه ، والأوزان والقوافي ، شعراء الجاهلية ، والمخضرمين ، والمولدين ، والبديع ، والحقيقة ، والمجاز ... والغاية من الشعر ، وصلة الشعر باللغة ... ذاكراً ما له علاقة بهذه الأمور من الشعر اليوناني .

بل إنه وقف يبحث — بأي سبب وجيه — لمحات ملحمية في الشعر العربي ، وهو واجدها دون تكلف ، وتبقى الملحمة المكتملة مسألة أخرى ... وربما فهم القارئ ما لم يرم إليه البستاني من الدعوة إلى أن تكون لنا ملحمة بأي سبب ، فإن وجدناها في القديم فيها ، وإلا فعلينا أن نوجدها بكل سبب ، وأن ننظمها نحن ؟ لم يرم البستاني إلى هذا الشيء ، ولكنه الشيء الذي وقع . وما كان يحسن أن يقع ، ولا بأس بالمحاولة بشرط الالتزام بشرائط الملحمة ، والالتزام باستعمال المصطلح بمكانه المناسب الدقيق .

وبعد ...

فلقد تحدث البستاني عن أدب الغرب بعلم وحذر وشخصية ، ولم يذهب إليه خاوي الوفاض من العلم اللازم بالأدب العربي ، أو

يقف منه موقف الشاعر بالنقص .

وطلع على القارئ العربي مبكراً مما حسن أن يراه ويسمعه من أدبه في تاريخه ومزاياه ، وخلاصة الحكم على مراحله ، والخط الرابط بينها ، حتى كان الأدب العصري مفتاح نهضة منذ أواسط القرن التاسع عشر ، بعد ركود وخمود . . .

وطلع عليه إلى جوار ذلك بما وجب أن يسمعه مما لم يكن لديه وكان لدى غيره كالملحمة والشعر التمثيلي . . .

فكان ذلك كله ثروة في عالم الأدب الحديث ، تزيد في العلم وتوسع في الأفق ، وتبعث على التأمل . . .

وكان البستاني « مقارناً » حين بحث في وجوه من الشبه والاختلاف بين الشعر العربي والشعر اليوناني على غير التقاء بينهما وتأثر وتأثير ، تبعاً لمعنى من معاني **الأدب المقارن** . ثم كان عاملاً إلى الأدب المقارن بالمعنى الثاني من الأثر والتأثر حين نقل إلينا عن الغرب علماً ، ومصطلحات ونصوصاً . . . وأفكاراً . . . لم تلبث أن صارت خطوة للتأثر بالغرب ، ودراسة هذا التأثر أساس لدراسة مقارنة .

وإذا كان البستاني عالماً وكان مخلصاً . . . فإن جملة ما جاء في مقدمته ظل صحيحاً . . . وبمثابة القاعدة لارتفاع البناء .

٣ ــ الظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر

أقرب كتاب إليّ أُلّف في الشعر العراقي المعاصر كتاب الأستاذ **يوسف الصائغ** « **الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى عام ١٩٥٨ م** » ، وقد كنت مشرفاً لدن إعداده إياه رسالة **للماجستير** . والصائغ أديب شاعر زاد ، في بحثه ، على ما كنت أعرفه فيه من مواهب الإبداع القدرة على الموضوعية في المعالجة ، والصبر على المنهج الأصعب في سبيل العمل الأكمل . كتاب ينفع ويمتع ويعجب ، طبع ببغداد ، **مطبعة الأديب البغدادية** عام ١٩٧٨ م ، (٢٩٢ صفحة) .

ثم جاء كتاب آخر ، يزاحمه في المكانة ويكاد يدفعه قليلاً في رعاية الفن . أعرف مؤلف هذا الكتاب الجديد معرفة جيدة ، قد تقل عن معرفتي بالصائغ ، وتلتقي به وإياه في التلمذة ، ولكنها كافية لأن تجعلني أقبل على الكتاب بشيء من الفتور . مؤلف الكتاب أديب مؤدب ، شاعر صادق في لمحاته الشعرية المهمومة ، ولكن تجربة سابقة شوشت الرؤية ، وعكرت الانطباع . لم يكن قاصراً أو مقصراً في المعنى المطلوب ، وعلى حسب الشائع ، ولكن لشدة في الحكم عليه ومبالغة في الطلب منه .

التجربة السابقة هي كما يأتي : بحث عن موضوع للماجستير ، فوصل هو وأستاذ سيشرف عليه إلى نقطة يمكن أن تعد مبتكرة في بحث الشعر الحديث على ضوء معنى « **الدرامية** » ، أي بحث الدرامية في الشعر الوجداني ، أي استخراج عناصر الدرامية من صراع وحوار وحدث ، ومن سرد قصصي وغياب الشاعر موضوعياً . . . وما يقتضي ذلك من تطويع وتطوير وتنويع في المادة واللغة والصورة . أشهد أنه موضوع مبتكر ، وأن الباحث المجد لا يعدم عناصره إن تصبب عرقاً وفاض نباهة ، فكيف إذا علمنا أن هذا الطالب هو **محسن أطيمش** ، وأن الأستاذ المشرف هو الدكتور **جلال الخياط** : مفكر ذواقة تدخل الدرامية في الشعر الوجداني (الغنائي) في أسس اهتماماته ! .

ومضى الطالب ، وهو جاد نابه دون شك ، في مسيرته . . . وفقدت ــ أو كدت أفقد ــ الصلة بالمسيرة حتى كان يوم المناقشة ، وإذا بي ألمح تغيُّراً بالذي كان ، ويستحيل اللمح واقعاً ، فإذا الطالب ومناقشوه يتحدثون في ميدان آخر يختلف قليلاً ــ بل كثيراً ــ عما هو في ذهن الشاهد القديم ــ المشاهد المعاصر ــ . لقد صار الموضوع : الشعر العربي المسرحي ، قائماً على **شوقي وعزيز أباظة وخالد الشواف وعبد الرحمن الشرقاوي وصلاح عبد الصبور . . .** ولا بأس ، فإذا كان الباب الأول منه مطروقاً ، ففي الباب الثاني جدة وجرأة . وطبع الكتاب ــ فيما بعد ــ باسم **الشاعر العربي الحديث مسرحياً** ، بغداد ١٩٧٧ م ، (٣٨٣ صفحة) .

لا بأس . . .

ويبقى في النفس شيء في غير مصلحة الطالب الباحث الذي حصل على الماجستير بحق وحقيق ، وشهد له بالحق أستاذ مصري قديم هو **الدكتور عبد المحسن طه بدر** ، الذي انتدب للمشاركة في المناقشة وتقدير الدرجة ، وقد تحدث الرجل بما يعجب ، وأدرك أشياء يحتاج إدراكها إلى لباقة ولباقة ، وودع القاعة والبلدة والبلاد ، وهو يكن للطالب ــ الماجستير تقديراً خاصاً يعادله تقدير الطالب ــ الماجستير نفسه للأستاذ الذي قدم إلى **جامعة بغداد** من **جامعة القاهرة** .

قد يكون ذلك كله من المصادفات لدى من يؤمن بالمصادفات ، وقد يكون قانوناً غير مرئي يعمل بحزم وجزم على إيجاد كتاب جديد .

ويغيب اسم محسن أطيمش عن الساحة الأدبية ، فلا تسمع به ، ولا تقرأ له ، وتعلم أنه في مصر ، وأنه يعد للدكتوراه بإشراف الأستاذ الدكتور عبد المحسن طه بدر في موضوع عن الشعر العراقي المعاصر . ويتدخل الشبح القديم فيقلل من شأن النتائج التي سيصل إليها الطالب





في البحث الجديد . وماذا عسى محسن أطيمش أن يأتي من جديد ، الشعر العراقي المعاصر هو **السياب ، ونازك ، وبلند ، والبياتي ، وسعدي يوسف ... وموسى النقدي ...** وينتهي الأمر . دواوينهم جاهزة ، وسماتهم معروفة ، والبارزون منهم مدروسون ، فأين لمحسن أطيمش صاحب « الشاعر العربي الحديث مسرحياً » أن يأتي بجديد ؟ ولم يكن الشبح المعترض خلال الرؤية ليحس بأي جور وكأنه طائف يطوف ... وحقيقة تُرى ! .

وبعد سنوات .

يعود محسن أطيمش وكتابه بيمينه : « **دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر** » ، أهلاً وسهلاً .

ولم لا ، والرجل شاعر ذو حس رقيق ، وذوق رفيع ، مخالط ممازج للمجتمع الأدبي العراقي ، عشير رصيف لشعرائه المعاصرين ، عارف عن قرب بالأحداث والوقائع والظروف السياسية والاجتماعية ، والأطوار والأزمات النفسية . وهذه أمور له وعليه ، له والأمر معروف ، وعليه بما تلزمه من الإرادة الحازمة ، وضبط الأعصاب ، وما تملي عليه من الموضوعية والعدالة في الحكم والنفاذ إلى ما وراء النص المشهور من أسرار . وكل أولئك صعب لما يكتنف الدنيا من عواصف وزوابع ، ومنذ الأربعينات على وجه الخصوص ، فكيف وكيف يا محسن وأنت في أواخر الثمانينات ، وقد رأى العراق خلال ذلك ، ما رأى وتقلب على الشعراء ما تقلب ؟! المهمة صعبة يا صاح ، ولو تكرر علينا تجربتك السابقة فتوقعنا في ظلم الحكم وجور الانطباع بما لا يرضي القريب والبعيد .

ويُطبع الكتاب ، ويصدر (بغداد ــ **منشورات وزارة الثقافة والإعلام** ١٩٨٢ م ، ٣٨٤ ص) ، وفيه ستة فصول : الأداء القصصي في الشعر . القصيدة الطويلة ، وقصيدة القناع . الأسطورة والرمز . الصورة الشعرية . موسيق الشعر ، تليها ملاحق وجداول ومصادر ومراجع .

عنوانات الفصول تدل على صعوبة ، وتُلمح إلى الثأر للدرامية المفتقدة .

وتقرأ ، وتعجب ، وتواصل القراءة والإعجاب ، وترى الصبر والدأب ، وتقف على التأمل والاستنتاج ، وتعترف بالسيطرة في الإدارة والهدوء في المسيرة ، وبالاقتناع والإقناع ، وبالجديد الذي لم يمر منك ببال لدى قراءاتك السابقة للقصائد وللشعراء ... وبالقدرة الناقدة .

أجل ، إن محسن أطيمش الذي إزاءنا ليس جمَّاعة ، وإن أحسن الجمع ، وليس « نسَّاقة » ، وإن أحسن التنسيق ، وليس إرادة في تمكنه من التضحية بالزوائد وما يدخل في التفصيلات ، وإن كان إرادة ، وإنما هو ذاك والأساس المطلوب في البحث حين حصر الجوهر وأدار « اللعبة » عليه ، ومن أمسك بالجوهر ، أمسك بالأصالة ، ومن أمسك بالأصالة ، أمسك بالمزايا الرئيسة . وإذا أمسك بالمزايا الرئيسة ، قابل وقارن ... وكتب مقتنعاً مقنعاً منطلقاً من سلامة النفسية ، وصحة العقلية ، والذوق شرط في الأحوال كلها .

لقد درسنا هذه الشرائط ذات يوم في « **منهج البحث الأدبي** » ، وأطلنا النقاش فيها ، وكان لك مكانك الملحوظ من النقاش . ودرسنا ما هو الأهم الذي يمنح الباحث شخصيته المتكاملة : القدرة الناقدة . ومع أن « النقد » شرط في البحث ، ولكنك ثبَّتَّ الكلمة في العنوان بعد أن تكاثرت الرسائل القائمة على الجمع ...

ونصصت على « الظواهر الفنية » ، مع أن دراستها شرط في أية رسالة تقوم على الشعر ، ولكنك رأيت عشرات الرسائل تستحيل أعمالاً اجتماعية ، أو سياسية ، أو إدارية !! .

لقد تخلصت من عشرات المشكلات الزائفة الطارئة بموقفك الناقد ، ووقفتك الفنية ، وكسبت الوقت الفائض في الانصراف إلى تأمل النصوص ومعايشتها تنام عليها ، وتصحو معها سلباً وإيجاباً ، سخطاً ورضاً ...

ومن كانت له هذه المزايا ، وكان شاعراً ناقداً ، منسجماً مع موضوعه ... جاءت ثمرته ناضجة حية ... وجاءت لغته سمحة ...

وها أنذا أقرأ ، وأواصل القراءة معجباً ، وهذا طبيعي ، متعجباً وتقول لم التعجب ؟ ، فأصارحك بأني عرفت فيك ــ سابقاً ــ المزايا كلها من الشاعرية الهامسة إلى الذوق ، إلى الإمساك بالجوهر ... إلى ... إلى ولكني لم أقع منك ــ قبل اليوم ــ على القوة الناقدة .

لقد سار كل شيء على ما يراد ... إلا شيء واحد ثانوي جداً ، لم يكن من أصل الرسالة ، ولكنه في بَذْوَةٍ من بَذَاوتك ــ ولا أقول : نزوة من نزواتك ــ زججت به زجاً ، بل رفعته على رأس الكتاب كله ، إذ جعلت عنوانه لدى الطبع : « **دير الملاك ــ دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر** » . فما دير الملاك هذا ؟ ، إنه بغير معنى هنا ، كائناً ما كان في نفسك ، وقد تنقذ الحقيقة منه في طبعة ثانية .

والطبعة الثانية آتية لا ريب فيها ، وتلك مسألة منتهية ، ولكن المسألة غير المنتهية المطالب بها : كتاب آخر ، تؤلفه ــ هذه المرة ــ لنفسك ولنا ، وليس من أجل ماجستير أو دكتوراه . ولقد طال الانتظار !! ، وليس عملك في **الجامعة المستنصرية** بعائق ، أو المقبول في العذر .

ونبق ننتظر كتاباً في الشعر الذي جاء بعد جيل السيَّاب .

أجرى اللقاء : محمد الصادق عبد اللطيف

الدكتور الحبيب الجنحاني

التاريخ .. والثقافة .. والتراث



★ الدكتور الحبيب الجنحاني ★

الدكتور الحبيب الجنحاني أديب ومفكر تونسي معروف .. من مواليد ١٩٣٤/٦/٢٦م ، متخصص في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي الإسلامي .. ويعمل حالياً أستاذاً للتاريخ الإسلامي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة تونس .. وقد تقلد عدة مناصب منها عضو المكتب الدائم لاتحاد المؤرخين العرب ، ورئيس الجمعية التونسية للتاريخ والآثار . كما رأس تحرير مجلة «الحياة الثقافية» الشهرية المعروفة .. يجيد الفرنسية والألمانية والإنجليزية .. وقد تلقى تعليمه في تونس وفرنسا وألمانيا .

له عدد من الأعمال المطبوعة منها :

● القيروان عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية .

● من قضايا الفكر .

● المغرب الإسلامي : الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

● دراسات مغربية .

● الثقافة العربية المعاصرة ومصير الوطن العربي .

● محمد باش حامبه .

● التحول الاقتصادي والاجتماعي في مجتمع صدر الإسلام .

● المقري صاحب نفح الطيب .

هذا ، إلى جانب عدد كبير من الدراسات في المجلات العربية والأجنبية .

العصر الوسيط

●● إنكم تهتمون في إطاراتكم العلمية بالدراسات الاقتصادية والاجتماعية لتاريخ المجتمع الإسلامي في العصر الوسيط فما الجديد في هذا الميدان ؟

● أود ، بادئ ذي بدء ذكر الملاحظتين التاليتين :

★ أولا : إن المهتمين بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي الإسلامي في العصر الوسيط

قليلون ، سواء كان ذلك في الجامعات العربية أو الأجنبية ، ويرجع ذلك إلى أسباب مختلفة منها ندرة المصادر والمعلومات في هذا المجال ، وبالتالي صعوبة الميدان ، ولكن بالرغم من قلة الباحثين في هذا المجال ، فقد صدرت في السنوات الأخيرة دراسات جدية ، تقدمت بحقل البحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي الإسلامي خطوات مثيرة ، وقد بدأ ـ والحمد لله ـ عدد من الباحثين الشبان في الجامعات العربية ، يقبلون على هذا النوع من البحوث التاريخية ، ولكن لا بد من الاعتراف هنا باستمرار ظاهرة تدريس التاريخ السياسي وتاريخ الأحداث وطغيانها على برامج إجازة التاريخ في جل الجامعات العربية ، ونعتقد أنه آن الأوان لإعادة النظر في هذه البرامج ، والتركيز على الجوانب الحضارية في دراسة تاريخ المجتمع الإسلامي ، فالقضية إذن هي قضية منهجية بالدرجة الأولى ، ولا تحظى قضايا المنهجية في جامعاتنا العربية باهتمام كبير مع الأسف .

★ **ثانياً :** بناء على النتائج الجديدة التي توصلت إليها في مجال دراسات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي الإسلامي ، فقد ازداد اقتناعي بأنه من الصعب جداً أن نفهم التطور الحقيقي والتحولات أكبر من التي عاشها المجتمع العربي الإسلامي ، دون التعرف بدقة إلى تاريخ الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، فهذا اللون من التاريخ هو الذي يمكننا من الاطلاع على حياة المجتمع وعلى حياة الناس اليومية ، وما تفرزه من أحداث ، أما مجرد معرفة تواريخ الأحداث ، وتعاقب الحكام وعصورهم ، فإن ذلك قد يكون مفيداً للمؤرخ ، ولكنه لا يمكن من الغوص في تاريخ المجتمعات وفهم تطورها ، ولا يسمح بتكوين رؤية تاريخية حضارية لدراسة التاريخ والمتتبع لقضاياه .

مصادر العصر

●● أشرتم إلى صعوبة المصادر في هذا الحقل من حقول البحث التاريخي . فما هي المصادر التي تعتمدونها في أعمالكم ؟

● إن مشكلة مصادر التاريخ الاقتصادي والاجتماعي الإسلامي في العصر الوسيط ، مشكلة حقيقية تعترض الدارس في هذا المجال ، أولا لأن عدداً كبيراً منها يبلغ الآلاف ما يزال مخطوطاً وغير معروف ، وثانياً لندرة المعلومات الاقتصادية فيما هو معروف ، ومتداول من المصادر ، ومن حسن الحظ ، فقد نُشرت نصوص جديدة في الأعوام الأخيرة أعانت كثيراً الباحثين المختصين في التاريخ الاقتصادي الإسلامي . إنني أحاول التغلب على مشكلة المصادر بقراءة جميع أصنافها ، بصرف النظر ، هل هي كتب في التاريخ ، أو في الأدب ، أو في التراجم ، أو في فن الرحلات ، أو في الفقه ، ثم بقراءتها قراءة ثانية ، وحسب منهجية معينة في قراءة النصوص القديمة .

تاريخ الجزيرة العربية

●● ما هي في رأيكم أهمية دراسة التاريخ العمراني والحضاري لمجتمع شبه الجزيرة العربية ؟

● إن لدراسة التاريخ المجتمعي لشبه الجزيرة العربية أهمية كبرى ، وخصوصاً في العصرين القديم والوسيط ، أما تاريخ شبه الجزيرة في العصر الحديث ، فهو معروف نسبياً ، وقد صدرت حوله خلال العقدين الأخيرين ، كتب ووثائق متعددة ومتنوعة ، أما تاريخها خلال العصرين القديم والوسيط ، فما يزال كثير من جوانبه غامضاً ، يحتاج إلى المزيد من الدقة والتمحيص . إنني أميل إلى الاعتقاد بأن الكشف عن كثير من هذه الجوانب سيساعد مساعدة كبرى على فهم تفاعل الإسلام مع الحضارات التي سبقته في مجتمع شبه الجزيرة ، وقد كان متصلاً اتصالا متيناً بحضارات الشرق الأقصى ، وبلاد ما بين النهرين من جهة ، وبشواطئ شرق إفريقيا من جهة أخرى . **وقد كان لشبه الجزيرة العربية دور فعال في ربط مسالك التجارة الدولية بين الشرق الأقصى من ناحية ، وبين البحر الأحمر والحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط من ناحية ثانية** . إن نتائج حفرية قرية (الفاو) ، التي قام بها **قسم الآثار بجامعة الرياض** ، بإشراف **الدكتور عبد الرحمن الأنصاري** ، قد أقامت الدليل على أهمية التاريخ العمراني لمجتمع شبه الجزيرة ، وعلى ما يمكن أن تقدمه مثل هذه الحفريات من معلومات ثابتة ودقيقة ، وذات شأن في الدراسات التاريخية ، ولا سيما حول عصر لا نملك عنه مصادر مكتوبة تذكر .

أما بالنسبة للفترة الإسلامية ، فالنصوص متوفرة نسبياً ، ولكنها تحتاج إلى قراءة نقدية ومقارنة بين كل المعلومات المتشابهة التي تقدمها لنا حتى نستطيع الوصول إلى نتائج أحسن ، وخاصة حول القضايا المتشعبة والغامضة في تاريخ شبه الجزيرة في العصر الإسلامي الوسيط .

تاريخ الخليج العربي

●● بالرغم من اختصاصكم في التاريخ الاقتصادي الإسلامي في العصر الوسيط، فقد شاركتم في ندوات تهم التاريخ المعاصر لمنطقة الخليج العربي، فما المدى الذي بلغته الدراسات التاريخية في هذا المجال؟

● إن وضع الدراسات في هذه المرحلة أحسن مما هو عليه في المرحلة القديمة أو الوسيطة، وخاصة من حيث الكم.. أولا للأهمية الكبرى التي أصبحت تحتلها منطقة الخليج في الفترة المعاصرة، وثانياً للدور الإيجابي التي قامت به **مراكز الدراسات والوثائق الخليجية**، وقد أصبحت منتشرة في دول الخليج، كما نجحت في تنسيق جهودها عن طريق ندوات مشتركة، وأعتقد أنه قد آن الأوان بعد جمع الوثائق، وإنشاء مكتبات مختصة في تاريخ الخليج، لبرمجة دراسات تاريخية معمقة يشترك في إنجازها فريق عمل من ذوي الاختصاص. **إن مشاكل ومشاغل الحياة المعاصرة تجعل اليوم العمل الفردي صعباً، وبطيئاً.. لذا، فإنني من المتحمسين للعمل الجماعي، بشرط ضبط الموضوعات الجديدة بدقة وتحديد المنهجية التي ستطبق في الدراسات**. إن كثيراً من مراكز البحث لا تستطيع أن تنجز برامجها، ولا تنفق الميزانية السنوية المخصصة للدراسات، لأنها ما تزال تعتمد على العمل الفردي وهو عمل بطيء ومتعثر.

إن العمل الجماعي صعب، ويحتاج إلى إشراف مختصين مؤمنين بعملية البحث العلمي، ولكن بالرغم من صعوبته، فلا بد من غرس هذه الروح بين الباحثين الشبان بالخصوص حتى نستطيع أن نتقدم بالبحث العلمي في الوطن العربي.

الثقافة العربية المعاصرة

●● إلى جانب اختصاصكم الأكاديمي نعرف أنكم كتبتم دراسات عديدة عن الثقافة العربية المعاصرة ونشرتم كتاباً بعنوان «من قضايا الفكر».. ما رأيكم في الثقافة العربية المعاصرة؟

● إن الثقافة العربية المعاصرة قد حققت خلال العقدين الأخيرين تقدماً كبيراً، فقد أنشأت في جل الأقطار العربية وزارات مختصة بشؤون الثقافة، وحققت الدول العربية خطوة نوعية عملاقة فوق درب التعاون الثقافي فيما بينها بتأسيسها لمنظمة عربية مختصة، وهي **«المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم»**، وهي الآن بصدد وضع اللمسات الأخيرة على عمل مستقبلي خطير، وأعني وضع **«الخطة الشاملة للثقافة العربية»**، وهي خطة تنظر إلى الثقافة العربية كوحدة في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، فهي – إذن – تتجاوز الحدود الجغرافية القائمة اليوم، وتنظر إلى الثقافة العربية باعتبارها دعامة أساسية من دعائم الوحدة العربية.

فهنالك، كما ترى، عملاً كبيراً وهادفاً في المجال الثقافي يصب في خاتمة المطاف في ازدهار الثقافة العربية المعاصرة بشتى أصنافها من آداب، وفنون، وهنالك بعض المتشائمين الذين يقولون إن كل هذه الجهود بطيئة ومتعثرة، ولا تخدم الثقافة العربية المعاصرة. إنها نغمة تشاؤمية وغير موضوعية، لأن المثقفين العرب من الخليج إلى المحيط أصبحوا يعرفون بعضهم بعضاً، ويقرأون ما ينتج هنا وهناك بفضل تطور وسائل الاتصال، وبفضل الندوات، والأسابيع الثقافية، ومعارض الكتب، والمهرجانات وغيرها من الأنشطة في المستوى الثنائي بين الأقطار العربية أو في المستوى العربي. هذا في المستوى الرسمي، ولكن ينبغي علينا ألا ننسى الجهود الأخرى غير الرسمية، وهي جهود جبارة رغم الصعوبات، وأعني جهود المؤسسات الثقافية المستقلة، والمجلات الفكرية القيمة، والنوادي، والجمعيات، وهي تسهم جميعاً في تقدم الثقافة العربية المعاصرة.

إن ما تحتاجه الثقافة العربية المعاصرة المزيد من الدعم المادي، وخصوصاً توفير مناخ لحرية الفكر والتعبير، ومن المعروف مدى تأثير هذا المناخ الحر في تقدم الثقافة في المجتمعات المتطورة.

دور المثقف

●● ما دور المثقف في المجتمعات النامية بصفة عامة وفي المجتمع العربي بصفة أخص؟

● إن هذا السؤال يحتاج وحده إلى حديث مطول، ولكني سأكتفي بالإشارة إلى أن دور

المثقف اليوم، في المجتمعات المتطورة مثل مجتمعات أوروبا الغربية دور أساسي وفعّال، أي في مجتمعات عمر التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، فيها ثلاثة قرون تدعمت فيها المؤسسات والتقاليد، وأرسيت فيها أسس الديمقراطية وسيادة القانون، لما بالك بمجتمعات نامية ما زالت ترزح تحت عبء مظاهر التبعية السياسية والاقتصادية والتكنولوجية، وليس فيها احترام للقوانين وللحريات العامة والفردية، وما زال الكثير منها يعاني من بقايا عقليات قرون التخلف، فدور المثقف في هذه المجتمعات، وفي طليعتها المجتمعات العربية، أعظم شأناً وأكثر إلحاحاً للمساهمة في عملية التوعية والتقدم، وبناء المجتمع الجديد، ولا بد من القول هنا إننا نلمس اليوم تناقضاً واضحاً في المجتمعات العربية والنامية بصفة عامة، فهي في أشد الحاجة إلى الكوادر ذات الكفاءة، وإلى العقول الواعية النيرة، للخروج من التخلف وتحقيق التنمية في جميع المجالات، ولكن نجد دور المثقف فيها مهمشاً!.

وهنا أعود من جديد إلى ضرورة توفر حد أدنى من المناخ الديمقراطي ليستطيع المثقف أن يؤدي رسالته.

قضية التراث

●● [illegible] التراث، ولكم وجهة نظر في توظيف التراث في معركة الحاضر... ما رأيكم في قضية التراث؟

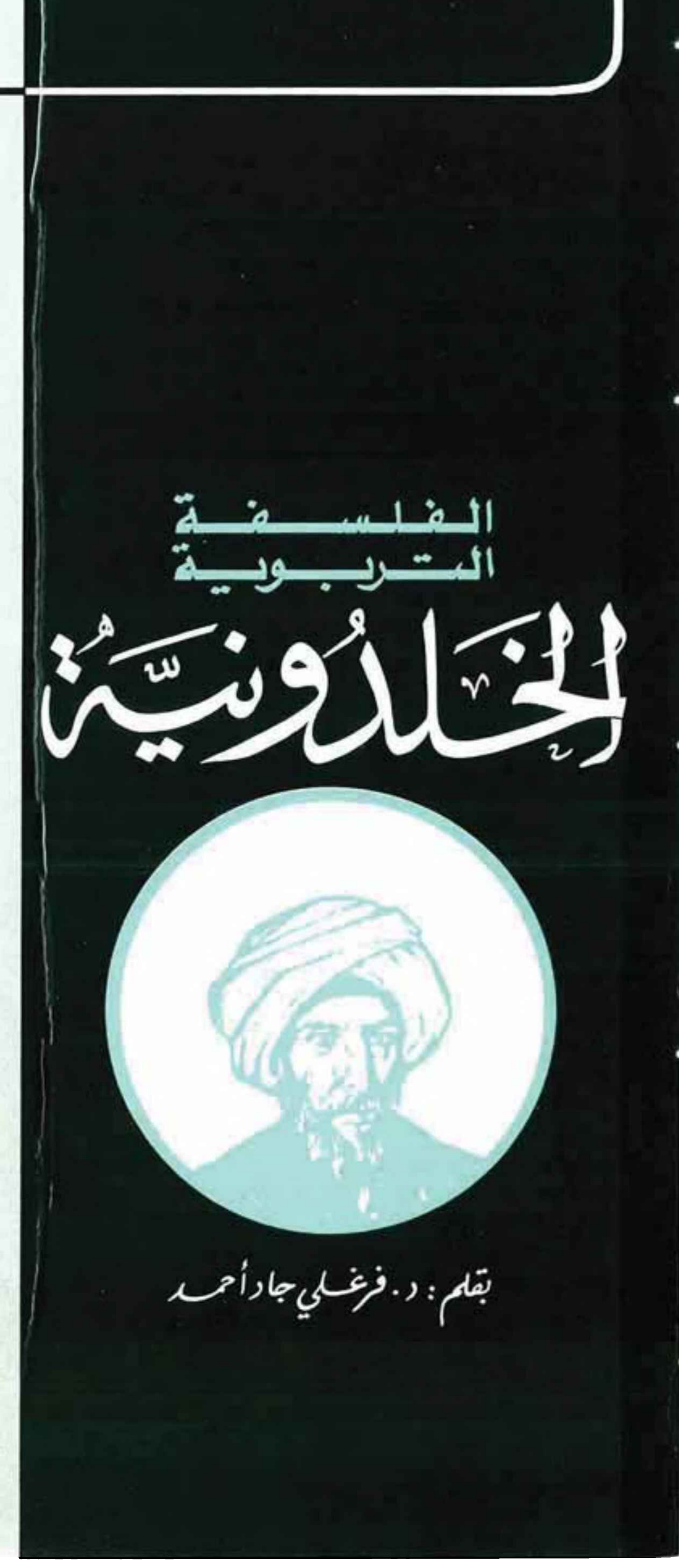
● إنني أفرّق بين أمرين في موضوع الاهتمام بالتراث العربي الإسلامي:

★ **الأمر الأول**: التعرُّف إلى هذا التراث في شتى حقول المعرفة الإسلامية وحفظه وفهرسته فهرسة حديثة ودقيقة، تستخدم أحدث الوسائل التكنولوجية المستعملة اليوم في فن المكتبات والتوثيق.

★ **أما الأمر الثاني**: أو المرحلة الثانية فهي مرحلة إحياء هذا التراث وتحقيقه ونشره بين الناس عن طريق الكتاب أو طريق الوسائل السمعية البصرية الحديثة من أفلام وثائقية، ومن تلفزيون، وفيديو إلى آخره، ويمكن وضع خطة للإفادة من القمر الصناعي العربي **«عربسات»** في التعريف بتراث الثقافة العربية الإسلامية. وهنا أصل إلى الرأي الذي أعربت عنه في أكثر من مناسبة، وأعني بذلك توظيف التراث في معركتنا التنموية الحاضرة، وهذا طبعاً دون تحريف التراث أو المس بحقيقته الموضوعية التاريخية، وإنما أعني بتوظيف التراث القيام بعملية انتقاء مصنفات معينة لتحقيقها ونشرها بين الناس في المرحلة الحالية. إننا لا نستطيع أن نحقق وننشر هذا التراث الضخم في مرحلة وجيزة، فالأمر سيحتاج إلى أجيال دون شك، **إذن فلا بد من عملية اختيار. وأذكر** مثلاً إذا عثرنا على مخطوط معروف ونشر من قبل أكثر من مرة مثل بعض المصنفات الفقهية، وعثرنا على مخطوط في التاريخ أو في الحسبة، أو في علم من العلوم الدقيقة عند العرب، ولم ينشر من قبل، فيجب إذن أن تعطى الأولوية للمخطوط الذي لم ينشر من قبل، وإذا عثرنا على مخطوطين لم ينشرا من قبل واحد موضوعه معروف، وألّف في عصور ركود الثقافة العربية الإسلامية، ولا يأتي بشيء جديد، وآخر ألّف في عصور ازدهار ثقافتنا، وفيه تجديد وابتكار فمن الطبيعي ــ إذن ــ أن نعطي الأولوية للمخطوط الثاني.. ولكن عملية توظيف التراث تحتاج إلى خطة شاملة، إلى تعاون وتنسيق بين الأقطار العربية.

●● ما مدى تعاونكم مع «مكتب التربية العربي لدول الخليج» خصوصاً وقد شاركتم أخيراً بدراسة في ندوة «النظم الإسلامية» التي نظمها المكتب في أبو ظبي، وما أنشطة هذه المؤسسة الخليجية؟

● قد كان لي فعلاً شرف المشاركة أخيراً في ندوة **«النظم الإسلامية»** التي نظمها **مكتب التربية العربي لدول الخليج في** أبو ظبي بدراسة عن **«الزراعة في الجزيرة العربية خلال العصر الراشدي»**. أما نشاط هذه المؤسسة العربية فهو في حقيقة الأمر متعدد ومتنوع وليس من السهل الإلمام به، فهو يمتد من حقل التربية والثقافة والعلوم إلى مجال إحياء التراث، وعقد الدورات التدريبية والمؤتمرات العلمية في المستوى العربي الإسلامي. فنشاطه في حقيقة الأمر يتجاوز منطقة الخليج ليشمل العالم العربي والإسلامي، **ويا حبذا لو أنشئت مؤسسات تربوية وثقافية في مناطق عربية أخرى مثل المغرب العربي فإنها ستقدم خدمة كبيرة للثقافة العربية الإسلامية، وهو أمر لا يتناقض مع العمل العربي المشترك**، بل هي روافد تثري في خاتمة المطاف نهر الثقافة العربية الإسلامية. إن كل عمل عربي مشترك سواء كان ذلك في المستوى الثنائي أو الإقليمي أو العربي الشامل، فإنه يخدم التقارب العربي وتستفيد منه الثقافة العربية الإسلامية في نهضتها الحاضرة.



يُعَدُّ ابن خلدون من أفذاذ العلماء، وعباقرة الفكر الإسلامي، فقد سبق أعاظم المفكرين فيما ابتكره من فلسفة التاريخ وفلسفة الاجتماع، كما كانت آراؤه التربوية فتحاً جديداً في الفكر التربوي الإسلامي.

وإذا كانت حياة ولي الدين أبي زيد عبد الرحمن ابن خلدون الضخمة (٧٣٢هـ - ١٣٣٢م) - (٨٠٨هـ - ١٤٠٦م)، أكثر اصطباغاً بالسياسة منها بالعلم، فلم يكن من عجائب الصدف أن يعرفه تاريخ الفكر البشري مفكراً أكثر مما عرفه سياسياً. لقد اشتغل ابن خلدون خلال هذه الحقبة الطويلة في خدمة أعداد كبيرة من سلاطين الأندلس والمغرب وقبائل البربر ومماليك مصر، ولقي في مغامراته تلك كثيراً من النجاح وكثيراً من الفشل أيضاً. لقد كان طموحه سياسياً خلال ذلك كله، ولكنه كان مشغوفاً بالعلم إذ كان يجتهد مخلصاً أن يكون سياسياً مستنيراً وعالماً يبني مشورته وقراراته السياسية على العلم والمنطق، وكان العلم أداته إلى طلب الجاه والسلطان السياسي، ولما استيقن من أنه لن يقبض له السلطان السياسي سكنت نفسه إلى العلم وحده، واطمأنت إليه على أنه قدرها الأخير منذ أن ولي قضاء المالكية في مصر على عهد السلطان برقوق.

بانوراما الفكر التربوي

في تناولنا لذلك الجانب التربوي للفلسفة الخلدونية، لا بد من الحديث عن المؤثرات التي كان لها تأثير واضح في تشكيل هذه الفلسفة التربوية لابن خلدون وذلك الفكر التربوي المتميز.

حياته وفلسفته

(١) إن هذه العبقرية الكبيرة تنتمي إلى التربة العربية الأصيلة، فلقد نُسل ابن خلدون من أسرة عربية عريقة، إذ ولد في تونس في رمضان عام ٧٣٢هـ، **وما زال البيت الذي ولد فيه قائماً حتى اليوم، حيث تشغله مدرسة الإدارة العليا بالعاصمة التونسية**، وتتلمذ على أبيه ثم على أساتذة من كبار العلماء الذين هاجروا من الأندلس إلى تونس يومئذ، فحفظ القرآن الكريم ودرس

قراءاته ، كما درس علوم اللغة والدين والفلسفة والمنطق . وما إن بلغ الواحدة والعشرين حتى أتيحت له له جولة في أنحاء الديار المغربية ، ثم شغل وظائف الكتابة والقضاء فيها ، كما تولى **منصب الحجابة** المساوي لمنصب رئيس الوزراء اليوم ، بالإضافة إلى منصب **الخطيب الرسمي** للمسجد الجامع .

غير أن مغريات السياسة عادت فاجتذبته من جديد فعاد إلى المغامرات ثم اعتزل **بقلعة بني سلامة بمقاطعة وهران من بلاد الجزائر** ، حيث فرغ للعلم والدرس والتحصيل والتأليف ، واشتغل بتونس في **التدريس** حتى أكمل كتابه التاريخي وأهداه مع مقدمته إلى سلطان تونس . ثم رحل إلى **القاهرة** فلقي الترحيب من العلماء وأعجبوا به مفكراً وعالماً ومؤلفاً . ووجد ابن خلدون أخيراً في ساحة **الأزهر** العتيد حقلاً خصباً يزرع فيه بذور عبقريته .

(٢) لقد سبق ابن خلدون إلى ابتكار طريقة جديدة في دراسة التاريخ **تعتمد على العقلانية والاستقراء التجريبي** في استنباط القوانين العامة من خلال ملاحظة الظواهر الحسية ، وحتى لا تجور رؤيته العقلانية على إيمانه الديني ، فرق ابن خلدون بين الدين الذي هو معرفة الحقائق التي أوحى بها الله ، وبين العلم الذي هو معرفة الحقائق التي يستطيع الإنسان أن يحصلها بعقله دون معونة خارجية . ينظر إلى الإنسان على أنه كائن مفكر ميزه الله عن الكائنات وشرفه ، **وذلك أن الإدراك هو شعور مُدرك في ذاته بما هو خارج عن ذاته وهو خاص بالحيوان فقط من بين سائر الكائنات والموجودات . فالحيوانات تشعر بما هو خارج عن ذاتها بما ركب الله فيها من الحواس الظاهرة ، ويزيد الإنسان من بينها أنه يدرك الخارج عن ذاته بالفكر الذي وراء حسه وذلك بقوى جعلته في بطون دماغه ينتزع بها صور المحسوسات ويجول بذهنه فيها فيجرد منها صوراً أخرى . والفكر هو التصرف في تلك الصور وراء الحس وجولان الذهن فيها بالانتزاع والتركيب وهو معنى الأفئدة في قوله تعالى ﴿ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ﴾ .**

(٣) وهكذا فرق ابن خلدون بين **الإدراك** الذي « هو شعور المدرك بما هو خارج عن ذاته » وبين **الفكر** الذي هو أداة الإنسان لانتزاع صور المحسوسات ليجرد منها صوراً أخرى وليتصرف في تلك الصور انتزاعاً وتركيباً .

وللفكر ، في نظر ابن خلدون ، ثلاث مراتب متميزة :

١ ـ العقل التمييزي . ٢ ـ العقل التجريبي . ٣ ـ العقل التمييزي المرتب من مراتب العقل ، لأن قدرته مقصورة في إدراك « الأمور المرتبة في الخارج ترتيباً طبيعياً أو وضعياً ليقصد إيقاعها بقدرته » ، وأكثر هذا الضرب من الفكر تصورات هدفها تحصيل منافع المعاش ودفعه الضرر . أما المرتبة الثانية من الفكر فهو « الفكر الذي يفيد الآراء والآداب في معاملة أبناء جنسه وسياستهم » ، وأكثر هذا النوع من الفكر « تصديقات تحصل بالتجربة شيئاً فشيئاً إلى أن تتم الفائدة ، ولذا فهو عقل تجريبي أي مُستفادة من التجربة . أما المرتبة الثالثة من الفكر والعقل النظري فهي الفكر الذي يفيد العلم أو الظن بمطلوب وراء الحس لا يتعلق به عمل وهو تصورات وتصديقات تنتظم انتظاماً خاصاً على شروط خاصة فتفيد معلوماً آخر من جنسها في التصورات أو التصديق ثم ينتظم مع غيره فيفيد علوماً أخرى كذلك .

إن أهم ما في هذا التصور لمراتب الإدراك هو جعله الوظيفة العليا للعقل « تصور الوجود على ما هو عليه بأجناسه وفصوله وأسبابه وعلله » ليكمل بذلك في حقيقته ويصير عقلاً محضاً ونفساً مدركة .

(٤) **على أن الأهم من هذه الرؤية العقلانية في طبيعة العقل ووظيفته هو تقدير ابن خلدون أن « الفكر » أساس الحركة (الحدوث) في التاريخ** . وقد ميز في هذا المجال بين ثلاثة أمور يشتمل عليها أو يتكون منها عالم الكائنات وهي :

١ ـ الذوات المحضة .

٢ ـ الأفعال الصادرة عن البشر أو الحيوان .

٣ ـ الفكر الذي يترك الترتيب بين الحوادث بالطبع أو الوضع .

ومن خلال الترابط العلائقي بين الذوات والأفعال والفكر ، أكبر ابن خلدون ظاهرة السُّببية في عملية الحدوث وحصرها في الإنسان امتيازاً له بها عن سائر المخلوقات بتقدير أن الفكر هو الخاصة البشرية . وعلى قدر حصول الأسباب والمسببات في الفكر مرتبة تكون إنسانيته ، فمن الناس من تتوالى له السببية في مرتين أو ثلاث ومنهم من لا يتجاوزها ومنهم من ينتهي إلى خمس أو ست فتكون إنسانيته أعلى . لكن ابن خلدون **عاد وأوضح محدودية قدرة العقل على التحكم في حركة التاريخ ، مبرراً ذلك بالقول : إن العقل مجرد ميزان يمكن أن توزن به أمور الحس والتجربة فقط ، ولا نطمع أن نزن به أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وغيرها .**

أما عن نظرة ابن خلدون للتعليم فيعدّه صناعة من الصنائع التي تنشأ في المجتمعات ، ويرى أن هذه الصنائع تنشأ تدريجياً في أي مجتمع لكونها ضرورية لحياة الأفراد فيه . ويتعلم الإنسان أي صناعة ويحترفها بعد الفهم والتكرار ، وهكذا تتكون لديه ملكة يكتسب فيها مهارة خاصة . وتنشأ الصنائع في المجتمعات لأنها وسائل لكسب الرزق بالإضافة إلى أنها ضرورية لحياة الأفراد .

ويرى ابن خلدون أن « الكسب هو قيمة الأعمال البشرية » ، إذن طلب العلم وتعليمه إنما يكون من خلال ممارسة الإنسان لغرض كسب الرزق أيضاً ، بالإضافة إلى كونها نتائج حتمية لنشاط العقل البشري . من هذا نرى أن فلسفة ابن خلدون الاجتماعية وجهت تفكيره في شؤون العلم والتعليم وجهة واقعية مادية ، فهو لم يفرق بين التعليم العقلي والتعلم العلمي ، ذلك التفريق التقليدي الذي ثار عليه المفكرون في شؤون التربية والتعليم ممن سبقوه ، بل إنه ربط بين القوى العقلية والقوى الجسمانية التي تعمل متعاونة لاكتساب المهارة أو الحذق معرفة بدلالة اعتبار أن الملكة التي تتكون بسبب اكتساب المهارة أو حذق الصنعة إنما هي عمل فكري جسماني ، فكأن رأيه في هذا الشأن متفق تماماً مع أحدث النظريات النفسية في طريقة التعلم .

كذلك فإنه لم يعدّ العلم والتعليم نشاطاً فكرياً تأملياً مجرداً وبعيداً عن نواحي النفع في الحياة ، بل عدّ العلم والتعليم ظاهرة حتمية ناتجة من تكوين المجتمعات وتطورها في سلم الحضارة . فالعقل البشري يدفع الإنسان إلى الإلمام بالمعارف الضرورية له في حياته البسيطة في الأطوار الأولى لتكوين المجتمعات ، ثم تنشأ العلوم لتراكم تلك المعارف على مر الزمن « لأن العلم نتيجة لاختلاج الفكر ، ثم ينشأ التعليم نتيجة لرغبة الإنسان في الإلمام بها وحذقها » . إذن فالعلم والتعليم وليدان الحياة المتحضرة ويعملان على بقائها والرقي بها .

ولما كان العلم والتعليم صنعة من الصنائع ، وكانت الصنائع تنشأ في المجتمع لضرورتها لحياة أفراده في أول الأمر ، ثم لكونها سبيلاً للعيش والارتزاق ، فإن المعلم يصبح صانعاً محترفاً لمهنة التعليم التي هي صنعة من الصنائع .

ويتبيّن من ذلك وجود أكثر من هدف للتربية في نظر ابن خلدون ، فقد عدّ الهدف من التعليم هو إعطاء الفرصة للفكر لكي ينشط ويعمل ، وذلك حين عدّ النشاط ضرورياً لتفتح الفكر ونضجه ، وإن هذا النضج تعود فائدته على المجتمع ، والفكر الناضج ضروري لتقدم العلوم والصنائع والنظم الاجتماعية . وقد رأى ابن خلدون كذلك أن الإنسان يهدف من وراء السعي للتحصيل ، إلى الإلمام بنواحي المعرفة المختلفة ، التي يعدها وسيلة تساعده على أن يحيا حياة طبيعية في مجتمع راق متحضر . وهكذا نرى أن ابن خلدون قد سبق كتّاب القرن التاسع عشر الميلادي ، في أوروبا في وضع هدف جديد للتربية هو مساعدة الفرد على أن يحيا الحياة الطيبة .

وقد قسّم ابن خلدون العلوم المنتشرة في المجتمعات المتحضرة حتى عصره إلى قسمين كبيرين هما :

(أ) **العلوم النقلية :** وهي علوم ينقلها الإنسان عمن وضعها أو أسسها وتتوارثها الأجيال ، وكل هذه العلوم « مستندة إلى الخبرة عن الوضع الشرعي ، ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول » **وتسعى هذه العلوم إلى شرح العقيدة ، وتنظيم فرائض الدين ، وسن القوانين الشرعية** ، أي إن العلوم النقلية هي علوم الدين بأنواعها وما يرتبط بها من علوم مساعدة لدراستها مثل علم اللغة والنحو . ويقول ابن خلدون : وأصل هذه العلوم كلها هو الشرعيات من الكتاب والسنّة . ويضيف ابن خلدون علم التصوف إلى العلوم الشرعية .

(ب) **العلوم العقلية :** وهي ثمرة نشاط الفكر البشري وتأملاته ، ويهتدي الإنسان إلى هذه العلوم بمداركه البشرية ، فيلم بموضوعاتها ومسائلها واتجاه براهينها ووجوه تعليمها ، فهذه العلوم إذن لا صلة لها بالدين الإسلامي ولا بغيره من الأديان . **وتشمل العلوم العقلية أربعة علوم : علم الطبيعيات ـ علم الإلهيات ـ علم الرياضيات** (ويشمل العلوم الهندسية ، وعلوم العدد والموسيق ، وعلم الهيئة) **ـ وعلم المنطق .**

ولقد رتب ابن خلدون العلوم حسب أهميتها للمتعلم ، ولم يدرج الصنائع ضمن أقسام العلوم بالرغم من أنه عدّ تعليم العلوم صنعة من الصناعات ، وعدّ هذه الصنعة من الصناعات الكمالية التي لا تنشأ وتزدهر ، ولا تجد رواجاً ولا تزداد أهمية إلا في المجتمعات المتحضرة .

وقسّم ابن خلدون الصنائع إلى عدة أنواع : نوع ضروري لحياة المجتمع في جميع أطواره التي يمر بها من البداوة للتحضر ، ونوع شريف بالموضوع ، وقد أضاف ابن خلدون الجندية إلى الصناعات ، ونوع خاص بالأفكار كالكتابة والغناء والشعر . كما يدرج ابن خلدون الطب والفلاحة والحساب وغيرها ضمن الصناعات ، ويضعها أيضاً ضمن العلوم





الطبيعية . وبهذا يؤكد ابن خلدون على عدة اتجاهات معيّنة منها :

أ ـ عدم التفريق بين النظري والعملي من العلوم .

ب ـ إيجاد التوازن بين علوم الدين والعلوم العقلية .

جـ ـ اعتبار مهنة التعليم وسيلة محترمة لاكتساب الرزق ، فادخل هدفاً جديداً للتعليم هو احتراف مهنة التدريس لغرض الارتزاق .

د ـ جعل التعليم عاماً شاملاً لنواحي المعرفة المختلفة والبعد عن الاختصاص الضيق مع التعميق في العلوم .

التربية وطريقة التعليم

لقد ألقحت هذه الخلفية الشخصية الفريدة لابن خلدون فكراً تربوياً متميزاً اقترن باسمه واصطبغ تناوله العملي الإيجابي للأشياء حتى لقد كانت آراؤه التربوية ـ كما قلنا ـ فتحاً جديداً في الفكر التربوي الإسلامي فجسد في الرضا عن العلوم بما كان موصولاً بحاجات الإنسان المباشرة روحية كانت أم مادية في الاعتراف بالعقل مصدراً مستقلاً من مصادر المعرفة الإنسانية ، وجعل البحث عن الحقيقة سبباً طبيعياً من أسباب الوجود الإنساني .

وبالنسبة لطريقة التعليم فقد عبّر ابن خلدون عن موقفه نحوها خلال مواقف خلافية اتخذها ضد مربيي عصره حول عدة قضايا تربوية أساسية :

(١) ففي مقدمة كتابه الشهير ، كتب ابن خلدون فصلاً تحت عنوان : (وجه الصواب في تعليم العلوم وطرق إفادته) يقول فيه : « وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذي أدركناه يجهلون طرق التعليم وإفادته ، ويحضرون المتعلم في أول تعليمه المسائل المقفلة في العلوم ، ويطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ، ويحسبون ذلك مراناً على التعليم وصواباً فيه ، ويكلفون وعي ذلك وتحصيله ، ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها ، وقبل أن يستعد لفهمها ، فإن قبول العلم والاستعداد لفهمه ينشأ تدريجياً ، ويكون المتعلم في أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلا في الأقل وعلى سبيل المثال الحسية والتقريب والإجمال ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً بمخالطة ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذي فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد والتحصيل ويحيط هو بمسائل الفن ، وإذا ألقيت عليه الغايات في البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعي وبعيد عن الاستعداد له ، كلّ ذهنه عنها ، وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه فتكاسل عنه وانحرف في قبوله وتمادى في هجرانه وإنما ذلك من سوء التعليم » .

وهكذا ينتقد ابن خلدون ما كان متبعاً من طرق مختلفة لتلقين الأطفال أمهات المسائل العلمية دون اعتبار لاستعدادهم لقبولها أو عجزهم عن ذلك ، **ويطالب ابن خلدون أن يكون التعليم قائماً على التدريج شيئاً فشيئاً ، وقليلاً قليلاً ، مع مراعاة قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه حتى ينتهي إلى آخر الفن** ، ثم يعود المعلم مرة أخرى إلى الشرح والبيان والتفاصيل حتى تصقل ملكة المتعلم . أي إن طريقة التدريس في نظر ابن خلدون تمر بثلاث خطوات هي :

أ ـ يدرس التلميذ مبدئيات المعلومات العامة البسيطة التي تخص الموضوع الذي هو بصدد دراسته مع مراعاة كون هذه المعلومات مناسبة للمستوى العقلي للتلميذ حتى لا تكون فوق قدرته في الإدراك ، وهكذا يصل التلميذ إلى أول مستوى لعملية التعلم وأبسطه .

ب ـ يعود المدرّس فيقدم للتلميذ نفس المعلومات ثانية على مستوى أعلى من المستوى الذي قدمه في الخطوة الأولى ، فيأخذ النقاط المختلفة في الدرس بالشرح والبيان البعيدين عن الإجمال ، وهكذا يصل بالمتعلم إلى مستوى أعلى من الإدراك .

جـ ـ يعود المدرّس مرة ثالثة لتدريس الموضوع دراسة تفصيلية شاملة متعمقاً في نواحيه ومدققاً في البحث فيه .

على أن ابن خلدون يعود إلى آرائه الصائبة في التربية عندما ينصح **بأن يستعين المعلم في التدريس ـ ما أمكن ـ بضرب الأمثلة المفسرة للموضوع ، كما يرى أنه كلما كانت الأمثلة حسية ، كانت أفضل** . كما ينصح ابن خلدون المعلم بعدم تقطيع الدروس لفترات طويلة تفصل بينها وبين بعضها ، إذ إن في هذا التقطيع مدعاة لأن ينسى المتعلم ما درسه لطول الفترة ، ولكن مواصلة الدروس يربط بينها وبين بعضها ، ويساعد على أن تتم عملية التعلم في وقت أقصر مع الربط بين الدروس . وبذلك يكون ابن خلدون قد سبق **« ثورنديك »** الذي نبّه إلى أهمية المران للوصول إلى التعلم الجيّد ، وسبق علماء النفس الذين تحدثوا عن حدوث الانطفاء في التعلم نتيجة لعدم الممارسة .

(٢) فرّق ابن خلدون بين العلوم التي هي مقصودة بذاتها كالشرعيات والطبيعيات والإلهيات وبين العلوم التي هي وسيلة آلية لهذه العلوم كالعربية والحساب وغيرها للشرعيات وكالمنطق للفلسفة . ثم أجاز التوسع في العلوم التي هي غايات في حد ذاتها ، وألح على ضرورة الاقتصاد في العلوم التي هي آلات ووسائل للعلوم الأولى وهي التي لا

حرج في توسعة الكلام فيها وتفريع المسائل واستكشاف الأدلة والأنظار فإن ذلك يزيد طالبها تمكناً في ملكيته وإيضاحاً لمعانيها المقصودة. أما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية والمنطق وأمثالها فلا ينبغي أن ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط ولا يوسع فيها الكلام ولا تفرع المسائل.

لهذا يجب على المعلمين لهذه العلوم الآلية ألا يستبحروا في شأنها وينبهوا المتعلم على الغرض منها ويقفوا به عنده فمن نزعت به همته بعد ذلك إلى شيء من التوغل فليرق له ما شاء من المراقي صعباً أو سهلاً وكل ميسر لما خلق له.

(٣) وخالف ابن خلدون معاصريه أيضاً في طريقتهم القائمة على الاختصارات في العلوم المخلة بالتعلم، وأخذ عليهم سوء منهجهم في ذلك لما فيه من فساد في التعلم وإخلال في التحصيل وتخليطاً على المبتدئ.

(٤) أما القضية الرابعة التي عالجها ابن خلدون في حقل التربية فتتصل بمعاملة المتعلمين وهو يرى أن تقوم هذه المعاملة على أساس من الفهم الواعي لمرحلة الطفولة وحاجاتها. وينبّه إلى ضرورة أخذ المتعلم بشيء من اللين ولطف المعاملة ذلك أن سوء المعاملة القائم على الشدة وربما الضرب إنما يقود إلى كثير من الانحرافات النفسية والسلوكية.

وقد ضمن ابن خلدون آراءه حول هذه القضية في الباب الذي عقده تحت عنوان «الشدّة على المتعلمين مَضرّة بهم».

(٥) ثم عقد ابن خلدون فصلاً عن صلة اللغة بالفكر، وهو يرى أن اللغة تمثل عماد التفكير، ونصح بأن تستخدم في عملية التعلم لغة سهلة ميسَّرة تتيح للمتعلم القدرة على التعبير عن أفكاره وآرائه بصورة واضحة.

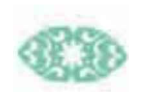
ويفرق ابن خلدون بين التعلم النظري والتعلم العملي بشيئين، وهما أن التعلم الأول ـ أي النظري ـ أرقى من الثاني، لأنه يحتاج إلى استعمال الكتابة؛ والكتابة من الصنائع الأكثر تقدماً للنمو العقلي، كما أن التعلم النظري أرقى من التعلم العملي، لأن التعلم النظري يحتاج إلى تكوين مدركات كلية مجردة وإلى تطبيق هذه المدركات في شتى الشؤون.

(٦) ولم يفت ابن خلدون أن يشرح طريقة تعلم الصناعات العملية التي رأى أنه لا بد من معلم ليعلمها بطريقة صحيحة فقال: إن ملكة الصنائع يكون تكوينها أكمل لو حدث عن طريق المباشرة الفعلية للصنائع بعد فهمها ثم تكرار هذه المباشرة الفعلية حتى يتم تعلمها.

الخلدونية والتربية الحديثة

وهكذا بدت عبقرية ونبوغ الفكر التربوي لابن خلدون إلى جانب نبوغه وعبقريته في نواحي متعددة، فهو المنشئ الأول لعلم الاجتماع، كما أنه إمام ومجدد في علم التاريخ، وفن «الأتوبيوجرافيا» أي ترجمة المؤلف لنفسه، كما كان إماماً ومجدداً في أسلوب الكتابة العربية.

وإذا كان ابن خلدون قد عاش خلال القرن الرابع عشر الميلادي، وبداية القرن الخامس عشر الميلادي، (١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م)، فإن أفكاره وآراءه التربوية تقترب إلى حد كبير من الفلسفة الحديثة فنجد أن ابن خلدون يتفق مع الدراسات الحديثة حينما يتحدث عن **قانون الاستعداد والتعلم في علم النفس وعن الإدراك الكلي (الجشطلت)** ويؤكد على استخدام الأمثال الحسية من وسائل التعلم وعن التكرار مع التعزيز، حتى لا يكل الذهن وحتى لا يحس المتعلم بعجزه فينصرف عن التعلم. كما يؤكد على استخدام الوسائل التعليمية المبسطة والرسوم. ويتفق مع **جان جاك روسو** في أن سكان المدن تتألف من أناس أفسدتهم الحضارة.



المراجع والمصادر

١ ـ غاستون بوتول: «ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية»، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، دار إحياء الكتب المصرية، ١٩٥٥م، ص ٩ وما بعدها:

٢ ـ عبد الرحمن بن خلدون: «المختار من كتاب مقدمة ابن خلدون»، مصورة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي (الإدارة العامة للثقافة)، اختيار رضوان إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م، ص ص ١ ـ ٢٢.

٣ ـ ـــــــــ: «مقدمة ابن خلدون»، القاهرة، لجنة البيان العربي، الجزء الأول، ١٩٦٥م، ص ١ وما بعدها.

٤ ـ طه حسين: «علم الاجتماع»، المجلد الثامن، ط ١، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٣م، ص ١٣.

٥ ـ أنطوان الخوري، أعلام التربية ـ حياتهم وآراؤهم، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٤م، ص ص ٤٢ ـ ٥٠.

٦ ـ المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، «أعمال مهرجان ابن خلدون» منعقد في القاهرة من ٢ إلى ٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٢م، ص ص ٤٢٥ ـ ٤٧٠.

٧ ـ عبد الله شحاته: «علوم الدين الإسلامي»، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م، ص ٢٥٥.

٨ ـ أحمد فؤاد الأهواني: «التربية في الإسلام»، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٧م، ص ص ٢٤٨ ـ ٢٥٠.

٩ ـ محمد مرسي وسعيد إسماعيل: «تاريخ التربية والتعليم»، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٤م، ص ص ١٨٩ ـ ٢٠٢.

١٠ ـ محمد مرسي أحمد: «أصول الفكر التربوي»، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٥م، ص ص ٢٨٨ ـ ٣١٠.



يـا بيتَها في عـدوة البلـدِ ... هيّجتَ وجدَ الشاعر الغـردِ

حـامتْ عليـك الـروحُ والهـةً ... ومسحتُ بالطين الزكيّ يـدي

لم يَبْنِك البـانون مـن حجرٍ ... كلاّ . . . بل اقتطعوك من كبدي

شرفاتُكَ الخضراءُ غـارقةٌ ... بـالنور، تـزحم قبّةَ الخلـدِ

وقفَ الخـزامُ على جـوانبها ... صفّين من جندٍ ومن رصدِ

نثرتْ عليك الشمسُ عسجدَها ... يـا شمسُ عبّي الطيبَ وابتردي

يا ليت تدري من تُقيم بـه ... أني أقيم أنـا على وقـدِ

يـا حلـوة العينـين تـاق إلى ... عينيْـك أمسي واشرأبَّ غـدي

قلبي إليك صدٍ، فـواحَرَبي ... إن أنتِ لم تـرو غليـلَ صدي

أخشى على حبّي يُلمّ بـه ... واشٍ، وأخشى نـظرةَ الحسـدِ

لا تقـطعي حبلي، ولا تصلي ... حبـلَ النـوى المعقـودَ بـالنكدِ

عينـاك ميـنائي . . ألـوذ بـه ... إن خانني – أو لم يخنْ – جَلَدي

لـولاهما دجـتِ الحيـاةُ، وهـل ... تحلـو الحيـاة لمدلـج رمـدِ؟

غلواءُ يـا حـلم العبـير، ويـا ... لحنـاً على شـفة الـربيع نـدي

سدَّ الهـوى طُرُقي فـلا انفتحتْ ... وجـنى السـهاد عليّ، فلـيزدِ

ما نفع جفـنٍ لم يـذبْ سـهراً ... وحشـاشةٍ قفـراءَ لم تجِـدِ[1]

أنـا مـا حملتُ سواك في خَلَدي ... يـا حلـوتي لا تـبرحي خَلَدي

تيهي اعتداداً واخطري مـرحاً ... وتـدللي . . وامشي على كبـدي

وشّيتُ بـاسمك جيـد قـافيتي ... ونقشتُه في جبهـة الأبـدِ



الهـوامش

(١) لم تجد : لم تعرف الوجد .

المصباح الغازي



رغم أن الصينيين القدامى استخدموا الغاز الطبيعي في الإضاءة ، إلا أن البداية العملية له تعود إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، والتي كانت بمثابة الاستثمار العملي للناتج الضخم من غاز الفحم الناشئ عن صناعة الغاز الجديدة في ذلك الوقت .

في عام ١٧٩٢م ، كان الفرنسيان **جان بيير منكلرز ، وفيليب ليبون** قد بذلا جهوداً كبيرة في سبيل استخدام الغاز في الإضاءة . لكن الاسكتلندي **وليم ميردوك** استطاع – في ذلك العام – ابتكار موقد لإنتاج غاز الفحم المستخدم في الإضاءة ، وبناه خلف منزله . وبعد ست سنوات تمكّن من إضاءة **ورش سوهو** ، بمدينة **بيرمنجهام** ، بالغاز . . ثم في منطقتي **بولتون ، ووات** .

ويقال إن فكرة استخدام الغاز الناتج من الفحم في الإضاءة ، قد راودت **ميردوك** ، بينما كان جالساً ذات ليلة يراقب ألسنة النار في مدفأة منزله العاملة بالفحم . ساعتها . . **لاحظ أن ألسنة الغاز تشتعل بطول قطع الفحم ، فتناول قطعة فحم مشتعل ووضعها في أنبوب ، ثم أغلق الأنبوب من أحد طرفيه ، فاكتشف إمكانية الحصول على الضوء عند خروجه من الطرف المفتوح للأنبوب .**

ومن قبل **ميردوك** ، قام كثيرون بإجراء تجارب على استخدام الغاز في الإضاءة ، وكان أشهرهم الأيرلندي **دين كليتون** الذي بدأ تجاربه في عام ١٦٨٨م . وفي عام ١٧٦٥م ، قام **سبيدنج** – وكان مديراً لأحد مناجم الفحم – بإدخال استخدام الغاز في إضاءة مكاتبه . بيد أنه لم يستطع الحصول على تصريح لتركيب المصابيح الغازية في شوارع بلدة **وايتهيفين** القريبة من منطقة **كمبرلاند** .

أول إضاءة غازية عامة تمّ تركيبها بضاحية بول مول بلندن عام ١٨٠٧م ، وقد قام بها الألماني **إف . آ . ونسور** ، الذي أثمرت جهوده إنشاء **شركة الإضاءة الغازية ، وفحم الكوك** ، التي بدأت عملها في عام ١٩٤٨م . . وهو العام الذي نُفذ فيه **تأميم صناعة الغاز في بريطانيا** .

أما في **الولايات المتحدة الأمريكية** ، فقد استطاع **ديفيد ميلفيل** – من **رود آيلاند** – إضاءة منزله بالغاز . كان ذلك في عام ١٨٠٦م .

وفي عام ١٨١٦م ، استخدمت المصابيح الغازية في إضاءة **المسرح الجديد** في ولاية **فيلادلفيا** .

هذا ، ويعتبر **وليم سُغ** واحداً من أكبر أصحاب الإنجازات في صناعة المصابيح الغازية .

في عام ١٨٥٨م ، حقق إضافات هامة **في مجال التحكم في ضغط الغاز داخل الموقد** .

وفي عام ١٨٢٥م ، اكتشف **دراموند ، ضوء الكلس** Lime light **الذي انتشر استخدامه في الإضاءة المسرحية** ، نظراً لإمكانية إنتاجه الضوء الباهر الذي ينتج عن اشتعال كتلة من الكلس في مزيج من غازي الهيدروجين والأوكسجين .

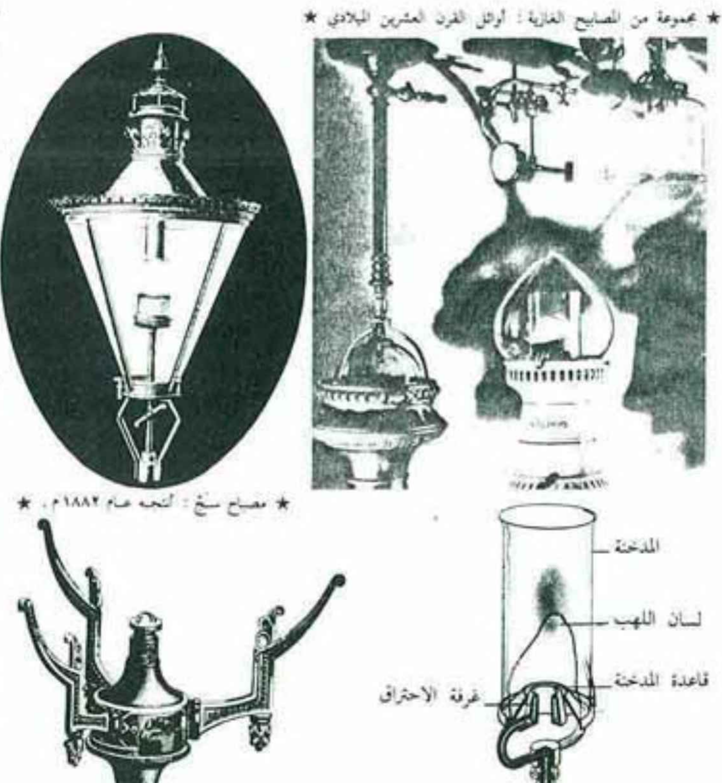
يتميّز هذا المصباح الغازي بإنتاج درجة كبيرة من الحرارة تجعل ضوءه باهراً .

في خلال القرن التاسع عشر الميلادي ، ظهرت تصميمات كثيرة من المصباح المتوهج incandescent gas mantle .

بيد أن أول تصميم حقّق نجاحاً كبيراً هو الذي أنتجه **كارل أوير فون ولسباخ** – الذي تتلمذ على **روبرت بنْسن** – وذلك في عام ١٨٨٥م . وبعد عشر سنوات أخرى صمّم ولسباخ مصباحاً عرف باسمه واعتُبر دفعة قوية لصناعة مصابيح الغاز .

ويكفي دلالة على نجاح مصباح ولسباخ أن مبيعاته في عام ١٨٩٣م ، فقط – في بريطانيا وحدها – بلغت عشرين ألف مصباح . وبعد ذلك بعامين فقط ارتفعت مبيعاته – في ذات الدولة – كي تصل إلى ثلاثمائة ألف مصباح في عام ١٨٩٥م .

بيد أن مصباح ولسباخ ، بل وصناعة الإضاءة الغازية كلها ، لم تلبث أن تعرّضت لمنافسة شديدة فرضها عليها المصباح الكهربائي . ومن ثم أفل نجم الإضاءة الغازية ، وبدأ عصر الإضاءة الكهربائية مع حلول قرننا العشرين الميلادي هذا .



★ مجموعة من المصابيح الغازية : أوائل القرن العشرين الميلادي ★

★ مصباح سُغ : أنتجه عام ١٨٨٢م . ★

★ قطاع عرضي . . مصباح وليم سُغ . . أنتجه عام ١٨٦٩م ★

★ مصباح سُغ : الموقد وجهاز التحكم في الغاز ★



● الكتاب: وغيض الماء (ديوان شعر).

● المؤلف: د. أسامة عبد الرحمن.

● الناشر: ذات السلاسل بالكويت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

هذا هو الديوان الثالث للشاعر أسامة عبد الرحمن، امتداد قوي ومتدفق بالمشاعر للديوان الأول «واستوت على الجودي»، وامتداد فكري لموقفه من القضية العربية في ترديها المهين على شتى المستويات. ويصبح هذا العنوان دالا إما على إفلاس مصيري مما يعني سقوط حضارتنا بعد دخولها في عصور الجدب والجفاف ـ فقد غيض الماء ـ وإما على أننا في مرحلة ما بعد الطوفان التي تقتضي منا إعادة بناء ما دمرته الكارثة.

وفي الحالين يتسع الديوان بقصائده الثلاث والأربعين لقضية العروبة بكل أبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وقبل ذلك الدينية!.

وهاجس العروبة متمكن من نفس الشاعر، ولم يغب قط عن شاعريته ـ على طول المسافة بين التقدير الواهم عند الجمهور والإحساس الفاهم عند الخاصة ـ أنَّ العدو صار فينا. وليس من حق أحد أن يهون من شأنه حتى وإن استند إلى الماضي التليد!.

والمدهش أنه وقد رأى العرب في القدس والجولان وبيروت والقاهرة المعزية تقسمهم الخلافات، يتساءل: كيف.. ولماذا؟ وإلى متى يظل الصليبي الجديد ـ اليهودي ـ يبتاع كل ألحان السلام من خان الخليلي وسور الأزبكية؟.

وأسرعت للجوديّ فوق سفينة
فلم تَستو فوق
جودي ولا قضي الأمر.

لأن ترابه «قد داس الأعادي عفافه وما انتفض الكبر»، ولأن عشيرته العربية اكتفت بالشكاة وكأنها لا يزال يدهشها أن تقهر التاريخ والمجد والواقع شرذمة «من المغول تعادي الله والكتبا»:

إنني أجثو لدى القرصان
لكن من خلال المنبر المرزوء
ادعو ربَّنا أن يلعنه
....
قد عربد القرصان
والأعراب من فوق المنابر
عند سوق عكاظ
خاضوا
في قصائد عنترية!.

لكن النبوءة يقدمها أسامة في جلاء وبنبرة حادة تقتحم كل أذن، وتجتمع على الجراح والعاصف المكبوت والأعذار اللانهائية:

قضيتي معروفة
مقروءة على التراب
والجدران
قضيتي
فصولها كثيرة
فواحد من الفصول عن فلسطين
وواحد من الفصول عن لبنان
وواحد من الفصول قادم.

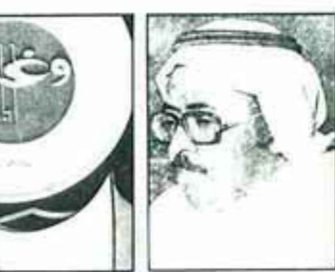
وهنا النبوءة، فتصبح القضية قضية مستقبل، قضية الغد على أساس أن الفجيعة لم تتم فصولا بعد.. فقد بدأت بعنوان، وانتهت تُكلى بلا عنوان (ص ١١٨).

وفي مرثية رائعة للحضارة العربية، وقد بعثرت منها الأمجاد، وهوت الصروح، ونُسي ما صنع الأشاوس في لهيب المعارك وشموخ العمائر قال:

ما قيمة الأعذار
والنكسات تمحقنا
وما عرفت دفاترنا ولا أسيافنا
غير الخسارة
ما قيمة الأعذار
والأعراب قد نكصوا
وقد نقضوا العهود...
وأفقدوا الوطن اعتباره!.

تلك شهادة الشاعر أسامة عبد الرحمن، وهذه نبوءته، ولأنه حزين دائما تتناثر على طول صفحات ديوانه «وغيض الماء» ألفاظ المأساة، والدجى، والعار.. وفي مقابلها الثأر الكلمة لا الفعل، والضحى الذي يختنق، والغدر الذي ينتحر فيه المنطق والحق.

بل يصبح لغواً كل ما حاول الشاعر أن يقدم به الوجه الآخر للموقف.. بالأسئلة المتلاحقة، وبالأمنيات التي يعجز عن تحقيقها، وبالتخويف السلبي تقيمه «لو» التي يقول عنها النحاة: إنها حرف امتناع الامتناع، والتغني، بالحب الذي تبدو فيه الحبيبة فكرة أو مطلقاً ينقصه التحديد.. وإن يكن ثمة ما تتعرف به على





★ د. أسامة عبد الرحمن ★

بعض معالمه، ثورة كان أو ضراوة بركان، أو شيئاً كالدهر مأساة وأغنية، أو سحراً تينع حروفه به كالورد فيرتحل هو ـ أي الشاعر ـ من الأغصان للأغصان.

ونحن في كل قصائد الديوان ـ في عصر غَيْض الماء ـ وأمام مأساة الشاعر التي هي مأساتنا، نجد أسامة عبد الرحمن يؤسس وظيفته من حيث هو مبشِّر ـ ومن التبشير نذر بالعذاب والمعاناة الأبدية ـ على ثنائية التطابق وتكرار العلائق الموحية.

فالعروبة الغائبة حاضرة بسلبياتها وراياتها المنكسة في ذل الإسار والجهل، وتشكو «مثلما تشكو السبية» (ص ٩٣)، بل تشدو فوق مأساة الإباء (ص ٣٩).

والحب الموجود يغتاله الموقف والحجاج والخطبة العصماء!.

والسيف المغمد تحوّل ـ عند الشاعر ـ إلى تلويحات بعزة قعساء، بعد أن تسلّط على حامله القهر والذئاب.

والجهاد الحلم شوّه الكرى والدجى نفسه ـ وليس من شاعر محدث ألح على الدجى مثلما ألح أسامة ـ فاستقام أمر النكوص الواقع واللجاجة التي ضيعت العلا حتى من الفكر (ص ١٥٩).

فهل يمكن أن نصف الشاعر بعد كل هذا بالسوداوية، أو نكتفي بالقول إنه خائف على المصير؟.

لسنا ندري...

فإن شاعراً يملك كل هذا الحس المتداخل المتلاطم، ويتحمس هذا التحمس الهادر الكاسر، لا بد أن تعاد قراءة صفحاته مرات وبمستويات شتى من التقويم!.

● الكتاب: الموت والابتسام (مجموعة قصصية).

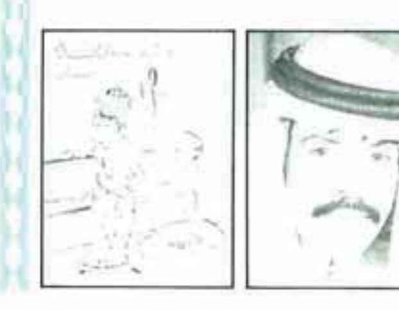
● المؤلف: عبد الله أحمد باقازي.

● الناشر: دار العلم للطباعة والنشر ـ جدة، ط ١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، (٢١٠ صفحات).

يبدو أن القاص (عبد الله باقازي) قد أخطأ حين أدرج باكورة أعماله القصصية الأولى في هذه المجموعة، وبخاصة قصصه: [النسخة الأولى ١٣٨٩هـ، والملابس الجديدة، والضرير]. لأنها كانت تغص بالأخطاء الفنية واللغوية والنحوية.. بالإضافة إلى الأخطاء المطبعية التي أغرقت الكتاب بأكمله. ورغم أنه حاول في هذه القصص الثلاث أن يصوغها بلغة جميلة مصورة، إلا أنه خانته الصياغة، فجاءت أوصافه باهتة. كما أنه افتقد في تلك القصص: حساسة القص، ودقة التعبير، وإحكام البناء الفني، وطاقة التأثير. لذلك عليه أن يستغني عنها، أو يعيد كتابتها بدقة وإتقان.

ولا ندري لماذا قسّم القاص مجموعته إلى ثلاثة أقسام: في الأول عشر قصص، والثاني إحدى عشرة، والثالث قصتان. فربما كان يريد تسلسلها الزمني، أو انعطاف في المضمون والاتجاه، أو شيء آخر. ومهما يكن من أسباب، فإن القاص متطور في فنه وأسلوبه ولغته وفكره.

إن ثمة إحباط مدمر يلف شخصيات (عبد الله باقازي) القصصية: وكأن هموم الدنيا كلها تضافرت لتسد بوجوههم بوادر السعادة، ولتطفئ من دروبهم بصيص الأمل. فبدت لنا حياتهم قاسية، وظروفهم قاهرة، ومعاناتهم مرة. وحتى لنستغرب كيف استحالت الحياة إلى جحيم أمام أولئك المسحوقين المعذبين.. ولنتساءل: أيمكن لحياتنا المشرقة الباسمة أن تحتوي على مثل هذه الفئة المحرومة المحروقة. ولو استعرضنا جل قصص المجموعة، وتوغلنا في أعماق شخوصها، لوجدنا ذلك الإحباط يستغرقهم،





★ عبد الله أحمد باقازي ★

وإن حاول بعضهم أن يتجاوزه على نحو ما. إذ غالبية قصصه تعوم في جو بائس مكفهر. فقد اختار شخصياته من الطبقات الدنيا، يجمعها البؤس والقهر والمرض والتشوه والبطالة.

ولذلك فإن قصص (باقازي) تمثل النماذج البشرية المقهورة. وإن رسمه لشخصياته لا يقوم على التصوير الخارجي، وإنما يقوم على انطباعات الشخوص واستبطانها الداخلي. كما تقوم مقدرته القصصية على حسن انتقاء المحنة أو المعاناة التي تدور حولها هموم شخوصه.. إذ يختار لنا من الهموم النفسية العميقة التي تمتد آثارها في النفس الإنسانية، لأنها تجد فيها الصدى. فهي قدرة على كشف كل تموجات النفس وما تجيش به. وبالتالي هي صدق التجربة التي يتميّز بها، ويفتقدها الكثير من كتّاب الشباب اليوم الذين يفتعلون الهموم والتجارب.

ومن نماذجه البشرية: بائس في العيد، ضرير، متسول، عانس، مريض، مشوّه، خادمة، عاطل عن العمل، وغيرهم من البؤساء.

وإذا كان جوه القصصي العام مشحوناً بالبؤس والفاقة والحرمان والعذاب والعاهات والأمراض، فإن الموت قد ينأى عن الكثير من نماذجه وبؤسائه. على أن الموت قد يصبح في بعض القصص نهاية حتمية للحياة البائسة، سواء أكان القدر يودي بالمريض كما في قصة [روشتة أشعة]، أم المرض يودي به كما في قصة [الموت والابتسام]، وبالتالي فإن الموت يستحيل في القصتين إلى حسم للشقاء رغم الابتسام المصطنع إزاء المأساة.

وقد ينشد بعض الأبطال الموت كما في قصة [القمر خلف الأشجار]. ولكن بلا جدوى. بل قد يصبح الموت أحياناً هو المحور الذي تدور حوله معاناة الأبطال كما في قصة [صراع]. وقد يولّد الموت ـ كما في قصة [المساء دائماً أقسى] ـ النقمة واللعنة على مسببيه: الشمس التي كانت سبباً في موت أم الراعية، وبركة الماء التي سببت موت ابن عمها.

ورغم البؤس الذي يغرق الأبطال، فإنهم لا يتخلون عن أحاسيسهم الإنسانية، ففي أعماقهم أبعاد رحبة من الحب والحنان والعطف على ذويهم وأطفالهم. وحتى القصة الوحيدة [عملية بسيطة] التي تسرق فيها العانس العرجاء، فلم تكن بنوازع شريرة.

وإذا كان القاص برع في تصوير آلام بؤسائه، فإنه أخفق في تصوير الجانب الثاني من الحياة.. حياة الموسرين، وإن كان نادراً ما يلجأ إلى تصويرهم. فلذلك حين صورهم في قصة [الحالم] جاءت مخلخلة البناء.. فبدت مصطنعة الحبكة والحدث.

وقد لجأ القاص إلى التلميح والإشارات الخاطفة في تسجيل أفكاره الحضارية، أو مواقف شخوصه الإنسانية، أو حالاتهم النفسية.. ولذلك لم تنعدم من قصصه الرموز الدالة الموحية.. إذ كان يوظفها في حالات دقيقة وصعبة تمر بأبطاله يستعصي عليه تقريرها أو وصفها مباشرة؛ ولكي لا تفقد حرارتها وعمقها لجأ إلى الرمز الذي بتنا نلمحه في الكثير من قصصه، وبخاصة في قصتي: [المطر، والقمر خلف الأشجار].

وقد يعرض التجربة أو المعاناة من خلال (المونولوج الداخلي) لكل شخصيات القصة في لحظة واحدة، سواء أكانت القصة من شخصيتين كما في قصة [السر]، أو من أربع كما في قصة [صراع].

كما أنه قد يمزج القضايا العلمية والمعلومات المدرسية مع وقائع وجدانية. فيشط به ذلك عن الجو الفني.. كما في قصة [امتحان جغرافيا]. وتذكرني هذه القصة بقصته [القمر والتشريح] التي نشرتها له مجلة «الفيصل» مؤخراً في العدد (١٠١).

وحين نقول إن القاص (عبد الله باقازي) قد تطور في فنه القصصي، فإن هذا ما نلمحه في قسمه الثالث، إذ بدت عليه ـ في قصة [أنا في انتظارك] ـ رومانسية متألقة، وفن آسر، ومقدرة فائقة على توصيل شحناته الوجدانية والعاطفية. وكذلك نجد في قصته [تضحية]، تجسيداً لنعم الله على الإنسان بالحواس الخمس.. وإذا فقدها بدت عبثية الحياة وسخريتها ونهايتها المرة.

وأخيراً يحق لنا أن نطلق على القاص (عبد الله باقازي) بكاتب البؤساء.





★ عاتق بن غيث البلادي ★

● الكتاب : أخلاق البدو .
● المؤلف : عاتق بن غيث البلادي .
● الناشر : دار مكة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

في تعريف البلادي للبدو ـ فيما تكشف عنه دراسته ـ أنهم القبائل العربية التي تسكن خارج المدن والقرى . وهم بهذا التحديد امتداد طبيعي لهؤلاء البدو الذين عاشوا في العصر الجاهلي ، مع احترازات يسيرة أهمها أن الإسلام قيّد بذو اليوم بالتزامات وأخلاقيات معيّنة ، وأعطى للحاكم حق السيطرة عليهم وتنفيذ الحدود فيهم .

ويفهم من كلامه أيضاً أن لهؤلاء البدو ـ في الصحراء ـ حدود قبلية ، ولكل قبيلة «حرد» تعرف به أينما وجد أحد أبنائها و «سلف» تسير عليه أجيالها ! .

وليس من هدف هذا العرض مراجعة المؤلف فيما أخذ به نفسه : فهو صالح في الجملة وإن تكن ثمة وجهات نظر حول نقاط أهمها لفظ البادية لما صار من العادة اقترانه بالصحراء وإطلاق لفظ الأعراب على من يسكنونها .

ويبدو من الدراسات الاجتماعية المتأخرة أننا نحتاج إلى إعادة النظر في مدلول القبلية ، ولا نأخذه بالصورة التي رسمها المؤرخون الأجانب للقبائل الهمجية التي اعتادت أن تجوس بقاع أوروبا وتغير على بلادها وحصونها في هجمات وحشية تكشف عن تدني مستواها الفكري .

ولعل ابن خلدون كان ممن لفتوا إلى أن «من كان معاشه في السائحة . . . أشد الناس توحشاً ، وينزلون من أهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه» ، وكان يقصد الأعراب ، وكان قد جعل طائفة من عرب البادية أهل زراعة يقومون بالفلح ـ فهم مستقرون ـ وكان يعرف بكل تأكيد أن العرب كانوا ستة أرحاء . . لمضر منهم اثنتان ، ولربيعة اثنتان ، ولليمن اثنتان ، وإنما سميت أرحاء لأن العرب نزوا بدور قرار وراحت تدور في مغانيها ومياهها دون الأرحاء على الأقطاب ! .

ويقتضي هذا إعادة النظر في مدلول كل من لفظ بدوي ولفظ بادية ، وأما اليوم فنحن نضيف إليها أسباباً حضارية يعانونها حقيقة ويشكلون بها صوراً جديدة .

ويحدثنا المؤلف بعبارة سليمة مشرقة وبأداء موجز جميل عن هؤلاء البدو الجدد . فإذا فيهم من الخصال الحميدة أشياء والذميمة أشياء أخرى . . وبقدر ما يشير لماً إلى الذميم من عاداتهم يقف طويلاً إلى الحميد منهم ، لأنه الأغلب ، ولأنه المثال الذي ينبغي أن يتبع ، ومن ثم تأنّى عند الكرم وجعله سمة شرف حتى إن المرأة لتأبى الرجل البخيل ، وقد تطلب منه الطلاق إذا كان عاقداً عليها . ومن أكرم الرجال ـ بعد حاتم قديماً ـ حجرف الذويبي الذي تمنت كل امرأة أن تضع مثله .

كما قدم الشجاعة على أساس أن العرب من أشجع الأمم «وهذه صفة من صفاتهم المشهورة فيهم ، غير أن الشجاعة قد تتأثر بالزمان والبيئة والحافز والقيادة» ، (ص ١٩) ، وبقدر ما شهر عنترة وعمرو بن كلثوم وعمرو بن معديكرب ودريد بن الصمة شهر مؤخراً أفذاذ منهم غالية البقمية التي تصدت لجيش محمد علي في تربة ، ومنهم أيضاً شليويح العطاوي وعودة أبو تايه وكريّم العطيات وأبرق وابن رفادة والأخوان عقاب وحجاب ، وقد اعتاد معظمهم أن يسجل بطولاته بالشعر .

وأما التعاون وإغاثة اللهفان فلهم فيها تقاليد وآيات حتى قالوا : «قوم تعاونت ما غلبت» ، و «يد مع يد معزة» ، و «عاون أخاك ولو بالنداء» ، و «الشاة المتطرفة يأكلها الذيب» .

ومن تلك الخلال أيضاً «التعفف عن الدنايا» ، و «تقبل النقد والتوجيه والحمية وحفظ الذمار» ، وهاتان كالغريزة عند البدوي حتى إنه ليفزع لنجدة شخص لا يعرفه ولم يره لأنه صاح «يا لفلان !» وسمّى قبيلته (ص ٤٠) .

وأما عادة «الأخذ بالثأر» فمرتبطة بالشجاعة حتى صار القتل ـ إلى عهد قريب ـ عندهم أو بالأصح عند شجعانهم وفوارسهم من الأمور التي لا يتحرجون منها . . وقد قيل إن قتلى «عودة أبو تايه» بلغوا سبعين رجلاً ، وكان غيره لا يتورّع عن القتل ما كان في ذلك حفظ لذماره .

ويتصل بهذا «الغيرة على العرض» ، ومن ثم يتحتم عليهم أن يتخيّروا لنطفهم ذوات الأعراق الطيبة . وقالوا : «أول

إحسانك إلى ابنك تعريب أصله » ، كما قالوا : « عرّب وليدك عرّبه ، والنار من شبّابها » .

ويوالي المؤلف رصد خلال البدو ، فمن حسن الجوار والرفقة وحفظ الأمانة والوفاء بالعهد إلى الصدق والحث على الصمت والحلم إلى الدهاء والحيلة والنفرة من المدح .. وفي حديثه عن « الغزل » قدم دراسة موجزة مشوقة للغزلين التراثيين ليقرر أن غزليي البدو اليوم اخفوا اسم المحبوبة واستعاضوا عنه باستعارة أوصاف تناسبها وتليق بمقامها منها الجميل ، الزين ، الغزال ، وزيْد ، وإنما يربأون عن ذكر الاسم إجلالا لها ورفعاً لمقامها (ص ٨٢) .

واشتهر من شعراء الغزل مخلّد القثامي من قبيلة عتيبة ومحمد العسيلي الحربي ، ويروى عن الأول أنه حج مرة فرأى جيلة لا يعرفها فهام بها أيما هيام وأنشد من قصيدة عامية طويلة :

يقول مخلد عند باب الحرم وَن
بالمدّعى يا عارفين المكاني
اقدامنا واقدام خلّي تناصن
في مطرح عنه الطريق يحداني
أول عذاب القلب من عنبر خَن
والمسك والريحان والزعفراني

ونوّه المؤلف بغزليات ساحل الحجاز المعروفة بالكسرة ، وقال إنها غالباً « مثنيات » لطيفة عذبة الألفاظ (ص ٩٢) كما نوّه بشاعرات تغزلن ، وبعضهن تغنى بشجاعة المحبوب .

كما تحدث المؤلف عن شعر الرثاء وذكر الديار والأهل والأحباب بعنوان « التوجُّد والحنين » .. كذلك وقف عند الهجاء ، وبالرغم من أن البدوي ينفر عادة من السباب والشتائم ، فإنه لا يكاد يرى ما يعيب حتى يرصده معلقاً عليه ؛ وحرص المؤلف على ذكر بعض تقاليد البدو في هذا الباب ، كما حرص على أن يبيُن أن الطنز والاستهزاء والتنابز بالألقاب لا تزال فيهم إلا من اتقه الله منهم (ص ١٠٥) .

وقد ختم بفصل قصير عنوانه « مصطلحات خاصة بالبدو » ، وعن طريقها نستدل على بعض خصالهم ، منها « عار وشنار » ، و « النار ولا العار » ، و « عيب وشق جيب » ، و « بغيتها سباعة وجت ضباعة » أي أردت عمل السباع ـ عملاً مشرفاً ـ فعملت مثل الضباع الرديء .

إلى غير ذلك من المصطلحات التي يجري بعضها مجرى الأمثال ، فإذا شئنا بعد ذلك تقويم الكتاب قلنا : كتاب جيد بمادة جيدة جديرة بالقراءة والتأمل ! .




ابن حزم والنحو الظاهري

بقلم: د. مصطفى عليان

ذهب ابن حزم إلى أن معرفة النحو لا تتأتى بحفظ قواعده، واستظهار شواهده، وإنما تتحصل بالمرانة والممارسة بأساليب العرب، والدربة بطرائقهم التعبيرية، بعيداً عن أي تعليل أو تحليل: إذ إن ذلك من شأنه أن يفسد هذه المعرفة بصرف الفكر إلى الحواشي دون المتون، وإلى الفروع دون الأصول. وبذلك جاءت فتواه النحوية في هذا المجال «وأما العلل فيه ففاسدة جداً»[١].

ويتجه ابن حزم في تناوله للنحو إلى تحديد منهجين متباينين في الوسيلة، متغايرين في الغاية، أحدهما: **وظيفي**، وثانيهما: **معيشي**.

أما النحو الوظيفي: فنافع لقوامة اللسان، وسلامة الخطاب، وأداء الغرض، وترجمة الحاجة، «وأقل ما يُجزئ في تحقيق هذه الغاية من كتب النحو، **كتاب الواضح للزبيدي**، أو ما نحا نحوه، كالموجز لابن السراج، وما أشبه»[٢]. مما يتناول ظواهر النحو وقضاياه العامة بالإجمال دون التفصيل الدقيق.

ومن الفضول الذي لا خير فيه أن يتعمق من كانت هذه غايته في جزئيات النحو، وأن يتورط في أصوله، وأن يتيه في شعاب قضاياه؛ لأن هذه الغاية كما يقول ابن حزم «مشغلة عن الأوكد، ومقطعة دون الأوجب والأهم، وإنما هي تكاذيب، لما وجه الشغل بما هذه صفته»[٣].

وأما النحو المعيشي: فيقصد به التخصصي، وهذا المجال ينبغي أن يقتصر على من أراد التدبر في قواعده، والدراية بتفصيلاته، والربط بين أسبابه ومسبباته. وهذا اللون من النحو لا فائدة منه، ولا منفعة فيه إلا لمن أراد أن يجعله معاشاً، لكنه وجه فاضل كما يقول ابن حزم، إذ إنه باب من أبواب العلم على كل حال[٤].

وأياً كان معتمد هذه القسمة دينياً أو اجتماعياً، فإن هذا الموقف النقدي للنحو ذو أبعاد تربوية من الناحية التعليمية التعلمية. إذ إنه ينبه إلى مؤشرات على جانب من الأهمية في تدريسه، ويؤكد على بعض الوسائل المعينة في استيعابه، بالالتفات إلى التناسب الهام بين المنهج ونوعية الغاية من جهة، وبين المنهج ونوعية المرحلة من جهة أخرى. فالتعلم الوظيفي للنحو يظل نافعاً مأنوساً إذا ظل بمنجاة عن الخوض في سرّ القاعدة، ومنطق السياق، وعلة الدلالة؛ لأن الاضطرار إلى التأويل والتخريج من شأنه أن يشقق المسألة الواحدة باستطرادات وتفريعات تجعل طالب القاعدة الأساسية بعيداً عن غايته الأصلية، إذ يوجه عنايته إلى هذه التفريعات من غير إصابة للقاعدة واستيعابها[٥].

ومن المفيد في مرحلة التعلم الوظيفي تسريب القاعدة الخفيفة بتراكيب مقاربة لنماذج العربية، التي حملت فهم العرب وأداءهم للمعاني بهيئات التعبير المختلفة، وأنماط البناء المتعددة. وفي هذا الأسلوب يقول ابن حزم: «وأما علم النحو فيرجع إلى مقدمات محفوظة عن العرب الذين نريد معرفة تفهمهم للمعاني بلغتهم»[٦].

ولا يتأتى هذا الفهم، ولا تتحصل هذه المعرفة إلا بملاحظة تعبير العرب عن عموم المعاني دون خصوصها، وعن كلياتها دون جزئياتها الدقيقة، لأن السماع عن العرب هو الأصل، وأما ما وضعه النحاة من شواهد وأمثلة، ففرع لا يلتفت إليه في هذا المجال لسببين؛ أولهما: أن العرب لم تعلل للغتها، وثانيهما: أن أكثرها مما لم تنطق بها.

وقد لا يجاوز الباحث قصد ابن حزم إذا قال: إن الجملة النحوية الظاهرية جملة بسيطة في تركيبها، واضحة في دلالتها، قويمة في بنائها، وغير ملتوية في إصابتها للمعنى. وترتكز على المهارات النحوية الأساسية المطردة، دون النظر إلى الشاذ أو النادر الذي يحفظ ولا يقاس عليه، وبعيداً عن الالتفات إلى المحاجات الخلافية بين النحاة التي عدَتْ على الأصل بالعلل تحليلاً وتأويلاً فطمست فهمه، وغيَّبت المقصود منه.

ويرشد هذا الفهم الذي ذهبنا إليه نظرة في كتاب الواضح



ابن حزم والنحو الظاهري

للزبيدي ، الذي طرحه ابن حزم أنموذجاً لتحقيق النحو الوظيفي . فهو كتاب يدل بعدد صفحاته التي لا تزيد على خمس وأربعين ومائتين ، على تركيزه من جهة ، ومغايرته لكتب النحو المعروفة بتعدد أجزائها ، والإفاضة في أبوابها ، من جهة أخرى . ويخلو خلواً تاماً من الشواهد النحوية ، والأمثلة الشعرية النمطية ، ويستبدل ذلك بالجملة البسيطة المحكية ، التي تفيد في مخاطبات الناس ، وقراءة كتبهم المؤلفة .

ولم يلتزم الزبيدي في هذا الكتاب مدرسة نحوية معينة ، على الرغم من أنه ربما كان بَصْريّ المنزع ، ولكنه كان حرّ الاختيار ، يتخيّر من الآراء أقربها إلى تحقيق غايته في مجال الاستعمال والارتباط بالمعنى[٧] .

ففي باب الحروف التي تنصب الأفعال ، عدّد هذه الحروف ، وطرح أمثلة على عملها في الأفعال المستقبلة ، من ذلك : «لن أكلمكم حتى تكلموا زيداً ، ثم قال : أكلمكم : نصب بلن ، وتكلموا : نصب بحتى ، ونصب بطرح النون من تكلمون»[٨] ، فقد جعل حتى ناصبة بنفسها ، دون النظر إلى ما عليه الخلاف في (أنْ) المضمرة بعدها .

وفي باب الحال لم يتعرض للحال في أوصافها الأربعة التي جرى النحويون على تحديدها تحديداً مباشراً من حيث الانتقال دون الثبات ، والاشتقاق دون الجمود ، والتنكير دون المعرفة ، وأن تكون نفس صاحبها . يقول الزبيدي : «إذا أخبرت عن شيء معروف أنه فعل فعلاً ، أو وقع عليه فعل ، أو أخبرت عن استقراره في مكان ، أو أشرت إلى عينه ، وتم الكلام بذلك ، ثم أردت أن تخبر بالحال التي وقع فيها الفعل ، فانصب ذلك الخبر ؛ لأنه مفعول فيه . وهو الذي يسمى الحال . ولا يكون الخبر إلا نكرة ، كما لا يكون المخبر عنه إلا معرفة . تقول رأيت عبد الله قائماً ، عبد الله مفعول به ، وقائماً حال ، كأنه قال : رأيت عبد الله ، وتمّ الكلام بذلك ، ثم قال في حال قيام»[٩] .

ورفض ابن حزم للعلل رفضٌ مطلق ، من غير استثناء للعلل الأول أو الثواني أو الثوالث ، لأن العلة قد تستخدم للشيء وضده ، والعلة قد تطرد في مجال فتكون القناعة ، وقد يعوزها ذلك الاطراد فيكون الشذوذ ، وهو ما جعل النحاة يفسرون الظواهر المطردة ، ويفلسفون النوادر الشاذة ، وكثرة ذلك في كتبهم تغني عن الاستدلال بأمثلة منهم .

ومن الدقة أن نقول إن مطلقية رفض العلة عند ابن حزم خصوصية لازمة لمرحلة التعلم الوظيفي ، الذي يتم فيه تسريب الجملة العربية كما نطقت ، أو كما خلقت عند العرب . ولذلك فإن ابن حزم يأخذ بمبدأ التدرج في التعلم ، وهو مبدأ تربوي سليم ، يدل على عمق الإدراك ، وسعة التصور ، فالواضح للزبيدي **والموجز لابن السراج** وما أشبه من الكتب هي «**أقل ما يجزئ**» لمرحلة قوامة اللسان . أما المراحل المتقدمة المتخصصة ، فلا بأس لمن وجد في نفسه الرغبة ، وفي عقله الكفاية ، أن يزيد إلى ذلك كتاب سيبويه ، لأنها ضرورة تقضي بها طبيعة الحفاظ على اللغة وفهم أسرار كتاب الله وسنّة رسوله ، فهو من علوم الآلة ، وتعلمه على الكفاية . يقول ابن حزم : «وأما الغرض من هذا العلم فهي المخاطبة ، وما بالمرء حاجة إليه في قراءة الكتب المجموعة في العلوم فقط ، فمن يزيد في هذا العلم إلى أحكام كتاب سيبويه فحسن ، إلا أن الاشتغال بغير هذا أولى وأفضل ، لأنه لا منفعة للتزيد على المقدار الذي ذكرنا ، إلا لمن أراد أن يجعله معاشاً»[١٠] .

ومن نافل القول إن ابن حزم مدرك تماماً في دعوته هذه ، ما كان من شأن النحاة في نهجهم نهج غيرهم من الفقهاء ممن حاول التحليل والتعليل والتأويل ، فصعبوا السهل ، ولم يسهلوا الصعب ، قصداً للارتزاق والتكسُّب ، يقول **الأخفش** رداً على **الجاحظ** الذي سأله متعجباً من غموض كتبه ، وتقديمه العويص ، وتأخيره المفهوم : «أنا رجل لم أضع كتبي هذه لله . وليست هي من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع الذي تدعوني إليه ، قلّت حاجاتهم إليَّ فيها ، . . . وإنما كسبت في هذا التدبير ، إذ كنت إلى التكسب ذهبت»[١١] .

غير أن ابن حزم كان ذا صلة بالحياة الأدبية في عصره ، ومعنياً بفضل الأندلس ورفعتها ، بل ظهورها على المشرق ، فلعله أراد بهذا المنحى أن يعطف تهافت أدباء عصره «القرن الخامس الهجري» على مجالس اللغويين ، الذين كان يرى فيهم مع صديقه **ابن شهيد** ، سرّ أزمة الإبداع في الشعر الأندلسي[١٢] . وهو منحى لا غبار عليه في مجال المواهب الشعرية المبدعة ؛ لأن القليل المغني من قواعد العربية يحقق الغاية ، ويحرس السليقة ، وخير ما يوضح ذلك في عصرنا الحديث **البارودي** ، الذي ـ إن صح وصف الشيخ المرصفي له ـ «لم يقرأ كتاباً من فنون العربية ، ولكنه وجد في طبعه ميلاً لقراءة الشعر وعمله ، فكان يستمع إلى بعض من له دراية بقراءة الشعر ، حتى حفظ الكثير منها ، وتصور في برهة يسيرة هيئات التراكيب ، ومواقع المرفوعات والمنصوبات والمخفوضات ، حسب ما تقتضيه المعاني»[١٣] .

دفاع عن ابن حزم

ولا أظن أحداً يحمله ابن حزم على فهم لم يرده ، وقصد لم يتجه إليه ، **فمحال أن تفسر حملة ابن حزم على النحو ، أنها دعوة لتسييب اللغة وقواعدها ، فالفرق واضح بين بين**

التسهيل، والتسبيب الذي يدعو إليه من لا يرى في قواعد اللغة ونحوها إلا عبئاً في سبيل الانطلاق الفكري، والإبداع الأدبي، بدعوى أن هذه المعاناة، إنما هي من أوزار غير العرب، الذين التمسوا عللاً فلسفية، وحججاً منطقية، أو أنها أثر من آثار تسرب العقلية اليونانية إلى الفكر العربي.

إن فرقاً بين من يرفض العلة، ويدعو للالتزام بكلام العرب منطوقاً في نصوصهم، وهذه الدعوة. إن فرقاً كذلك، بين من يرى في الأزمة اللغوية مؤشراً على ضرورة العلاج، فيرتفع بها عن مسبباتها، ومن لا يرى في ضعف المُحَصِّل إلا عيب المُحَصَّل.

لقد التفت ابن حزم إلى التدهور اللغوي الذي أصاب الأندلس، والعُجمة التي أخذت .. إليها إلى الألسن، بالاختلاط بين العرب الفاتحين وسكان الأندلس الأصليين، حتى غدا أهل «**فحص البلوط**» وهي قرية على بعد ليلة واحدة من **قرطبة**، غير لغة أهل قرطبة. ولم تعد العربية تمثل إلا الجانب الرسمي في الدولة، وأضحت لغة أدبية لا يتذوقها إلا الطبقات المثقفة[14].

ولذلك كانت دعوته في مجال تحصيل اللغة مغايرة لدعوته في مجال النحو، فأقل ما يجزئ فيها مختصر العين للزبيدي، **والغريب المصنف لأبي عبيدة**، ولا بأس بالإيغال في معرفة اللغة، بالاطلاع على كتاب **المذكر والمؤنث، والممدود والمقصور والمهموز لأبي علي القالي، وكتاب خلق الإنسان لثابت**، وعلة هذا الاختلاف بين الدعوتين؛ في اللغة والنحو، تزويد المتعلم بثروة لغوية مُعينة على التعبير، بحراسة خفيفة من النحو. لمعجم ألفاظ التعبير كلما كان ثرّاً، كلما كانت الإبانة عن المعاني أوضح وأشمل، وأدق وأكمل. وفي ذلك يقول ابن حزم: «فإن أوغل في علوم اللغة ... فحسن، بخلاف ما قلنا في علل النحو؛ لأن اللغة كلها حقيقة، وذات أوضاع صحاح، وعبارات عن المعاني، ولو كانت اللغة أوسع، حتى يكون لكل معنى في العالم اسم مختص به، لكان أبلغ للفهم، وأجلى للشك، وأقرب للبيان، إلا أن الاقتصار على المقدار الجاري مما ذكرنا»[15].

والحق أن أفكار ابن حزم هذه، كان من الممكن أن تثمر، لو أنها وجدت من يستثمرها، وينتفع بها من تلامذة أوفياء للمذهب، وقد كان من الممكن أيضاً أن تكون كلماته المقتضبة هذه أسساً يتكئ عليها من يقعد لنحو ظاهري في أمر فساد العلل[16]، لو أن ابن حزم تفرغ لها تفرغه لمذهبه الظاهري في الفقه، أو عزز نظراته بأمثلة وتفاصيل أكثر استيعاباً لكثير من التساؤلات والمطالب.

قد نجد عند ابن مضاء القرطبي (٥١٣ ـ ٥٩٢هـ) انتفاعاً بهذه النظرة، ورعاية لهذه الأفكار، خاصة أنه يجري على المذهب الظاهري في الفقه، وعُدَّ ظاهرياً في النحو، «وله آراء (يعني ابن مضاء) في العربية، وشذوذ على غير مألوف أهلها، ظاهري في النحو»[17]. فهو ينحو نحو ابن حزم في الغاية المطلوبة من النحو بأن يكون وظيفياً، لمن وعى ذلك «فقد نفعه الله بالتعلم وهداه إلى صراط مستقيم، وأما من اقتصر كل الاقتصار على المعارف التي لا تدعو إلى جنة ولا تزجر عن نار، كاللغات والأشعار ودقائق علل النحو ومسليات الأخبار، فقد أساء الاختيار، واستحب العمى على الإبصار»[18].

وابن مضاء وإن لم يرفض العلل الأُوَل فقد اتفق مع ابن حزم في رفض العلل الثواني والثوالث.

الهوامش

(١) التقريب لحد المنطق لابن حزم، تحقيق د. إحسان عباس، ط بيروت ١٩٥٩م، ص ٢٠٢.

(٢) رسائل ابن حزم (رسالة العلوم)، تحقيق د. إحسان عباس، ط مكتبة المثنى ـ بغداد ص ٦٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦٥.

(٥) المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربي، د. عفيف دمشقية، ط بيروت، معهد الإنماء العربي ١٩٧٨م، ص ١١٦.

(٦) رسائل ابن حزم، ص ٦٥.

(٧) الواضح للزبيدي، تحقيق د. عبد الكريم خليفة، منشورات الجامعة الأردنية ـ عمّان ١٩٧٦م، ص ١٥.

(٨) الواضح، ص ٧٣.

(٩) الواضح، ص ٧٨.

(١٠) رسائل ابن حزم، ص ٦٥.

(١١) الحيوان، للجاحظ، ط عيسى البابي الحلبي، جـ ١/٩١.

(١٢) تيارات النقد الأدبي في الأندلس في القرن الخامس الهجري، د. مصطفى عليان، ط مؤسسة الرسالة ١٩٨٤م، ص ١٥٥.

(١٣) الوسيلة الأدبية للشيخ حسين المرصفي نقلاً عن الشعر العربي المعاصر للدكتور شوقي ضيف، ط دار المعارف بمصر، ص ٨٧.

(١٤) عصر سيادة قرطبة، د. إحسان عباس، ط دار الثقافة ـ بيروت، ص ٩٤.

(١٥) رسائل ابن حزم، ص ٦٥.

(١٦) صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ـ مدريد (النحو في الأندلس)، سعيد الأفغاني، سنة ١٩٥٩م، مجلد ٧ ـ ٨، ص ٨.

(١٧) إشارة التعيين إلى تراجم النحاة واللغويين لأبي المحاسن عبد الباقي بن علي اليمني ورقة ٩ فضلاً عن الرد على النحاة تحقيق د. محمد البنا، ص ٩.

(١٨) الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي، ط دار الاعتصام ١٩٧٩م، ص ٦٦.



مهداة للشاعر الكبير سمو الأمير عبد الله الفيصل جواباً على قصيدته بعنوان «جراح»:

إنْ تَشْكُ من وَجدِكَ نار الجوى ... تُذكي بفقدِ صبْوةٍ لا تُعادْ

« والرَّوضةُ الغَنّاءُ قد صَوَّحَتْ ... حتى غدت أزهارها كالقَتَادْ »

كالطير في الدَّوح هضيمُ الجناحْ ... يَشدو ولكن لا ينال المرادْ

لا تسألوه عن أحاسيسه ... عن عَبْرةٍ مكنونةٍ في الفؤادْ

لا تسألوه عن ربوع الصِّبا ... فذكرُها يُومضُ منه الزِّنادْ

آهاتُه من بين أضلاعه ... تزفرُ زفرَ الصافناتِ الجيادْ

حريّةٌ من صدقِها حالُهُ ... تُنبئنا عمّا به أو تكادْ

ذو العقل يشقى في نَعيم الحياة ... بعقلهِ فهَمُّهُ في ازديادْ

والجهلُ يُنسي الجاهلينَ العنا ... في ليلِهمْ لا يعرفون السُّهادْ

فإنّما أقلي الزمانَ الذي ... فيهِ تكونُ النارُ تحت الرَّمادْ

وأمَلي الرّاني لعهد الصِّبا ... خاقتْ به تلك السُّنونُ الشِّدادْ

كمْ رُحتُ أغدُو طالباً بُغيتي ... ولا أُدانيها لطولِ البِعادْ

يا صاح هلْ أشكو سوى بَسمةٍ ... أرقُبُها في العينِ خلْفَ السَّوادْ

وإذ أراها خِلسةً تَختَفي ... عني ومنها يُستطابُ العِنادْ

كم هاربٍ ممَّنْ يُريدُ الوصالْ ... ولاحقٍ لكنَّهُ لا يُرادْ

كأنَّما الدُّنيا سِجالٌ على ... ألافِها بين العنا والرَّشادْ

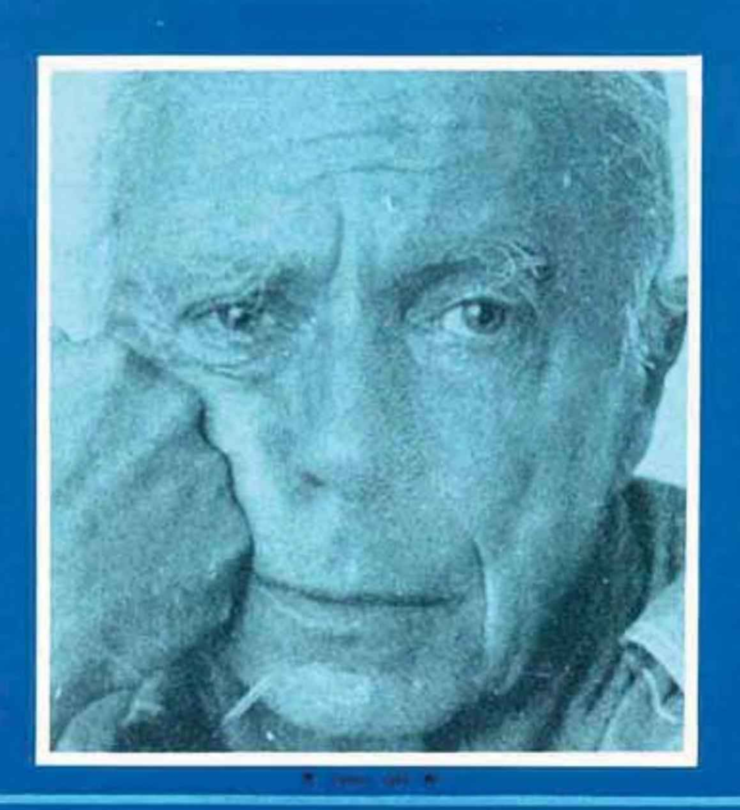
من لي بمغنىً فيهِ نَبْعُ الجمالْ ... والطيرُ فيهِ آمنٌ أنْ يُصادْ

يعيش فيه الصَّبُّ مُستمتعاً ... بنظرةٍ أو بسمةٍ أو رُقادْ

تلك لعمري من أماني الفتى ... إبّان ينأى عن نفاقِ العبادْ

وينتحي عن كيدهم جانباً ... بين الرياض الخضر فوق النِّجادْ

مصيخةٌ للطيِّر آذانُهُ ... يرنُّ بالألحان في كل وادْ



كلود سيمون .. يفوز بجائزة نوبل للأدب

بقلم : رضا الطيب الكشو

حصل الكاتب الفرنسي «كلود سيمون» على جائزة نوبل للأدب لسنة ١٩٨٥م ، ومنذ فترة طويلة لم يحصل أي كاتب فرنسي(*) على هذه الجائزة ، وقد أرجع البعض هذا إلى معاقبة الأكاديمية السويدية للكتّاب الفرنسيين ، نتيجة رفض « جون بول سارتر » ، تسلُّم هذه الجائزة سنة ١٩٦٤م . ونفت الأكاديمية السويدية رفعها العقاب عن الكتّاب الفرنسيين ، وأصرّ أعضاؤها على أن اختيارهم «لكلود سيمون» يخضع أولا وقبل كل شيء لمقاييس أدبية ، ولتبرير اختيارها ، شدّدت الأكاديمية على أنّ فن «كلود سيمون» يرتكز على وصف شيء يعيش فينا ، أحببنا ذلك أم كرهنا ، وفهمناه أم لم نفهمه .

وبهذه المناسبة ، وجّه « **فرانسوا ميتران** » برقية شكر من البرازيل لكلود سيمون ، جاء فيها : « إن جائزة نوبل التي أُسندت إليكم ، هي بعيدة عن الموضة والمجاملات ، وهي إحدى الإبداعات الروائية الفريدة في هذا الوقت ، وهي إحدى الكتابات المتشدّدة للغاية ، والأكثر ابتكاراً .. واليوم ، قد نال الأدب الفرنسي الشرف عن طريقك وبفضلك » .

كما وجّه وزير الثقافة « جاك لانق » برقية إلى « كلود سيمون » جاء فيها : « إن حصولك على جائزة نوبل ، يؤكّد المكانة المتميزة التي تحتلها في الأدب الفرنسي ، كما يخص آثارك القيّمة ، التي تجمع بين دقة الشكل ، والموسوعية ، والخيال المبدع ، والتجربة الشخصية » .

و « كلود سيمون » ، أديب نزيه للغاية ومحتشم ، لا يألف الشاشة الصغيرة ، وكثيراً ما يُفضّل العزلة ليواجه التأليف ، لأن عملية

الكتابة عسيرة ، ولا تتلاءم كثيراً مع الاجتماعيات ، ومع نزعة التفاخر .

حياته

ولد «كلود سيمون» في ١٠ أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩١٣م ، في «تتناريف» ، حيث كان والده ضابطاً في الجيوش الاستعمارية . تربّى في «برينيان» ، وما زال يحتفظ بمنزل أبويه في «سالس» بالبيرينيي الشرقية في فرنسا .

درس «كلود سيمون» في ثانوية «ستانلس» في باريس ، وولع بالرسم فمارسه فترة طويلة ، وفي سنة ١٩٣٦م ، سافر إلى إسبانيا تعاطفاً مع الجمهوريين الإسبان ، وفي سنة ١٩٤٠م ، سجن ونجح في الفرار من السجن ، وفي العودة إلى مدينة «برينيان» .

آثاره الروائية

تمتاز آثار «كلود سيمون» بالكثرة ، وقد ترجمت في ثمانية عشر بلداً ، وخاصة في السويد ، تحت إشراف «بجرستروم» ، وهي على التوالي :

●● في عام ١٩٤٦م ، «الغشاش» (نشر في ساجيار ، ثم أعيد نشره في منشورات منتصف الليل ، وقد ألّف الكتاب سنة ١٩٤١م) .

●● في عام ١٩٤٧م ، «الحبل المشدود» ، منشورات «الساجيتار» .

●● في عام ١٩٥٢م ، «قلفر Gulliver» ، منشورات ليفي كلمان .

●● في عام ١٩٥٤م ، «قداسة الربيع» ، منشورات ليفي كلمان .

●● في عام ١٩٥٧م ، «الريح» ، منشورات منتصف الليل .

●● في عام ١٩٥٨م ، «العشب» ، منشورات منتصف الليل ، وقد أعدّ للمسرح سنة ١٩٦٣م ، تحت عنوان «الفراق» .

●● في عام ١٩٦٠م ، «طريق الفلاندر» ، منشورات منتصف الليل ، وقد حصل على جائزة مجلة «إكسبرس» .

●● في عام ١٩٦٢م ، «القصر» ، منشورات منتصف الليل .

●● في عام ١٩٦٧م ، «تاريخ» ، منشورات منتصف الليل ، وقد حصلت هذه الرواية على جائزة «مديسيس» .

●● في عام ١٩٦٩م ، «فارسال» ، منشورات منتصف الليل .

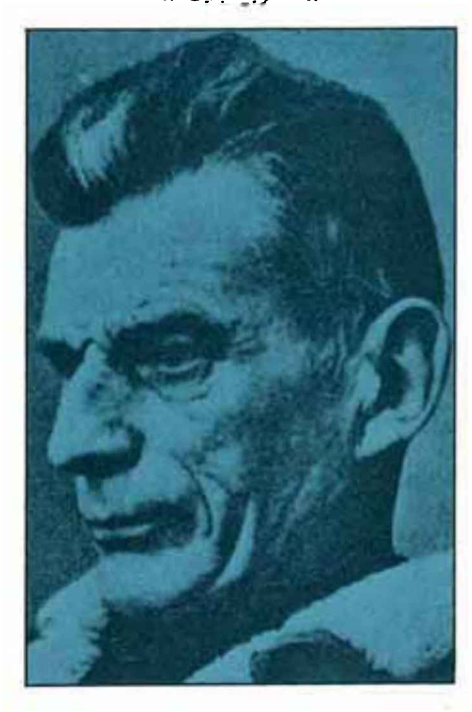
●● في عام ١٩٧٠م ، «أريون الأعمى» ، (منشورات سكيرة) .

●● في عام ١٩٧١م ، «الأجسام الموصلة» ، منشورات منتصف الليل .

●● في عام ١٩٧٣م ، «ثلاثية» ، منشورات منتصف الليل .

كلود سيمون

★ صموئيل بيكيت ★



●● في عام ١٩٧٦م ، «درس الأشياء» ، منشورات منتصف الليل .

●● في عام ١٩٨١م ، «الأعمال الزراعية» ، منشورات منتصف الليل .

●● في عام ١٩٨٣م ، «شعر برنيس» ، منشورات منتصف الليل .

خصائص الفن الروائي

لم يصدر «كلود سيمون» تأليفاً نظرياً عن الرواية الجديدة ، شأن جلّ الروائيين الجدد ، وقد فضّل أن تحلّل رواياته من الداخل .

وسنحاول أن نلقي بعض الأضواء على فنه ، وعلى بعض ظروف تأليف هذه الروايات ، وكيف فرضت نفسها؟ .

ألّف «كلود سيمون» روايته التاسعة ، مستوحياً ما شاهده من نافذة مسكنه في باريس ، وهو مسكن بلا مصعد ، ويقع في الدور السادس ، ويطل على ساحة صغيرة ، وعلى ثكنة للحرس الجمهوري . وانطلاقاً من هذا الواقع ، تفتّحت ملكات «كلود سيمون» ، فكتب رواية «معركة فارسال» .

وتفتّحت قرائح «سيمون» في منطقة «سالس» ، حيث يقضي جزء من السنة ، وهي منطقة بين «برينيان» ، و «لي كوربيار» ، ويملك بيتاً في هذه البلدة ، وقد صيّرت زوجته اليونانية هذا البيت جذاباً .

ولا تسألوا عن أحسن أثر لكلود سيمون ، إنه «الطريق إلى الفلاندر» ، وقد نشره سنة ١٩٦٠م ، في أوج حمى الرواية الجديدة ، وقد ألّف «كلود سيمون» هذا الكتاب وهو في سن السابعة والأربعين ، وهو بمثابة البيان الروائي .

يرتكز هذا الكتاب المؤثر والمثير للعواطف ، على هزيمة عام ١٩٤٠م ، وقد تردّدت فيه أفكار «كلود سيمون» المستمدة من ذكرياته الخاصة ، وأهمها إقامته بمدينة «برشلونه» أثناء الحرب الإسبانية ، وكذلك هزيمة الجيش الفرنسي على

الحدود البلجيكية ، إضافة إلى طفولته بمدينة «بربنيان» ، غير أن هذه المعطيات الذاتية ، تمتزج وتنصهر في نثر وصفي ذي ألوان وأصوات من العالم البدائي .

ورواية «الطريق إلى الفلاندر» ، تصوّر مجموعة من الفرسان في هزيمة مايو (أيار) عام ١٩٤٠ م ، ويتردّد طوال الرواية ، مشهد موت الضابط الحقيقي والمزيف ، وهذا التداخل بين الشخصيات وفي زمن الرواية ، يحيّر القارئ . . إلى جانب استعمل بعض الخصائص السينمائية ، مثل العود إلى الوراء ، وتغيُّرات المقاطع المفاجئة . وتطفو الذكريات في حرية مطلقة دون حرص على التطور الزمني ، أو السرد المبوَّب ، وتتابع في الرواية وجهات النظر ، وقد تتقابل أحياناً دون أن تفرض على القارئ وجهة معيَّنة غير أنها تتطلَّب منه انتباهاً شديداً لتتبُّع خيوط الرواية وصوغ رؤية ذاتية .

لا يروي «كلود سيمون» قصصاً شأنه شأن «**فولكنر**» ، **إنما ينفذ إلى الظواهر النفسية ويغمرنا بحركات الضمير** . وآثار «كلود سيمون» ، عبارة عن مشاهد طبيعية متحركة وهي أشبح سرية .

وقد استفاد «كلود سيمون» من بعض إمكانات السينما ، وذلك بتسريع العرض والمونتاج (عرض الصور وترتيبها) . . القصير والتشعيب ، وإيراد مجموعة من الصور المكسَّرة والمركَّبة بدينامية مذهلة .

أراد «كلود سيمون» أن يصبح رساماً كبيراً أو مصوراً كبيراً ، وقد أثَّرت هذه الخاصية على أدبه ، حتى إنه يصبح عيناً حقيقية تتبع الأشياء الصغيرة غير المحدودة ، مثل أضلاع أوراق الشجر ، أو مناظر طبيعية بأكملها .

وقد يستحضر «كلود سيمون» قطعاً من الماضي ، ويبعث بها جواً دراميا ثابتاً ، ومن هنا يبدأ سوء التفاهم بينه وبين القرّاء ، لأن هذه الظاهرة تقرّبه من اتجاه الرواية الجديدة ، التي يحمل لواءها «**آلان روب غرييه**» «Alain Robbe Grillet» ، و«**سارتر**» ، و«**بوتور**» ، و«**بيكيت**» . وقد لقي «كلود سيمون» رواجاً في الجامعات الأمريكية أكثر مما لقيه في المكتبات الفرنسية ، وهذا ما جعل العديد من النقّاد يحتارون ويتساءلون : هل كرَّمت لجنة «ستوكهولم» الأدب الفرنسي ، أم إنها عبَّرت عن إعجابها بأثر منعزل يبلغ حدّ الوحشية .

ومهما قيل عن «كلود سيمون» ، فهو كاتب يملك بعداً متميزاً ، وروعة طبيعية ، عندما يؤلِّف وعندما يتحدث عن مؤلِّفيه المفضَّلين وهما : «**شاتوبريان**» ، و«**بروست**» .

وقد ظل «كلود سيمون» روائياً رغم اتباعه الرواية الجديدة ، وما تدعو إليه من أبحاث لغوية . ويعترف الروائيون الجدد أنفسهم بتميُّز «كلود سيمون» عنهم ، وبراعته في استخدام الحركة . فكتاب «**معركة فارسال**» يظهر لنا «كلود سيمون» أسير شخصياته ، التي تتحوَّل بدورها إلى إنتاج قصة خيالية .

و«كلود سيمون» كاتب متشائم للغاية ، لما لاحظه من تفكُّك الأشخاص والأشياء . ورغم هذا التشاؤم ، فقد اتسمت آثاره بنزعة إنسانية . . فآثاره جذابة ، لأنها لا تأسر القارئ في صنف معيَّن . فقد تعرض كل وجهات النظر ، وهذا ما يتصف به كبار الكتَّاب .

وقد تنزعج أحياناً من ثقل لغة «كلود سيمون» ، وقد نعجب أحياناً بمرونة الجمل في كتاباته ، وقد تتزاحم الأحداث ، ويتشعّب البحث عن الزمن ، مع تردُّد مفهوم الموت والعثور على الجذور .

سعى «كلود سيمون» بلا هوادة ، إلى فهم غموض الواقع وتخيُّله ، وقد فكَّك هذا الواقع وصهره ، وجمع بين أثر وأثر آخر ، ومزج قسماً من مؤلف بقسم من مؤلف آخر .

وفي نظر النقّاد ، لم يقع «كلود سيمون» في بعض عيوب الرواية الفرنسية ، وهي «التجزيء» ، و«النُّصْبة» .

ويتحكم «كلود سيمون» في مفهوم الزمن ، فيتجوَّل بالراوي عبْر العصور والأمكنة كأن الزمن والمكان لا يوجدان إلا في وعي البطل والمؤلِّف وحبهما .

الرواية الجديدة

ينضوي «كلود سيمون» تحت لواء الرواية الجديدة ، وقد رفض هو و«**آلان روب**





★ آلان روب غرييه ★



★ ناتالي ساروت ★

غريبه »، و « ميشال بوتور »، و « نتالي سروت »، مفاهيم تجاوزها الزمن، مثل: الشخصية والتاريخ والالتزام والتمييز بين الشكل والمضمون. لم تعد الرواية الجديدة عرضاً وعلاقة خطية، إنما أصبحت بحثاً وتميزت بتداخل الزمن، وبتجميع مشاهد تقع في نفس اللحظة، وبعرض ترجمات مختلفة لنفس المشهد وبحضور ملحّ للأشياء، وحركة مضاعفة للابتكار والمحو.

مثل هذه الخصائص تُحيِّر القارئ، وتتطلب منه مشاركة نشيطة، وليس على القارئ حسب « روب غريبه »، أن يتقبَّل عالماً مكتملاً ومغلقاً على نفسه.

غيَّر الروائيون الجدد دور القارئ، وطلبوا منه أن يشارك مشاركة فعّالة، وأن يبتكر بدوره الأثر ليتعلَّم كيف يبتكر حياته الخاصة

مهنة الروائي

في سنة ١٩٧١م، وجّه « كلود سيمون » رسالة لجريدة « لوموند » عن **مهنة الروائي** عقب ظهور كتابه « الأجسام الموصلة » قال فيها:

سألتموني لماذا تخلَّيت عن النادرة وعن القصة؟، وأنا أسألكم أولا كيف تعرِّفون القصة والنادرة؟

إن بطل « الأجسام المعزولة » يعبر شارعاً، ويقوم بسفر طويل، ويزور متحفاً، ويحضر ندوة كتّاب.

يبدو لي، أننا لو شئنا الحصول على عناصر القصة النادرة لوجدناها، وأعتقد أن ما يجري اليوم بين الجمهور في شأن الرواية، سببه سوء فهم شبيه بما وقع للرسم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، فقد اعتبر الرسم الجيد إلى زمن غير بعيد، ما تعلَّق موضوعه بالمواضيع التاريخية، أو الحكائية مثل « **محاكمة باريس** »، و « **أعراس كندا** »، و « **موت سردنبال** »، وكذلك اللوحات الحميمية (وهي من عمل الرسامين المختصين برسم لوحات تمثِّل

كلود سيمون

الحياة البيتية)، مثل لوحة « **كروز** » في وصف الزواج، وقد أطال « **ديدرو** » في وصفها.

وانتهى الأمر تدريجياً إلى إدراك أن ضرورة اختيار موضوعات كبرى، لا تمثِّل في حقيقتها إلا غرضاً، أو قل تعلة، ولا يمثِّل الرسامون « **أوسِّالو** »، و « **فيرونيس** »، و « **دي لاكروا** » معركة « **دي سان رومنو** »، و « **أعراس كندا** »، أو الدخول الصليبيّ إلى القسطنطينية، إنما هم يعبِّرون بدقة عن هذه الحقائق عن طريق الرسم، وبإيجاد علاقات بين الخطوط والألوان، وهذه العلاقات تكون المواضيع الحقيقية لرسوماتهم.

وفي النهاية، قبلنا اليوم أن الرسم يعني هذه العلاقات وليس ذريعة للنادرة، فقد تجرَّد الرسم من كل طابع حكائي، وهو بمعناه الأصيل مجموعة علاقات في أسمى إتقان بين تجاوب اللون الأخضر والرمادي والأزرق

★ ميشال بوتور ★



والأبيض، وبين المستقيمات والمنحنيات. وكما يقول « **ماتيس** »: « إن أردت أن تصبح رساماً فابدأ بقطع لسانك ».

لهذا السبب، نلاحظ أن الأدب تأخر نوعاً ما في أيامنا عن الرسم بحوالي مائة سنة، وقد تحرَّرت الرواية بفضل عمالقة أمثال: « **بروست** »، و « **جويس** » من الظاهرة الحكائية، **والرواية حسب صيغة « جون ركردو » لم تعد سرد مغامرة، إنما هي مغامرة سرد.**

المراجع

(١) « جريدة لوموند الفرنسية »، بتاريخ ١٩/١٠/١٩٨٥م، ص ١٣.

(٢) مجلة « لي بوان Le Point »، بتاريخ ٢٨/١٠/١٩٨٥م.

(٣) Lagarde et Michard — II Siecle p 600 - Bordas، الأدب الفرنسي في القرن العشرين الميلادي، ص ٦٠٠، ط. بوردس

الهوامش

★ أسندت جائزة نوبل للأدب إحدى عشرة مرة لكتّاب فرنسيين هم على التوالي:

(١) في سنة ١٩٠١م، سنة إنشاء هذه الجائزة، منحت لـ « سلّي برودوم » Sully Prudhomme.

(٢) في سنة ١٩٠٤م، منحت لـ « فريدريك مسترال » Frederic Mistral.

(٣) في سنة ١٩١٥م، منحت لـ « الرومان رولان » Romain Rolland.

(٤) في سنة ١٩٢١م، منحت لـ « أناتول فرانس » Anatole France.

(٥) في سنة ١٩٢٧م، منحت لـ « هانري برغسون » Henri Bergson.

(٦) في سنة ١٩٣٧م، منحت لـ « روجي مارتان دي جار » Roger Martin du Gard.

(٧) في سنة ١٩٤٧م، منحت لـ « اندري جيد » André Gide.

(٨) في سنة ١٩٥٢م، منحت لـ « فرانسوا مورياك » François Mauriac.

(٩) في سنة ١٩٥٧م، منحت لـ « البير كامو » Albert camus.

(١٠) في سنة ١٩٦٠م، منحت لـ « سانت جون بارس » Saint - John Perse.

(١١) في سنة ١٩٨٥م، منحت لـ « كلود سيمون » Claude simon.

ونذكِّر أن « جون بول سارتر » منح هذه الجائزة عام ١٩٦٤م، لكنه رفضه.

هاينريش بُلْ

الأدب الألماني الحديث.. ولعبة الصراع بين الأجيال

بقلم: محمود قاسم

في السادس عشر من يوليو (تموز) ١٩٨٥ م، الماضي، فقد عالم الأدب المعاصر أحد أبرز أعلامه، وواحداً من أهم الأدباء المعاصرين. إنه الكاتب الألماني المعروف هاينريش بُلْ الذي كتب عنه رئيس الجمهورية الألمانية في سجل العزاء: «فقد الأدب الألماني في هاينريش بُلْ أحد الأدباء الكبار. غريب في طبيعته وروحه الجنائزية. متعلقاً بحياته من خلال حياة البشرية. لقد أصبح يمثل الروح الألمانية. لم يكن بُلْ كاتباً ألمانياً، وإنما هو كاتب عالمي».

★ هاينريش بل ★



سيرته وأعماله

ولد هاينريش بُلْ في مدينة **كولونيا** عام ١٩١٧ م، كان ابناً لأب يعمل في صناعة التماثيل. بعد أن انتهى من دراسته الثانوية حصل على البكالوريا، وعمل بائعاً في إحدى المكتبات. شهد الأحداث الكبيرة التي حدثت في ألمانيا في تلك السنوات: مولد النازية والرايخ الثالث. تم تجنيده في الخدمة العسكرية عام ١٩٣٨ م. وفي أثناء الحرب وجد نفسه يحارب على الجبهة الفرنسية ثم على الجبهة الروسية. وسقط أسيراً بين القوات الأميريكية. جرح أربع مرات. ثم أطلق سراحه بعد أن وضعت الحرب أوزارها. وما إن أطلق سراحه حتى عاد إلى كولونيا التي أصاب الخراب أكثر من ٧٠٪ منها، فالتحق بكلية الآداب، وكتب روايته الأولى «**رحل القطار توا**». واشترك في تأسيس جماعة أدبية تحمل اسم عام ٤٧، التي ساعدت على نهضة الأدب الألماني الحديث

وكان من أبنائها: **زيجفريد لينتش، أرنست يونجر، هانز فريز ريختر، ثم جونتر جراس. ثم تتابعت أعماله التي من أهمها: «أيها السائح.. هل ستعود إلى سبأ؟»، و «أين كنت يا آدم؟»، و «خبز السنوات الشابة»، و «بيت بلا حارس» عام ١٩٥٣ م، و «آراء مهرج» عام ١٩٦٢ م، و «صورة للمجموعة مع سيدة» عام ١٩٧٢ م، و «شرف كاترينا بلوم الضائع» عام ١٩٧٢ م، و «حماية تامة»، عام ١٩٨٠ م. وفي نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٨٥ م، تصدر مجموعة قصصية له تحت عنوان «مصير فنجان بلا مقبض».**

وفي عام ١٩٧٢ م، فاز هاينريش بُلْ

بجائزة نوبل في الأدب ، وكان أول كاتب ألماني يحصل عليها منذ أمد طويل ، حيث إن آخر كاتب حصل عليها هو توماس منّ عام ١٩٢٩ م .

وعلاقة الكاتب بالحرب علاقة وثيقة . فلم تجن منها ألمانيا سوى الكوارث ؛ سواء أثناء الحرب أو بعدها . وقد عبَّر عن قسوة الحرب في العديد من أقاصيصه مثل « الهجوم » .

نموذج من أعماله

أما عن أثر الحرب في العلاقات الاجتماعية ، فقد قدمها في العديد من الروايات مثلما حدث في « بيت بلا حارس » . . . وهو في هذه الرواية يختار ثلاثة أجيال . . الأول الحياة التي عاصرت الحربين العالميتين ، ثم الزوجة التي عانت من ويلات الحرب ، وأخيراً الأبناء الذين لم يشهدوا الحرب ، ولكنهم سيدفعون ثمنها من خلال تمزق الأسرة .

الحياة امرأة تمثل كل أفكار ألمانيا منذ الحرب العظمى . امرأة متدينة جادة . . قوية مهما كانت الأحداث جسيمة . تعلّم حفيدها أن ألمانيا أمة شامخة مهما تعرض صرحها للتدمير . وهي تعيش في منزل فخم تأوي فيه أرملة ابنها وحفيدها . وتتكلم دائماً بمنطق إن « دفتر الشيكات يُصلح دائماً كل شيء » .

أما الجيل الثاني ، فتمثله نيللا التي تعيش داخل هذا المبنى القوي الذي يرمز إلى ألمانيا . ترتاد دائماً محافل الأدباء والفنانين ، محاولة أن تعيد ذكرى زوجها الشاعر الذي مات في الحرب حين كُلف بمهمة عسكرية كَلَّفه بها الضابط جاسلر كي يتخلص منه . هناك مواجهة بينها وبين كل الأجيال الثلاثة التي تمثلها ألمانيا . فحماتها تتهمها أنها تمارس الدعارة في الخارج . أما ألبرت شقيق زوجها فيطلب منها الزواج به ، وأن تطرد شبح زوجها ، وأن تفكر في حاضرها : « أنت تتعلقين بحلم واه » . . لا تود أن تتزوج ، ولا أن ترتبط برجل آخر بعد زوجها . تردد : « أنتم أيها الرجال تودون أن تنشروا الدمار في المستقبل » .



★ جونتر جراس ★

وهناك مواجهة أخرى تقوم بينها وبين جاسلر الضابط القديم الذي يعمل الآن ناقداً أدبياً في إحدى الصحف الكبرى ، ويلقي بعض المحاضرات حول الشعراء المحدثين ومن بينهم رايموند باخ زوج نيللا . إنه يحاول السيطرة على الأرملة بعد أن عمل على أن يموت زوجها .

والجيل الثالث يمثله طفلان . الأول هو الصغير مارتن باخ ابن نيللا . الجميع يحترمونه لأنه سليل الأثرياء . إنه يحيا حياة جادة . تعلّمه جدته كيف يمكنه أن يرتبط بتعاليم دينه . وهو يجد نفسه وسط عالم متضارب . فبينما يقرأ في كتاب التعاليم ، يسمع همسات أمه في غرفة مجاورة ، مع رجل غريب . يتوق إلى ذكرى أبيه .

أما الطفل الآخر فهو هاينريش بريلاخ . يعيش في جو متشابه . فهناك رجل قاس يشارك أمه حياتها ويعاملها بقسوة بالغة . رجل شره أناني لا يهم سوى بنفسه . هاينريش ابن امرأة فقيرة في مجتمع لا يحترم الفقراء . فالمدرّس يزدريه ولا يتورع عن تأنيبه إذا تأخر ، في حين يعامل مارتن الذي يتأخر بأدب جم . يصرخ هاينريش في أمه : « لن أحتمل ثانية أن تقضي ليلة واحدة مع هذا الرجل » . وبالفعل فإن الأم تقوم بنقل أثاث شقتها المتواضع وتذهب مع ابنها إلى مسكن آخر .

معالجة سياسية

وهذه الأجيال الثلاثة التي تتواجه بشدة فيما بينها تمثل ألمانيا . ويكاد يكون هذا الموضوع هو الشاغل الأكبر لهاينريش بُلْ . فهو ــ في رواياته المختلفة ــ يختار أسرة ألمانية تعيش في دائرة محدودة . . وأفراد هذه الأسرة عاشوا سنوات الحرب على اختلاف درجاتها .

ففي روايته « حماية تامة » يتحدث عن عائلة تولم وعميدها الصحفي المشهور فريتز أحد الذين اشتركوا في إشعال آتون الحرب ولم يحترقوا فيها . وقع في أسر الأمريكيين . وقد سعى هؤلاء الأمريكيون إلى استقطابه إلى جانبهم . ساعدوه أن يصدر صحيفة تكون لسان حالهم . ويساعدونه في تحقيق هدفه بأن يتحول إلى أحد أساطين الصحافة في ألمانيا . . مقابل أن يكتب مقالاته تمجيداً في السياسة الأمريكية والدفاع عن السيطرة الأمريكية على كل ألوان الحياة في بلاده . ويصبح تولم بالفعل لعبة أمريكية كبيرة . . فهم يدفعونه وراء كل نجاح ومنصب كبير . . يتولى منصب نقيب الصحافة . . ويحيط به الأعوان والتابعون ويتناثرون في أنحاء ألمانيا للقيام بتحقيقات صحفية حول ملامح الحياة الاجتماعية الجديدة ، كي يمكن للولايات المتحدة السيطرة التامة على ألمانيا الغربية .

قضايا بلاده

وكما اختار هاينريش بُلْ ثلاث مستويات في روايته السابقة من الأعمار ، فإنه يقدم الجيل التالي لفريتز تولم متمثلاً في ابنه رولف . ثم يأتي من بعد ذلك جيل الأحفاد ، متمثلاً في ولدَيْ رولف من امرأتين مختلفتين . . فإذا كان منطق الجد فريتز هو أن أصحاب رؤوس الأموال يأكلون الكافيار من الاتحاد السوفييتي ، ويدخنون السيجار المستورد من كوبا ، بينما يقضي الاشتراكيون لياليهم يحلمون بممارسة لعبة الاحتكار . . فإن الابن رولف يقرر الابتعاد عن هذا العالم البذخ ويعيش حياة بسيطة . فأبوه لم يكسب هذه الأموال إلا بثمن بلاده الحقيقي ، ومن الأجدى الابتعاد عن السياسة وعن الأمريكيين بالذات . . لذا فهو يعيش مع امرأتين . الأولى كاترينا التي رزق منها بطفل

اسمه **هولدجر** . . أما الثانية فتدعى **فرونيكا** .

ويرى رولف أن أشنع سقطة هي التي سقطها أبوه . . فبعد أن امتص الأمريكيون من دمائه كلاماً من أجل تمجيدهم ، يعيش الأب وحيداً في منزله ينتظر نهايته . . لقد سقط قلمه ولم يعد قادراً على الكتابة . . لقد مات كحطام رجل في حديقته الواسعة بعد أن كان لا يتحرك إلا في حراسة مشددة . . ويعامل كزعيم في كل مكان يذهب إليه .

ومن المعروف أن هاينريش بُلْ قد كرَّس قلمه لانتقاد أوجه الحياة في ألمانيا المعاصرة بعد **الحرب العالمية الثانية** . وإذا كان الكاتب قد ألقى عبء معاناة ألمانيا المعاصرة على الصحافة ، فإن هذه الصحافة تظل مدانة حتى في روايته الشهيرة « **شرف كاترينا بلوم الضائع** » . . وكاترينا تمثل الوجه المضاد لتولم . فهي امرأة ألمانية تحب صحفياً تشتبه الشرطة في اتجاهه الفكري . وبعد أن يتم القبض عليه ولا يصلون إلى شيء كانوا يسعون إليه ، فإنهم يسعون إلى كاترينا بلوم . وفي مكاتب الشرطة تتعرض المرأة لكافة ألوان المهانة والإذلال بلا ذنب اقترفته .

ويؤكد بُلْ في هذه الرواية أن **النازية** موجودة في الروح الألمانية . . سواء وجد **هتلر** أم لا . . فليس ضابط الشرطة الذي يقوم بالقبض على كاترينا سوى نازي في سلوكه وتصرفاته . . حتى بعد أن انتهت النازية — رسمياً — بثلاثين عاماً ، فهو يتلذذ بعذاب المرأة . . ويسعى إلى إذلالها لإشباع رغبة كامنة فيه . . وهذا الضابط نموذج لرجال عديدين يظهرون في ألمانيا المعاصرة . . مثل شخصية الصحفي في رواية « بيت بلا حارس » . . أما رجال الصحافة فهم صورة من جاسلر وفريتز . . يميلون إلى لغة العنف بكل ما يمتلكون من قوة كلما تمكنوا من ذلك .

وهناك امرأة أخرى أقرب إلى كاترينا بلوم في رواية « **صورة للمجموعة مع سيدة** » لهاينريش بُلْ . وهذه المرأة خرساء لا تتكلم . . لكنها عين ترى جيداً ما يدور حولها . . وقد



★ أرنست يونجر ★ ★ فولكر شولندورف ★

أحبت **ليفي** أثناء سنوات الحرب ، جندياً من الأعداء . . وبعد أن انتهت الحرب تفقد قدرتها على النطق . . وتكمن كل الذكريات القديمة داخل رأسها لا تتدفق . ترضى بعمل بسيط في أحد حوانيت الزهور **ببون** . . إنها أشبه بتلك الزهور التي نمت يوماً وسط ثلوج الجبال المليئة بالصقيع . . لكنها لا تمنع نفسها من أن تفوح روائحها . يمكنها أن تخرج من وسط هذه الثلوج شامخة . . وهي تؤمن أن بوسع الألمان أن يحققوا الكثير من أجل نهضة بلادهم .

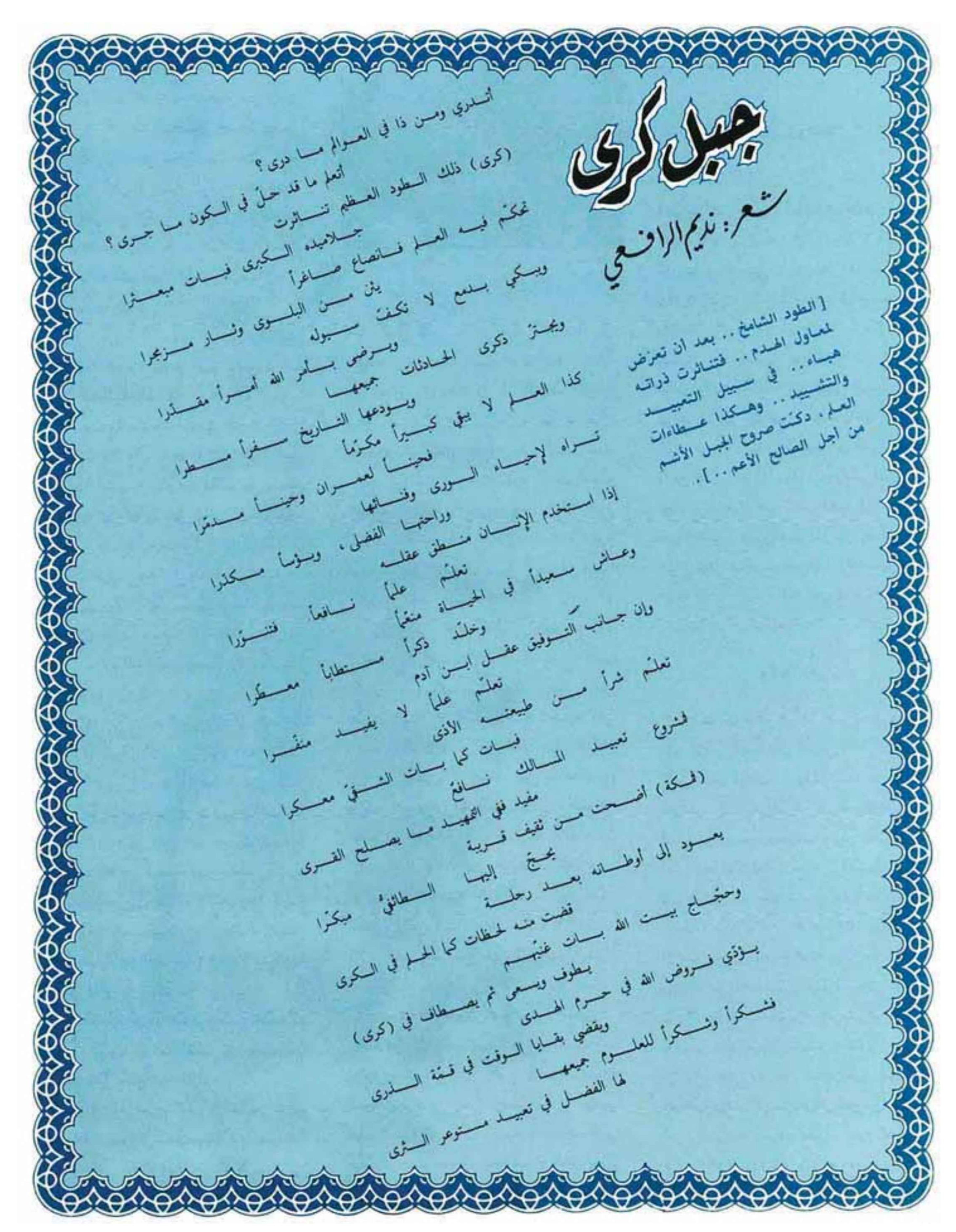
ومن خلال المجتمع الألماني الجديد وحول التناقض بين أجيال الآباء — الذين جلبوا الكوارث على ألمانيا — وأجيال الأبناء الذين يحاولون التنصل من هذه الأمجاد المضادة التي حققها هؤلاء الآباء . . من خلال هذه المناظير التي آثر الكاتب أن يحملها على عاتقه قدم روايته المعروفة « **التكشيرة** » أو « **حركة عضلات الوجه** » حول مواجهة حادة بين الابن الممثل وأمه التي تحاول أن تقف مع الاتجاهات الألمانية الجديدة . . ليس عن اقتناع ، ولكن لأنها موجة سائدة لا أكثر . . فالابن الذي يعمل بهلواناً في الليل ليس بهلواناً قط ، ولكنه متمرد . . يرفض سلوك أمه . . ولذا يهجرها كي يعيش مع امرأة أخرى . . ولكنه قبل أن يطلب منها الزواج يكتشف أنها قطعة جديدة من أمه . . فهي إنسانة وصولية تسعى للزواج من إنسان وصولي آخر . . ومثل هذه التجربة كافية أن تصيبه باكتئاب نفسي شديد ، حيث يقرر أن يهجر المسرح الذي يعمل فيه ويقرر أن يتسول فوق محطة القطار . . وقد خلع عن كل وعيه وإدراكه أن هناك متناقضات بين أسباب الحياة .

أبطال رواياته

ولا يميل هاينريش بُلْ إلى معاقبة أبطاله العقاب التراجيدي المألوف في الأدب حول عقاب الأشرار وخاصة في رواياته الأخيرة . . فكاترينا بلوم وليني . . والبطل في التكشيرة يدفعون الثمن — وهم الأخيار — في مجتمع مليء بالتناقض . فبينما نرى أن ضابط الشرطة سعيد بساديته ، فإذا بكاترينا بلوم تخرج من التجربة محطمة وأشلاء آدمية . أما الممثل الذي اختار أن يتسول فهو يترك ماري سعيدة باختيارها بعد أن ترك أمه سعيدة بوصوليتها كي يحبس نفسه داخل إطار التسول . . كما أن جاسلر الذي قتل زميله يوماً يصبح من كبار النقّاد في زمن ما بعد الحرب . ويميل هاينريش إلى إجادة نقل الواقع دون تضخيم في رواياته . وقد يبدو هذا الواقع مفزعاً . لكن طالما أنه واقع موجود فلا يمكن لأحد أن ينكره .

وجه آخر

ورغم أن هاينريش بُلْ قد أصيب قبل وفاته بمرض أقعده عن العمل ، إلا أنه ظل يعمل بدون توقف . . وقد تعددت أنشطة الكاتب . فمن المعروف أنه ارتبط بالعديد من السينمائيين في ألمانيا وخارجها . ومن المعروف أنه أكثر أدباء ألمانيا تعاملاً مع فن السينما . . ليس لأن المخرجين قد سعوا لتصوير أفلام مأخوذة عن رواياته ، بل لأنه قام بإخراج أفلام سينمائية . . . فلم يسع بُلْ إلى إخراج أفلام روائية مأخوذة عن رواياته ، بل قام بتصوير فيلم تسجيلي طويل — ١٢٠ دقيقة — حول « الحرب والسلام » ، أدان فيه الحروب وأزمنتها ، واشترك معه في الإخراج بعض المخرجين الكبار مثل ألكسندر كلوجه وستيفان أوست وفولكر شولندورف الذي أخرج له روايته « شرف كاترينا بلوم الضائع » عام ١٩٧٥ م ، وعمل أيضاً مع هاينريش بُلْ في إخراج فيلم آخر بعنوان « ألمانيا في الخريف » .



جبل كرى

شعر: نديم الرافعي

[الطود الشامخ .. بعد أن تعرّض لمعاول الهدم .. فتناثرت ذراته هباء .. في سبيل التعبيد والتشييد .. وهكذا عطاءات العلم، دكّت صروح الجبل الأشم من أجل الصالح الأعم ..].

أتدري ومن ذا في العوالم ما درى ؟ — أتعلم ما قد حلّ في الكون ما جرى ؟

(كرى) ذلك الطود العظيم تناثرت — جلاميده الكبرى فبات مبعثرا

تحكّم فيه العلم فانصاع صاغراً — يئن من البلوى وثار مزمجرا

ويبكي بدمع لا تكفّ سيوله — ويرضى بأمر الله أمراً مقدّرا

ويجترّ ذكرى الحادثات جميعها — ويودعها التاريخ سفراً مسطرا

كذا العلم لا يبقي كبيراً مكرّماً — فحيناً لعمران وحيناً مدمّرا

تراه لإحياء الورى وفنائها — وراحتها الفضلى، وبؤساً مكدّرا

إذا استخدم الإنسان منطق عقله — تعلّم علماً نافعاً فتنوّرا

وعاش سعيداً في الحياة منعّماً — وخلّد ذكراً مستطاباً معطّرا

وإن جانب التوفيق عقل ابن آدم — تعلّم علماً لا يفيد منفّرا

تعلّم شراً من طبيعته الأذى — فبات كما بات الشقيّ معكّرا

لمشروع تعبيد المسالك نافعٌ — مفيد ففي التمهيد ما يصلح القرى

(الحكة) أضحت من ثقيف قرية — يحجّ إليها الطائفيّ مبكّرا

يعود إلى أوطانه بعد رحلة — قضت منه لحظات كما الحلم في الكرى

وحجّاج بيت الله بات غنيّهم — يطوف ويسعى ثم يصطاف في (كرى)

يؤدي فروض الله في حرم الهدى — ويقضي بقايا الوقت في قمّة الذرى

فشكراً وشكراً للعلوم جميعها — لها الفضل في تعبيد متوعر الثرى



ظهرت في سماء الأدب اليوناني الحديث بعد الحرب العالمية الثانية أسماء شاعرات مجيدات أظهرن قدرة خاصة على التجديد في أساليب التعبير، وثراء ملحوظاً في الأفكار والأحاسيس.

وفي استعراضنا لعطاء هؤلاء الشاعرات المحدثات نبدأ فنشير إلى كل من فيكتوريا ثيوذورو المولودة عام ١٩٢٦م، وماخي موساكي المولودة عام ١٩٢٥م. وقد جمع بين هاتين الشاعرتين على الأخص ما أبدتاه من عدم الرضاء عن كثير من أوضاع الواقع اليوناني في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

عنق الحرية

وقد نشرت **فيكتوريا ثيوذورو** أول دواوينها عام ١٩٥٧م، وفيه تحدثنا عن الأوضاع المحتومة على المرأة في الريف اليوناني، وعن فقدان الأقاليم رويداً رويداً لطابعها القومي العريق. وفي ديوانيها **«العتبة والشباك»** عام ١٩٦٢م، و **«الحي الغربي»** عام ١٩٦٦م، بدت الشاعرة أكثر نضجاً، وكشفت عن اهتمام بالمشكلات الاجتماعية، وثقة بمستقبل الإنسان. وهو ما تكرر منها في ديوانها اللاحق **«الرحلة»** عام ١٩٧٣م، وفيه تتحدث عن أماكن النفي وجزر الاعتقال حيث تكبل الروح بالأغلال، ويطبق الطغيان قبضته الحديدية على عنق الحرية.

إصبع الاتهام

كما أثبتت **ماخي موساكي** أنها قادرة على أن تحيل رقتها إلى إصبع اتهام. وقد اكتسب عطاؤها الاحترام منذ ديوانها الأول **«صوت يونيو** (حزيران) **»** عام ١٩٥٦م، حتى ديوانها **«الضحكة الخشنة على ضفاف الهدسون»** عام ١٩٧٥م. وتعبِّر عن خوفها من تلك العدمية التي ترفرف على الحضارة الغربية، إلا أن معاينتها لمسيرة هذه الحضارة المتخبطة نحو الخراب في قصائدها لم تقدها إلى الاستسلام للتشاؤم على أي حال. بل على العكس، ساعدها ذلك على رؤية الحقيقة والإفصاح عنها. **وتتمثَّل هذه الحقيقة عند الشاعرة في أن لا أمل في أن تتفتح القيم الحضارية ومعها يزدهر الإنسان إلا في مجتمع يسوده السلام، ولا يعمد الناس إلى استغلال بعضهم البعض.**

العبق الإنساني

وتضوع قصائد شاعرة أخرى هي **فيدرا زامباثا ـ باغولاتو** المولودة عام ١٩٣٤م، أيضاً بالعبق الإنساني ذاته الذي يضوع من قصائد الشاعرتين السابقتين. وهي ابنة **القصاص الروائي كولي زامباثا**. وقد نشرت دواوينها عام ١٩٦٢م، بعنوان **«قطرات من نور»** ومنذ ذلك الحين توالت كتبها. وهي شاعرة غنائية، متيمة بحب الإنسان، ومفعمة بالأمل في مستقبله.

وفي الجو ذاته تتحرك الشاعرة **ليا خادزوبولو ـ كارافيا**، وهي من كتَّاب القصة أيضاً، وقد صدر أول دواوينها عام ١٩٥٦م، بعنوان **«رسوم على صفحة الماء»**، وقد بدأت شاعرة عاطفية غنائية ولكن سرعان ما اكتشفت لنفسها خطاً شخصياً في خضم المشكلات الاجتماعية، وراحت تتغنَّى بحقوق الإنسان وحريته.

الهموم المثالية

أما الشاعرات الثلاث **هيليني فاكالو، وماندو أرفاندينو، وليديا ستيفانو**، فتشغلهن هموم مثالية وتؤرقهن معاناة ميتافيزيقية. وإن كانت الأحداث السياسية والاجتماعية التي عرفها عصرهن قد انعكست إلى حد ما على شعرهن أيضاً.

وقد ولدت **هيليني فاكالو** في القسطنطينية عام ١٩٢١م، ودرست الآداب والتحقت **أستاذة للنقد الفني بمدرسة الفنون الجميلة**. وقد صدر أول دواوينها بعد أن وضعت **الحرب العالمية الثانية** أوزارها. وقد عكفت في قصائد ديوانها هذا على تأمل ذلك الزمن الجريح، زمن الاحتلال وأمجاد المقاومة والاستشهاد. وجمعت في أسلوبها بين خبرات الشعر الشعبي وشعر جيل الثلاثينات. وتقول الشاعرة:

«أريد أن أتكلم عن قلوبنا المريرة التي لا تنسى
أريد أن أتكلم عن الخراب الذي حط علينا».

رحلة مع شاعرات اليونان

على أن نبرة إحباط وخيبة أمل ما لبثت أن تسللت إلى قصائد الشاعرة، ويهب الشعور بكآبة الموت الذي يأتي ليدفع كل شيء بعصمته المتخثرة. كما سيتجلى على الأخص في ديوانها الصادر عام ١٩٥١م، بعنوان «**وصف الجسد**».

ويبدو أن الشاعرة قد لاذت في السنوات الأخيرة بكتاباتها في النقد الفني، ووجدت فيها مخرجاً لها من الطريق المسدود الذي أوصلتها إليه تجربتها الشعرية.

صوت الإدانة

أما **ماندو أرفاندينو** فقد صدر أول دواوينها عام ١٩٦٣م، بعنوان «**كتابات (١)**»، وقد أعقبه ديوانان آخران حتى عام ١٩٧١م، بعنوان «**كتابات (٢)**»، ثم «**كتابات (٣)**»، واتصف شعرها بالخشونة والقسوة، وأشهرت الشاعرة في قصائدها إصبع الاتهام وزأرت بصوت الإدانة. ولكن ما لبثت هذه الصرخات والنبرات العالية أن قادتها إلى «**الصمت**»، إلى صمت لا تعرف كيف تصفه وتكتفي بأن تقول عنه إنه «**أفضل المواقف**» وإنه أجمل الخصال التي يمكن أن يتحلى بها الشاعر. وينتهي بها الأمر إلى أن تقول عن موقفها هذا إنها إنما عرفت الأسباب وتيقنت منها، وما عادت بحاجة إلى أن تفتح فمها ببنت شفة.

الغموض والضبابية

أما **ليديا ستيفانو** فهي تتخذ من شعر **سيفيريس** ورفاقه «**جيل الثلاثينات**» منطلقاً لتجربتها الشعرية، ولكن زمنها المعاصر يؤرقها أكثر من شعر السابقين ويطبع على أبياتها بصماته. **ولهذا فقد اتسم عطاء الشاعرة بنزعة صدق وإن اكتست رؤاها الشعرية في كثير من الأحيان بالغموض والضبابية**. ومنذ ديوانها الأول بعنوان «**قصائد**» عام ١٩٥٨م، قدمت تصويراً للواقع المعاصر. ثم مضت تواصل عطاءها الشعري بديوانها «**مشاهد من مسيرة إنسان والخداعاته**» عام ١٩٦٥م. ثم أصدرت عام ١٩٧١م، ديوانها الثالث «**ست حكايات من عالم الوحوش**»، حيث أودعت في قصائد هذا الديوان كافة مواقفها ووجهات نظرها إزاء الشعر والفلسفة. وقد مضت الشاعرة في تجربتها الشعرية كلها تنظر إلى الوجود من زوايا «**مثالية**» و«**ميتافيزيقية**» موقنة برموز للخلاص. **وإنه في هذا الزمن التعيس الذي نعيش فيه ليس بالإمكان أن يسمع سوى صوت مجنون، في مقدوره وحده أن ينقذ شيئاً ولو ضئيلاً، وذلك إن لم تخنق مكبرات الصوت هذا الصوت أيضاً**، فتقول الشاعرة في إحدى قصائد ديوانها الأخير:

«وإن لم تلتهم الوحوش التي تحكم كل حياة
هذا الذي أنقذته
وأمكنه أن يصل إلى الأسماع
فليُسْمَعْ
ما دمت لم أستطع أن أجلب غيره،
ولا أن أنقذ شيئاً آخر».

وفي عام ١٩٧٣م، أصدرت الشاعرة ديوانها الرابع «**مكبرات الصوت**»، كما كانت قد أصدرت دراسة ممتازة بعنوان «**مشـ[illegible] المنهج في دراسة الشعر**».

عوالم داخلية

أما **لينا بابا، وكوراليا ثيوتوكا، ونانا أيسائيا**، فهن شاعرات أضفين على عطائهن الشعري ظلالاً من عوالمهن الداخلية.

وقد أصدرت **لينا بابا** أول دواوينها عام ١٩٥٣م، بعنوان «**قصائد**»، ثم تلته دواوين أخرى منها «**مشاعل**» عام ١٩٦٠م، و«**همسات**» عام ١٩٦٣م، و«**مذكرات شخصية**» عام ١٩٦٧م، و«**على الطريق**» عام ١٩٧٣م. وهي تغني أغنية شباب خنقه عدم التقدير وسوء الفهم، وكثيراً ما تبكي على الأحلام التي راحت بدداً. على أن نبرة التشاؤم لا تغلب على كلماتها بل يسودها استسلام للمصير ورضاء بالمكتوب، فتسري إلى القلب سكينة عذبة.

وعلى العكس من ذلك تستبد بقصائد **كوراليا ثيوتوكا** تشاؤمية مفرطة منذ ديوانها الأول الصادر عام ١٩٦٣م، بعنوان «**محاولات**» وقد بلغ تشاؤمها الذروة بوفاة زوجها الأديب اليوناني الكبير **جورج ثيوتوكا** الذي توفي أواخر عام ١٩٦٦م. وقد مضت الزوجة الوفية تبكي الزوج

الحبيب بقصائدها التي جمعتها في ديوانها «**بطاقة شخصية**» عام ١٩٧١ م، إلى أن وجدت القدرة ــ على حد قولها ــ أن تزرع رصاصة «**بداخلها وحدها**». ثم انتهى الأمر «**بأميرة الرثاء**» هذه أن وجدت في نفسها الشجاعة كي تغادر عالمنا هذا باختيارها إلى الأبد عام ١٩٧٦ م.

أما **نانا أسانيا** فقد نشرت أول دواوينها عام ١٩٦٩ م، بعنوان «**قصائد ٦٩**»، وقد لفتت الأنظار إليها بنزعتها المتشائمة وغنائيتها القاتمة.

الشوك لا يذبل

ومن الشاعرات القديرات أيضاً **يولندا بينجلي** المولودة عام ١٩ م. وقد حصلت على الجائزة الثانية من الدولة في الشعر عام ١٩ م، عن ديوانها «**الشوك لا يذبل**»، كما حصلت من **جامعة** على جائزتها عن ديوانها «**إلى الفريسيين**» عام ١٩٧١ م. ومنذ شاعرة الأول الصادر عام ١٩٦٤ م، بدت مثاليتها الاجتماعية سانية، ولكن دون تعمق في الأدلاء بتفسيرات فلسفية لويلات العالم ابات البشر.

شاعرات عاطفيات

أما الشاعرات **مارغاريتا ذالماتي وذيسبينا ديوتسورتس وأنجيليكي بافلوبولو** فهن شاعرات عاطفيات.

والشاعرة الأولى **مارغاريتا ذالماتي** كاتبة غزيرة الإنتاج كتبت دراسات أدبية وقصصاً للأطفال وترجمت ودرست الأدب اليوناني الحديث **بجامعة باليرمو بصقلية**. كما تلقت دراسات موسيقية جادة أثرت على عطائها الشعري الغنائي وساعده على الازدهار. وتستمد قصائدها جذورها ن الواقع اليومي، ولا تهدف إلى تحليلات فلسفية اجتماعية. وعلى سبيل المثال تقول:

«نفخ الحب
في رماد قلبي
فأضاءت النجوم».

هذا ما تقوله الشاعرة الرقيقة، وتنقذ من الضياع لحظات عاطفية من واقع الحياة اليومية، قلَّ التغني بها الآن في الشعر الحديث عموماً.

أما **ذيسبينا ديرتسورتس** فلها ديوانان أولها صدر عام ١٩٥٣ م، بعنوان «**نغمات نصفية**»، والثاني صدر عام ١٩٦١ م، بعنوان «**متتابعات**»، وأعمالها نماذج طيبة على الشعر العاطفي الغنائي الذي يخلو إلا من لحظات حب وصور جميلة. ولكن ليس هذا على أي حال بالشيء القليل إذا ما أحسن تقديمه.

وبالمثل فإن شعر **أنجيليكي بافلوبولو** شعر رومانسي يتغنّى بجمال الطبيعة، وبعذابات أجراء الأرض، وبالرجاء الذي لا ينضب في العطاء رغم الجدب الذي يزحف، ونجد الإنسان في قصائدها يصارع الموت، والزمن، والملل. وقد صدر أول دواوينها عام ١٩٦٤ م، بعنوان «**البحث عن الحب**» على أن الديوان الذي أبرز موهبتها الشعرية على الأخص كان «**النشيد**» الذي صدر عام ١٩٦٧ م، ثم بعد ذلك ديوانها «**من أجل خطيئة الربيع**».

المرحلة التأملية

فإذا انتقلنا إلى **إيفي إيليانو** المولودة عام ١٩٢٤ م، **وإيفي أثاناسيو** المولودة عام ١٩٣٦ م، **وأوليمبيا كارايورغا** فسنجد أن ثلاثتهن قد تجاوزن مرحلة العاطفية، وانتقلن إلى مرحلة تأملية ماضية في النضج والازدهار.

وقد ظهر أول دواوين **إيفي إيليانو** عام ١٩٥٢ م، بعنوان «**أغاني القبطان الأسود**»، ثم تلاه ديوانها الثاني «**اثنتا عشرة تنويعة على جسر آرتا**»، والديوانان يدوران حول موضوع واحد، موضوع الأصالة القومية المتراجعة إزاء زحف الحضارة الآلية. وفي ديوانيها الأخيرين «**المرائي**» عام ١٩٦٦ م، و«**بحر الحكمة**» عام ١٩٧٣ م، تعلن الشاعرة التي هي أيضاً موسيقية بارعة عن نزعة غير متفائلة نابعة عن معاينة عميقة لتدهور الذات الفردية. فتقول:

«ما تقنا إليه كثيراً لم يتحقق»

رحلة مع شاعرات اليونان

وما تحقق كان رماداً
بقينا هنا
لزمنا ترابنا التليد وآثارنا
في الظلال التي كلما امتد بنا الوقت ازدادت كثافة ».

....

« كيف جرت مثل الأمواج سنواتنا
وعلى الرغم من ذلك ظلت حيواتنا عطشى ».

أما **أوليمبيا كارايورغا** فربما كانت مقلة في عطائها الشعري. ولكن ديوانيها « **آلاف الوجوه للفن** » عام ١٩٦١ م، و « **مكبرات الصوت** » عام ١٩٦٦ م، فضلاً عن ترجماتها لقصائد شعراء أجانب قد أثبت سعة اطلاعها ورهافة حسها واجتهادها في البحث عن الأفضل والأكثر ثراء. ومع ذلك فإن هذه الشاعرة بدورها تميل إلى أن تكون حزينة فيما تعبِّر عنه ولكن دون أن تهبط إلى حضيض التشاؤم، ولنسمعها تقول:

« تركنا وحدنا
تائهين عند مفارق اليوم الذي مضى
نحدق في البحر
وفي الظلال الكبيرة بأعماقها ».

أما **إيفي أثاناسيو** فقد أصدرت في الفترة من ١٩٦٥ م، إلى ١٩٧١ م، أربعة دواوين من الشعر. وفي قصائدها يلمح القارئ بسهولة مرارة القلب الذي يعاين واقعاً حائراً. ولكنها مهما اعترفت بأنها خاوية اليدين إلا أنها لا تتردى في التشاؤمية. فهي تدرك ما على الشاعر من دين نحو الواقع والحاضر.. وعندما تقول الشاعرة:

« غطينا عيوننا
كي لا نرى أمامنا
كان الطريق طويلاً
وإذا أردنا العودة من حيث أتينا
وجدناه مسدوداً ».

أنشودة الرجولة والموت

ونلفت النظر في هذا المقام أيضاً إلى **هيليني أرغيستي وسيفي ذاراكي** وتتسم قصائدهما بالحيوية والنضالية. وفي عام ١٩٦٥ م، نشرت **هيليني أرغيستي** ديوانين، تحدثت فيهما الشاعرة عن مدينتها **بيريه**، حيث عاشت إلى جوار المصانع والورش، والأحياء الفقيرة، وعرق عمال الميناء وهمومهم. وبدت كما لو كانت ترسم لوحة حائطية رحيبة. وقد مارست **هيليني أرغيستي**، فيما بعد، الكتابة القصصية أيضاً، وأصدرت عام ١٩٧٤ م، مجموعتها القصصية « **أنشودة الرجولة والموت** ».

الشعر الواقعي

أما **سيفي ذاراكي** المولودة عام ١٩٣٧ م، فلها خمسة دواوين من الشعر. وقد صدر أول دواوينها بعنوان « **أغنية الموتى** » عام ١٩٦٠ م، وفي عام ١٩٧٣ م، أصدرت ديوانها الخامس بعنوان « **الحديقة ذات الأشجار المحترقة** »، وهي تكتب شعراً واقعياً، مدعماً بدراسة الحقيقة اليومية، وإن كان ذلك لم يمنعها من أن تعود إلى الإطلال على عالمها الخاص وذكرياتها فتتحسر في قصائد لها على محبَّات ولَّت وشباب انقضى، ولكن ليس ذلك من باب الحسرة فحسب، بل باعتبار أن الشعر سبيل خلاص وتحرر.





تأليف المفكر الفرنسي:
بيير تيارد دي شاردان

عرض وتقديم: جمال بدران

الظاهرة الإنسانية

القارئ الفرنسي لهذا الكتاب يلمس أن كاتبه بيير تيارد دي شاردان قد بذل غاية جهده أن يتخلص من ربقة نفسه دون طائل.. ذلك لأنه على مدى صفحاته الثلاثمائة والثماني عشرة صفحة.. ينتقد كل من تناول تاريخ الأرض ومن عليها.. فكلهم قد جعلوا الإنسان مركز الكون منذ الأبد وحتى الأزل.. وهذا في حد ذاته مصدر الخطأ الفكري ـ من وجهة نظره ـ لكل من شرع في دراسة عالمنا الأرضي، أما الصواب فهو أن مكمن الأرض وحشاها، وغلاف الأرض ورباها.. هي الجديرة بذلك، لأنها جميعها نبع الحياة ومنتهاها.. حياة الإنسان، وحياة المؤلف نفسه كذلك!!.

لكنني كقارئ عربي للكتاب لم يسعني إلا ان أحس بانطباعات راودتني في كل صفحة قرأتها.. هي أن الناس معادن.

ربما يظن ظان أن شعار الحكمة العربية هو الذي امتلك مشاعري أثناء القراءة، لكنني أقصد المعادن بمعناها العلمي الجامد، ذهب ونحاس وحديد.. وصدأ أيضاً.. وهذا عين ما رمى إليه مؤلف الكتاب.. فهاهو يقول: «**قضيت ما يقرب من الخمسين عاماً جاهداً.. أن أثبت حق النقد للعلوم بجدارة.. فلا توجد واقعة تاريخية خالصة، وإنما كل تجربة ـ إن بدت موضوعية ـ فهي لا محالة مغلّفة بنظام من الافتراضات التي يبحث العالم في بلورتها وصياغتها**».

وينعي **دي شاردان** على الإنسان اهتمامه الزائد عن الحد بنفسه،



إلى درجة الغرور المرضي أو النرجسية .. بقوله :

« منذ أن وجد على سطح الأرض ، وهو يلفت الانتباه لنفسه .. لم يلحظ منذ عشرات القرون إلا نفسه .. حتى منذ أن شرع لعهد قريب في اتخاذ رؤية علمية لموضعه الطبيعي في العالم .. ولا ندهش لهذا البطء في اليقظة !! لأن الأمر كان يتطلب إنهاك أعيننا في الدوران حول أنفسنا » .

ومع ذلك ، فطموحنا المعرفي لم يكن يحده حد ، فنحن فيما وراء الطبيعة ، ونحن عند قمة الطبيعة ، ونحن حولها وتحتها .. في كل مكان منها نكون .

إن **الدكتور دي شاردان** الذي قضى حياته بين معمل الحفريات القديمة ، وبين التنقيب عنها في **مصر والصين والهند وسيلان** ، وحصل على درجة الدكتوراه ببحثه في فلسفة العلم ، وشارك في اكتشاف **الجمجمة الأولى لإنسان بكين** ، ثم أسهم في رصد المسار البحري للجنس الأصفر .. أراد هذا العالم بكتابه الرئيسي الذي أعرضه الآن أن يقدم تفسيراً للعالم انطلاقاً من فكرة أن عقلية البحث والتوسع هي النواة الدائمة للتطور ، إنه يدرس **« هذا الذي يصير ويقتضي الإنسان »** ، قائماً برمته وحتى القمة في إطار الظواهر . فكيف وافق بين هدفه من الكتاب وبين العناصر التي ساقتها فيه ؟ ، وإلى أي حد وفّق في دعم هدفه بمدار بحثه في هذه العناصر ؟ ، هذا هو ما نحاول تبسيطه لك أيها القارئ العزيز .

إزاء الخلفيات الكامنة في الماضي ، وعناصرها الغاية في البساطة الآخذة في التزايد بفضل اكتشافها ، وإزاء الرغبة في توجيهها بقدر الإمكان إلى أصولها الصحيحة .. اعتبرها **دي شاردان** أشبه بخيوط ذات تكوين إنساني تتدعم بملاحظتنا ومتابعتنا .. فتشكل ــ على حد قوله ــ **نسيج العالم** .

إن هذا النسيج يكمن نهائياً في التحليلات الدائمة والمدعمة بالمنهج العلمي .. التي تقوم بها أجيال الباحثين .. ومن ثم فإن الصلة وثيقة ومباشرة بين الإنسان الذي قرأ ، وبين هذا الذي قام بالتجربة ذاتها على ما بينهما من تباعد واختلاف ، هذه الخيوط تتمثل في مواد إقامة إرادة الإنسان ، فروضه التي يفترضها ، لبناء صرح الحياة المستقبلية على أنقاض ما باد منها .

إن التمثلات المتاحة الآن من **الطاقة النووية** ، تعتبر إلى حد كبير ، طريقة معدنية بسيطة بين يدي العالم للتأثير في تحولات الجماعات ، وفي تحقيق عدم التعارض بين الآثار العديدة التي تنتج عن المادة ، آثار لم يكن لأحد أن يتوقعها ، فضلاً عن التعرف عليها في الإنسان .

والمادة الأولية في هذا النسيج العالمي هي بالدرجة الأولى .. **التعددية** . يقول المؤلف إن الذرية العميقة للعالم تزهر بشكل خفي في نطاق التجربة العادية . إنها تتمثل في مسارات المطر وفي غبار المدافن . إنها تمتد إلى تعدد الأحياء والنجوم ، وترقد كذلك على مدارج الموتى . **إن الإنسان ليست لديه حاجة إلى منظار مكبّر ، ولا إلى تحليل إلكتروني ، لكي يتشكك في كونه يحيا محاطاً ومتحمّلا ضواغط الوحل . ولكن لكي نحصي ونصف غلات هذا الوحل ، ليس ثمة من سبيل غير التعقل الدؤوب للعلم الحديث .**

وينتقل المؤلف إلى مادة أخرى بعد التعددية ، هي **المادة الشاملة** ، ويقصد بها تلك التي اقتطعنا منها كسرة أو شظية لنضعها تحت تجربتنا ، وتركنا هذا الباقي الهائل على حقيقته الطبيعية والمجردة . فالكسرة أو المادة التعددية من نبت أفكارنا ، تامة الصنع بإرادتنا وعقلنا .. أما المادة الشاملة فهي نبت الأرض وتكوينه ، هي هواؤه وشذاه .. هي نسيج العالم الذي لا يتمزق ، بل هي ، نوع من **« الذرة »** العملاقة ، هي ــ متناولة بشمولها ــ التي تشكل الحقيقة الوحيدة التي يستحيل تجزئتها **(من خارج العقل حيث تتركز وتكون محط الأنظار)** .

إن تاريخ وموضع الوجدان في العالم ، يظلان غامضين لكل من لم ينعم النظر في أن الكون الذي يؤوي الإنسان ، سلفاً ، يلتزم بتكوين منهج ، منهج بكثرته ، بوحدته ، بقوته ، هذه العناصر الثلاثة الراسبة في جوف محيط غير محدود .

ويبدو أن المؤلف **دي شاردان** أحس بغموض فكرته ، فشرع في إعادة شرحه لها لعله يوصّلها لنا ، وظل يكرر ويعيد أن المنهج ليس إلا مراقبة الطبيعة .. ترتيب أجزاء العالم التي كانت بالنسبة للإنسان شيئاً خارقاً .. **فماذا كانت هذه الأجزاء ؟** .

يجيب بقوله : « إن قشور الكون ذات الحركة الدائمة هي التي بلورت بحركتها ، فقاعة الكرة الأرضية بمعادنها المتنوعة ، فصارت ذات بؤرة أو مركز ناري ، تغلّفها أغشية أو قشور تفاوتت في كثافتها وحرارتها ،

حتى استقر على سطحها الماء الذي كان قشرة أو غلافاً . . فصار الماء بحاراً ومحيطات ، ولامس غلاف الهواء سطح الكرة المعدنية لأول مرة ، بعد أن انحسر عنها غلاف الماء ، وباستمرار الحركة والاحتكاك بين قشور ومعادن اختلفت كثافاتها وسخونتها ، تولّدت كائنات ذوات خلية واحدة ثم المتعددة الخلايا .

إن الحركة والاحتكاك هما عماد وجهة نظر **دي شاردان** فيما قبل الحياة على الأرض ، فإن كانت طبقة **الجير أو الكالسيوم** هي المثلة لغالبية القشرة التي كانت مغطاة بالماء ، فهي أقرب فيما بعد إلى عماد التكوين العظمي في اللافقاريات والفقاريات على السواء . وإذا كانت مناطق ـ مهما اتسعت مساحاتها ـ قد اختصت بمعدن دون غيره . . متفاعل مع غيره أو ممتزج بطين الأرض ، أو متحجر وحده بدون امتزاج ، يكون الفناء الغالب لكل نبات ينمو عليه ، وتكون السمة الغالبة في تحليلات مثل هذا النبات ، مشابهة لمواصفات الأرض التي تغذى عليها .

ونحن هنا لسنا بصدد مناقشة المؤلف في مدى صحة ما ادّعى ، أو مدى أصالة ما جرؤ على البوح به من رأي . ولكننا نعرض لما قدّمه مسبوقاً كان أم مبتكراً ، لننتقل إلى بقية عناصره التي أقام عليها كتابه .

فتطور المادة عنده يتم بشكل رياضي هندسي ، يتم على نسق واحد محسوب ، يجمع بين عناصر ثابتة ومتحركة تعرف بالطبيعة الكيميائية ، ولذلك فإنه يحصر قوانين التكاثر النوعية في ثلاث علامات يستطيع كل منّا أن يجربها بشرط ترابطها سوياً :

★★ أولى العلامات هي الأشكال المتولدة عن المادة الكامنة في أجواف الأشياء ، وليس بلازم تخيلها وريقة رقيقة غير متقطعة ، بل كحبيبة من تلك الحبيبات نفسها التي تكوّن المادة ذاتها .

★★ وثانية العلامات هي على وجه التقريب ما بين موحّدات التركيب في الأصل من عناصر المدلول (**تماماً مثل العناصر لمادة مضمومة الطرفين**) تؤول تدريجياً إلى تعقيد وتخليق طبيعتها في دورة زمنية .

★★ وثالثة العلامات . . لنتناول ، للاختتام ، جانبين مختلفين من هذا الطيف ، جزئيتين لمدلول بلغتا درجتين غير متساويتين من التطور ، كل منهما تُناظر مجموعة معينة محددة تشكل بدورها الجوف . نُقارن الواحدة بالأخرى على هاتين المجموعتين الخارجيتين ، ونطلب كيف تنحصر بينها وبالنسبة للجزء الصغير من المدلول الذي يطوّق كل واحد منهما على التوالي . فالإجابة مباشرة .

أيّاً كانت الحالة المواجهة ، نستطيع أن نكون متأكدين من أن المدلول الأكثر نمواً سيمثل كل مرة دعامة رئيسية أكثر ثراء وأحسن إحكاماً . فالبروتوبلازم الأكثر بساطة تكون من قبل مادة تعقيدية . هذا التعقيد المتزايد ، في تناسب هندسي ، لحيوان أحادي الخلية إلى متعددة الخلية تتنامى أكثر فأكثر . . وبهذا تتضح العلامة الثالثة .

وينتقل المؤلف في فصل ما قبل الحياة إلى ما أسماه **الطاقة الروحية** ، قد ينصرف ذهننا إلى ما اعتدنا عليه من كلمة نفس ، لكنه لا يريد لنا أن نشرد لحظة عن المنهج الذي اختطّه . . إنه يعتبر أن انتشار القوتين الطبيعية والكيميائية على التوالي . . فوق رقائق خارجية وداخلية من العالم لهما معاً المظهر نفسه . إنهما تشتركان وتمرّان بشكل ما الواحدة في الأخرى . . هذا التخلل المتواصل هو ما يسميه **دي شاردان الطاقة الروحية !!** .

فما دور الأرض في كل ذلك؟ . .

يفصل المؤلف القول عن انكشافها وملامستها لعناصر القشرة الهوائية ليصل إلى وصفها بالأرض الفتية ، أو الأرض البكر المتعطشة لاحتضان كل ما ينعش حبيباتها بعناصر الحياة الخارجية . . ماذا تنتظر نواة الأرض هذه Barysphère ، من قشرة الأرض الغازية ما دامت قد احتضنت هواءه Atmosphère . إن المكونات الأساسية للأرض من نواة وقشرة صلبة وغلاف مائي وآخر هوائي وخامس طبقة هادئة من الغلاف الجوي . . تستطيع أو هي بالأصح قد استطاعت أن تحقق وتركّب كثيراً من تفاصيل العالم . . إما أن يتبلور ، وإما أن تتعدد أصوله متشابكة وممتدة من جوف الكرة الأرضية حتى قشرتها الجافة . . وهذا هو ما استقرت تسميته بنسيج العالم عنده .

يبدو من تضاعيف سطور الكتاب أن مؤلفه يؤثر اعتناق الحركة المستمرة والهادفة أساساً لتفسير انبثاق الحياة على سطح الأرض . لكنه آثر أيضاً التمهل في الكشف عن معتنقه هذا . . حتى يستعرض لنا بحوث من سبقوه من علماء الأنثروبولوجيا وبُحّاث الحفريات .

واقتفاء أثر أول خطوة للحياة كانت الشغل الشاغل لذلك العلم غير القديم ، الحفريات أو **الباليونتولوجي** Paléontologie .



ونستنتج من صفة غير القديم أن المشتغلين بهذا العلم لم يهتموا بجدية بحوثه ومنهجيته إلا في عهود ليست بالبعيدة ، ذلك لأن العقائد اللاهوتية كانت توصيد الباب دائماً في وجه كل فضولي يدقق النظر في مطمورات الأرض من تحجُّرات أو بقايا غريبة المنظر والمخبر .

لذلك فإن الأوائل من روّاد هذا العالم قد اعتُبروا من المغامرين أحياناً ، ومن المخرّفين أحياناً أخرى . . **إلى أن استقامت بحوثهم واتخذت سمة العلم .**

عرض المؤلف أول ما عرض **لداروين** في نظرية الانتخاب الطبيعي ، فالكائنات تحمل في مكوناتها عوامل بقائها واستمرارها ، وعوامل فنائها كذلك ، فإن كان تكوينها الخلقي يغلب عليه عوامل الضعف والفناء ، فنيت وأفسحت مجال الحياة لتلك التي تتمتع بعوامل القوة والنماء والتوالد . وتنتقل هذه الخصائص إلى الجيل الثاني والثالث . . حتى تبدأ عملية الانتخاب الطبيعي من جديد ، فتتحدد ملامح الشكل الذي تتخذه هذه الاختلافات وفقاً للمصاعب المعينة لتنازع البقاء في بيئة ما .

ويستعير **داروين** من العالمين **مالتوس ونيوتن** فكرة تنازع البقاء هذه . . إذ قالا إن سرعة التوالد بين الكائنات تفوق مقوّمات العيش ، وإن الضعفاء يفنون في معركة تنازع البقاء .

لذلك ، فإنه يقول : «**لن يبق على قيد الحياة سوى أولئك الذين تضعهم فروقاتهم الطبيعية في وضع ملائم من صراع الموت والحياة على مقومات العيش ، وبقدر ما يزداد التنافس يزداد شأن الفروقات الضئيلة بين الأفراد**» .

إن **داروين** استعان بعلم الأجنة المقارن لتدعيم وجهة نظره في الانتخاب الطبيعي ، وإحداث هذه التعديلات المتطورة في مرحلة بعينها .

ولكنه يستدرك معترفاً بأن طاقات الإنسان العقلية والاجتماعية تلعب دوراً ذا شأن عظيم في تطوره . . إلا من الخطأ والخطر معاً تجاهل أو تقليل أهمية تكوينه الخلقي لنجاحه .

ولم يقف المؤلف عند هذا الحد ، بل استعان بنظرية **لامارك** الذي يعزو بعد التبدلات في خصائص الأحياء البدنية إلى ما ترتب على درجة استخدام بعض أجزاء ذلك البدن .

كما ساق ما أبرزه أنصار البيئة من تأثير على الأحياء المقيمة فيها . . مثلما قاله **بوفون** بشأن وسائل التبدّل . . فقد أرجع تعاونها فيما بينها إلى الظروف المتغيرة في البيئة كأثر مباشر لها .

وهنا يبرز **دي شاردان** نقده **لداروين** . . فقد فاته أن التقدم في المجتمع لا يشكل قاعدة ثابتة ، ذلك لأن بعض المجتمعات تنشأ وتحقق درجة رفيعة من الحضارة ، وتمد رقعتها فوق مساحة متزايدة من الأرض ، لكن بعضاً منها يبقى على مستوى بدائي من التطور . . بينما يمر غيرها في طور انحلال بعد أن تكون قد بلغت مرحلة متقدمة بعض التقدم ثم تبيد في غالب الأحيان .

ثم عرض المؤلف للفيلسوف الإنجليزي **هربرت سبنسر** الذي بنى وجهة نظره على التكيف داخل الوحدات البشرية في مجتمع ما . . فالإنسان داخلها يتكيف بحسب اتجاهات تمليها عقبات البقاء .

وهو يرتب مراحل التبدل في ثلاث . . **أولها :** التركيز التدريجي للعناصر المتحركة المبعثرة في مجموعة متماسكة . **ثانيها :** ينشأ الشكل الانتقالي من ضمن المجموعة المتماسكة عندما تنشأ تماسكات فرعية للمادة داخل المجموعة وتصل إلى أصغر الوحدات . **ثالثها :** يتأتى الشكل الأعلى للتبدل عندما يتحقق التوازن بين قدرات الأقسام المتغايرة وبين القوى التي تتعرض لها المجموعة بكاملها . . ولا يمكن لهذا التوازن إطلاقاً أن يصبح توازناً راكداً .

وفي موضع آخر من الكتاب يعرض **دي شاردان** لنظرية النمو الحضاري عند **إدوارد تايلور** بعد رحلته إلى **كوبا والمكسيك** . . فيقيمها على أساس افتراضين هما :

١ ـ التشابه الأساسي في عقول البشر .

٢ ـ أقدمية الإنسان البدائي في التدرج الزمني .

فبإمكاننا الحصول على صورة متكاملة للماضي من خلال مشاهدة الحاضر ، وما تأكيد **تايلور** على ذلك إلا بسبب رفضه التام ومقاومته لنظرية الانحدار أو الانحلال القائلة إن كل حضارة مصيرها إلى الزوال بسبب عوامل الضعف التي تعلق بها . . فعوامل القوة تعلق بها مثلما تفعل عوامل الضعف ، والأولى أقدر على التغلب على عناصر الضعف . . **ومن ثم فلا انتهاء ولا فناء إلا بمشيئة الخالق المدبر جل شأنه .**

وأراد المؤلف أن يخفف عنا عبء القراءة الثقيلة فساق لنا المفكر الأديب **جيمس فريزر** . . فيعرض لما ساقه من عرض شائق للجماعات البدائية ، وما يشيع فيها من معتقدات وأساطير وخرافات . . فيذكر أن تشابهاً أساسياً موجود في تفكير العقل غير المتطور لدى جميع الأجناس ،



★ داروين ★





★ لامارك ★



★ شاردان ★

ويتماثل مع التشابه الأساسي في هياكلها وهيئاتها . . ثم يزيد مفرعاً أن المعتقدات هي إرضاء أو استرضاء لقوى أعلى مقاماً من الإنسان يعتقد أنها توجه مجرى الطبيعة والحياة البشرية وتتحكم فيها . . ويؤكد فريزر أن هذه المعتقدات لا تظهر إلا بعد أن يكون الإنسان قد بلغ طوراً أعلى من الذكاء يستطيع معه أن يشعر بعجزه . . ومن ثم شرع في الاعتقاد بالأقدر والأقوى والأعلى والأمثل .

ثم واصل المؤلف عرض آراء الآخرين من علماء الأنثروبولوجيا مثل **فرانزبواس ومالينوفسكي والفرد كرومر . .**

كلها اعتمدت على البحوث الميدانية ، وفحوص ومقارنات ، وفروض واستنباطات . . . فأين **دي شاردان** من كل هذا؟ **أجاب :**

« فلنعد إلى الموجة الحيوية في حركتها ، هناك حيث تركناها ، أعني موجة امتداد إلى الثدييات ، أو ، من أجل وضع أنفسنا عملياً في المرحلة ، لننتقل بالعقل إلى الدنيا التي نستطيع تصوّرها ، **نهاية العصر الثالث** Jertiaire .

في هذه الحقبة ، فوق سطح الأرض ، بدا هدوء هائل مسيطر . من **إفريقيا الجنوبية** إلى **أميريكا الجنوبية** ، عبر **أوروبا وآسيا** ، فلوات خصبة وغابات كثيفة . ثم فلوات أخرى وغابات أخرى . وبين هذه الخضرة اللانهائية ، أعداد هائلة من الظبيان والخيول البرية ، قطعان متنوعة من الخرطوميات ، وعول بكل أنواع القرون ، نمور ، سباع ، ثعالب ، حيوانات من رتبة آكلة اللحوم ، كلها تشبه ما يعيش اليوم .

الخلاصة ، إنها منظر طبيعي كثير الشبه بهذا الذي نبحث في استبقائه خلف حواجز ، في حدائقنا الوطنية ، في حوض **الزمبيزي** ، أو **الكونغو** ، أو في **أريزونا** » .

إن **دي شاردان** يخرج من هذا الوصف الطويل الشاعري . . بأن التطور لم يتوقف ، بعض الشيء ، بعض الأجزاء ، تتكدس بالتأكيد وتتراكم ، متأهبة للبزوغ بقفزة أوسع ، **فكيف؟ وأين؟** .

هذا ما دفع **دي شاردان** إلى أن يطرق باب العقل ، ويركّز عليه ، فيفرد له النصف الآخر من الكتاب . . . **والفكر والعقل لديه . . هما دعامة المستقبل** . . لذا ، فإنه يتناول أرضنا الحديثة من حيث تخضع لعقل الإنسان الفعال ، الإنسان الذي سيعايش الأرض حتى نهايتها ، بمرونته وإيجابيته ، بتبدله وعلو يده ، بابتكاراته وريادته في غزواته الفضائية . . وما إلى ذلك من تحكّم ودقة ، والقفز فوق الزمن حتى نقطة النهاية Le Point Omega .

فكيف يكون ذلك الإنسان المستقبلي؟ . . هنا حاول المؤلف أن يجنح إلى التحليل **الفرويدي** للإنسان . . فالنظام السيكوديناميكي يمكن من تسجيل ردود فعل الفرد أمام مشاكل التكيف ، ولهذا يصبح من الممكن الربط بين الظروف التي يجري النشوء بموجبها ، وبين نتاج اضطرابه العصبي . . وذلك بشرط واحد أساسي هو دراسة كل مجتمع على حدة ، باعتباره كياناً قائماً بذاته ، وذلك خضوعاً للنظرية الوظيفية التي لا يرفضها **الفرويديون** عند العلامة **لامارك** .

وقد أدت الوسائل التي تميت في هذا التطبيق الجديد للسيكوديناميكية على المعلومات الأنثروبولوجية إلى الحصول على مجموعات ثلاث من المعرفة . . **هي :**

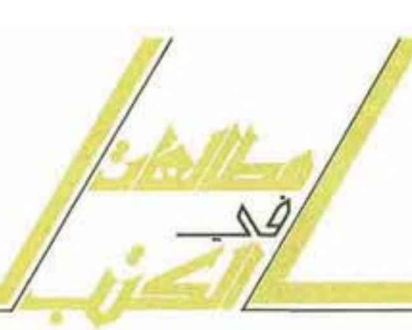
١ ـ وصف لعملية الاستقرار الداخلي التي تنشط في المجتمع .

٢ ـ وصف للشخصية الأساسية التي تنتج عن نماذج الاستقرار الداخلي الخاصة في المجتمع .

٣ ـ وصف لديناميات تبدل الحضارة ، وتشكل المواد المقتبسة من دراسات حول الحضارات الأوروبية أمثلة على نوع المعلومات التي يمكن استخلاصها من مجالات الاستقصاء .

وبعد . . هل استطاع المؤلف أن يجيب على السؤال الذي أثاره في فاتحة الكتاب؟ أي معدن من الأنس ستكون له الصدارة ولا أقول الغلبة؟ هل هو الإنسان النحاسي الأصفر ، أم النحاسي الأحمر؟ هل يوجد الإنسان الذهبي أو الفضي الذي يقود العالم إلى الوفرة والثراء؟ أم أن الإنسان الحديدي والآبنوسي الذي سيدعو الأمم إلى التروي في النمو والصعود؟ .

حتى الآن . . لا زالت عوامل الاختلاط والتبدل هي الأمل المنشود في جلاء الصدأ عن المعدن الإنساني الأصيل .





تأليف : د. سلمان قطاية

عرض وتقديم : رمضان الصباغ

لقد تناول كثير من الباحثين شخصيات علمية تنتمي إلى الحضارة العربية والإسلامية ، ولكن حظ « علي ابن رضوان » كان سيئاً ، رغم أنه كان مثقفاً عصامياً وطبيباً ماهراً ، و« جالينوسياً » ، متمكناً ، ترك مؤلفات تشهد على تفوقه ، ويُعَدُّ مِن أوائل مَن أشاروا إلى الطب النفسي الاجتماعي .

هو « أبو الحسن علي بن رضوان بن علي ابن جعفر » وُلد في **الجيزة** . وكان أبوه يعمل فرّاناً ، كان أسود اللون ولم يكن بجميل الصورة . كان عصامياً ، علّم نفسه بنفسه واستطاع أن يصل إلى مقام رفيع رغم أصله المتواضع .

اختلف المؤرخون والباحثون في تحديد عام مولده وعام وفاته ، فيرى « **ماكس مايرهوف** » أنه وُلد عام ٣٨٨ هـ/ ٩٩٨ م ، وتوفي عام ٤٥٣ هـ/ ١٠٦١ م ، بينما يؤكد القفطي أنه توفي عام ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧ م ، ويرى « **لوسيان لوكاسير** » أنه عاش حوالي ثمانين سنة ، وظل فترة طويلة وخدم الحاكم الذي توفي عام ١٠٢١ م ، ويرى « **ابن أبي أصيبعة** » أنه عاش حتى عام ١٠٦١ م .

وقد عاصر « ابن رضوان » الدولة الفاطمية في مصر في فترة كانت مليئة بالتقلبات أدت إلى نشاط وسيطرة اليهود ، وخاصة في مهنة الطب ، فكان في عصره « **إسحق بن إبراهيم بن نطاس** » ، و« **موسى بن العازار الإسرائيلي** » ، و« **أبو الفتح منصور بن سهلان بن مقشر** » ، و« **الحقير النافع** » .

وقد كانوا من الأطباء المهارسين ، ولم يرق أحد منهم إلى مرتبة العالم التي وصل إليها « ابن رضوان » **الذي نافت مؤلفاته على المئة تناولت معظم موضوعات الطب والصيدلة وغيرها .**

وقد وضع « **ابن أبي أصيبعة** » في « عيون الأنباء » قائمة بأعمال « ابن رضوان » أخذها « ماكس مايرهوف » عنه ودققها وأضاف إليها بعض المخطوطات التي لم يذكرها ابن أصيبعة . وقد تباينت موضوعاتها بين الطب والصيدلة ، وسيرة « ابن رضوان » والشروح على « **جالينوس** » و« **أبقراط** » والردود والمناقشات مع « **ابن بطلان** » وكذلك « **أبي بكر الرازي** » و« **ابن الجزار** » وغيرهم .

وتوجد مخطوطاته متناثرة بين المكتبات ، وفي بعضها لا توجد الأصول العربية بل الترجمات العبرية أو اللاتينية ، كما أن بعض المقالات توجد ناقصة .

إلى جانب اهتمام « ابن رضوان » بالكتابات النظرية في الطب وممارسته لمهنة الطب ، نجده يهتم اهتماماً بالغاً بالتعليم الطبي وذلك نتيجة لتدريسه في مستشفيات مصر بعد أن أصبح رئيساً لأطبائها .

وقد كرّس كتابه « **النافع في كيفية تعليم صناعة الطب** » للتأريخ للتعليم الطبي ، وتقديم آرائه وخبرته ونظرياته الخاصة . وقد سببت آراؤه مناقشات حادة خاصة مع ابن بطلان لأنه — أي ابن رضوان — دافع عن الفكرة القائلة بإمكانية تعلم الطب بدون معلم . وحتى لا يعتري الخلط المعنى الذي

يقصده ، لذا فإننا سوف نعرض طريقته هذه مع ذكر أسبابها .

يقول ابن رضوان : « لما أردنا أن نتعلم هذه الصناعة اتمسنا في مدينة **مصر** من رأينا أن المتعلمين يقصدونه في التعلم ، وغير المتعلمين يحمدونه في الصناعة فقصدناه ، وسألناه التعليم فأجابنا إلى ذلك ثم أمر أن نحفظ مدخل « **حنين** » وكنا نشاهد من يقوم بتدريسه للمتعلمين قراءة ولا يفسر مستغلقاً ولا يزيد على أن يسمع قراءة من يقرأ حرفاً واحداً . لكن يصغي لقراءة المتعلم فقط ، فربما صحف المتعلم أو زيف فلا يشعر هذا المتعلم بذلك . ثم رأينا المنظور إليه من أطباء هذه المدينة يجري أمرهم في تدريسهم هذا المجرى بعينه . . . » .

بل إنه يرى أن الأطباء في زمانه لا يفهمون « أبقراط وجالينوس » ، وبذا فهو يؤكد على طريقة التعليم بدون معلم عندما لا يجد راغب العلم المعلم الجيد ، ولكنه أكد على أن هذا أمر لا يستطيعه إلا أصحاب القرائح الجيدة والطبائع الفائقة . وقد شرط تعليم الطب من الأصول « كتب أبقراط وجالينوس » بشروط ثلاثة :

١ - أن يدرس الطالب الهندسة والمنطق أولا .

٢ - إذا انعدم المعلم الكفء الجيد .

٣ - إذا كان الطالب موهوباً وذا قريحة جيدة .

ويضاف إلى ذلك أن تعلم الطب من الكتب يستلزم وقتاً طويلاً ، وأن هذه الدراسة لا تكون إلا للقسم « النظري » فقط ، أما « العلمي » فلا بد من الممارسة والتدريب على يد معلّم جيّد .

أما أهمية علم المنطق للطالب ، فذلك لأن من عرف المنطق في رأيه أمكنه فهم ما في كتب



★ الرازي ★

« جالينوس » وأن يصنع من تلقاء نفسه لكتب جالينوس جوامع وشروحاً .

وكما اهتم « ابن رضوان » بتعليم الطب ، اهتم أيضاً بالناحية المسلكية لمهنة الطب ، فقد سرد في « **التطرق بالسعادة إلى الطب** » ، وفي « النافع في تعليم الطب » بعض المظاهر السائدة في عصره ، فبعض الأطباء في رأيه لا يعرف شيئاً عن الأدوية ، وبعضهم ما قرأ حرفاً ولا ملك كتاباً وكان له باسم الطب تكسباً .

بل ونراه في « **دفع مضار الأبدان عن أرض مصر** » يقدم النصح للأطباء ، فيقول في الفصل التاسع منه - كما ذكر المؤلف - : « إياك أيها الطبيب إياك والاشتغال عن صناعتك بلذات البهائم من الأكل والشرب والنكاح وجمع المال والمفاخر وحب الصلف والركوب والملبوس وغير ذلك من الأشياء التي يُتفاخر بها . وتمّوه على العوام بمخالطة ذوي اليسار وتطويل اللحية والشنب . . » ، ويضرب الأمثلة الكثيرة عن أناس يدعون العلم ويتظاهرون به حتى يظن العوام أنهم أهل حكمة وبراعة ، وهم لا يفقهون شيئاً في صناعة الطب .

وبعد أن ينتقد الجهل والادعاء المتمثل لدى بعض ممارسي الطب في عصره ، يقدم لنا الطبيب الفاضل ، فيصفه بصفات كثيرة ودقيقة تنهل من قسم « أبقراط » ، **وهذه الصفات تتمثل في كونه تام الخلق صحيح الأعضاء ، ذكياً ، ذكوراً ، عاقلاً ، حسن الملبس ، نظيف البدن ، كتوماً لأسرار المرضى ورغبته في إبراء المرضى أكثر من رغبته في الأجر الذي يلتمسه ، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء ، يحرص على التعلم والمبالغة في منافع الناس ، وأن يكون سليم القلب عفيف النظر لا يخطر بباله شيء من أمور النساء ، وأن يكون مأموناً ثقة على الأرواح والأموال ، لا يصف دواء قتّالا ، ولا دواء يسقط الأجنة ، يعالج عدوّه بنيّة صادقة كما يعالج حبيبه .**

ويكرّس « ابن رضوان » الصفحات من « النافع في تعليم الطب » لشرح وجهة نظره في « **المداواة واختيار الأدوية** » ، ويشدد على وجوب تعرف الطبيب على الأعشاب فيقول :

« وأوامر « أبقراط » و « جالينوس » و « **دياسقوريدوس** » الأطباء بمشاهدة الأدوية في مبدئها وانتهائها ومعرفتها عيناً لا خبراً واعتبار قواها قبل استعمالها . وذلك لأن التجار والصيادلة يرغبون في الربح ، فقد يبيعون دواءً غير الدواء المطلوب » . كما أنه يؤكد على أن الأدوية تتغير على مر الأيام ، ولذا يجب اختبارها والإصرار على الدواء المقصود علمياً لا غيره .

ويقدم ابن رضوان الكتاب نماذج من الكتب ، فنراه يقسمها في فصول متتابعة بشكل منهجي دقيق ، يدل على قدرة فائقة وذكاء حاد لا يمكن أن يتوافرا إلا لعالم يجمع بين النظر



والتطبيق . وعلى سبيل المثال فإن كتاب « دفع مضار الأبدان بأرض مصر » تتتابع فصوله بشكل منهجي دقيق ودراسة صبورة متأنية ، تبحث عن كل ما يتعلق بالمرض حتى يصل في النهاية إلى الطريق الأمثل لتجنبه والمحافظة على الصحة ، مروراً بدراسة البيئة وأثرها على الإنسان ، متضمناً في ذلك أثر الماء والهواء بل والأحداث النفسانية وغيرها .

كان ابن رضوان شغوفاً بالجدل والحوار ، فقد اشتبك مع « **أبي الحسن بن بطلان البغدادي** » و« **ابن الجزار** » ، كما انتقد من الأوائل « **الرازي** » ، و« **حنين بن إسحق** » ، و« **أبا الفرج الطيب** » .

وفي الوقت الذي كان « ابن رضوان » يؤكد على العودة إلى الأصول ــ « لجالينوس » و« أبقراط » ــ كانت عادة الاعتماد على الاختصارات ، والكنانيش ، والجوامع قد انتشرت لسهولة قراءتها وفهمها .

قرأ « ابن رضوان » « للرازي » « **الحاوي** » فحسب فيما يبدو ، ورأى أن الرازي ليس إلا طبيباً من أصحاب الحيل ، وقد انتقد الرازي في **(النافع من كيفية صناعة الطب)** :

« حتى أن أبا بكر الرازي يأمر كل طبيب أن يضع كناشاً لنفسه ، فكثرت لذلك كتب الطب وامّحت محاسن صنعة الطب واضطربت فضائلها لأن أمر الناس مبني على حب اللذة والراحة ، فاستراحوا بالكنانيش والجوامع ، وتركوا التعلم ، فنُسِيَ طريق تعلم أبقراط وتعلم جالينوس » .

ولكن رغم هجومه على الرازي من خلال كتابه « الحاوي » إلا أنه يعود ويضع كتاب الحاوي ضمن الكتب التي يجب أن توضع إلى جانب كتب « أبقراط وجالينوس . . . » الأمر الذي يدعونا إلى القول إنه كان يحترم الرازي ويجله ولكنه يختلف معه في بعض الأمور وخاصة عندما كان الرازي ينتقد آراء « جالينوس » ويختلف معه ، لأن « ابن رضوان » كان شديد الإخلاص « لجالينوس » وقد كان متمسكاً بالأشياء السطحية في نقد « الرازي » ، واستخدم في نقده ألفاظاً غير مستحبة كقوله « فدل بجهله بمعاني القسمة ، وعبارته في حدها مع طولها عبارة ثقيلة ليس لها بهجة ولا فصاحة ودل أيضاً على أنه لا يفهم طريق القدماء . . . » وغيرها من النعوت والصفات غير المستحبة وكان متعصباً « لجالينوس » لا يقبل أي انتقاد يوجّه إليه رغم انتقاداته الشديدة للآخرين .

أما بالنسبة « لابن الجزار » الذي عاش نيِّفاً وثمانين سنة ومات « **بالقيروان** » ووجد له أربعة وعشرون ألف دينار وخمسة وعشرون قنطاراً من الكتب الطبية وغيرها ، وترك كتباً كثيرة من تآليفه أشهرها كتاب في علاج الأمراض ويعرف « **بزاد المسافر** » ويقع في مجلدين ، ومنها « **كتاب في نعت الأسباب المولدة للوباء في مصر وطريق الحيلة في دفع ذلك ولعلاج ما يتخوف منه** » ، وهو الكتاب الذي دفع « بعلي بن رضوان » إلى تأليف كتاب « في دفع مضار الأبدان بأرض مصر » وفيه يرد على الكثير من أفكار ابن الجزار .

وقد انتقد ابن الجزار لأنه لم يستق ما يستقصي ما يحتاج إليه المصريون من تلخيص القول واستيفاء الوصف في ذكر الأسباب البديلة وما يحدث عنها وما يندفع به ضررها ، وكان سبب النقصان أنه من أهل المغرب ولم يعاين مصر معاينة اختبار وامتحان ولكن سمع بها سماعاً .

ولقد كان ابن الجزار صاحب الفضل في دفع « ابن رضوان » إلى طرق الموضوع وتأليف كتابه النفيس المليء بالمعلومات الدقيقة عن العادات والأمراض والأوبئة في مصر تلك الحقبة من الزمن .

ونرى « ابن رضوان » في مناقشته « لابن الجزار » يناقش بدقة وعلم علاقة الطقس مع الأخلاط وما ينجم عنها من أمراض وأوبئة . وينتقد قول « ابن الجزار » في أن النيل مُضِرّ بكل من سكن مصر ضرراً محسوساً ، متعجباً ، كيف يكون النيل وهو السبب الأعظم في سكنى هذه الأرض سبباً في الضرر ! فالنيل لا يحدث مرضاً في رأي « ابن رضوان » ، ولكن إذا أفرطت زيادته أو قصر عن الحاجة كان ذلك سبباً لحدوث المرض ، وهذا أمر غاب عن « ابن الجزار » حتى أغفله وهو عمدة ما يحتاج إليه في هذا الفن « أي الطب » .

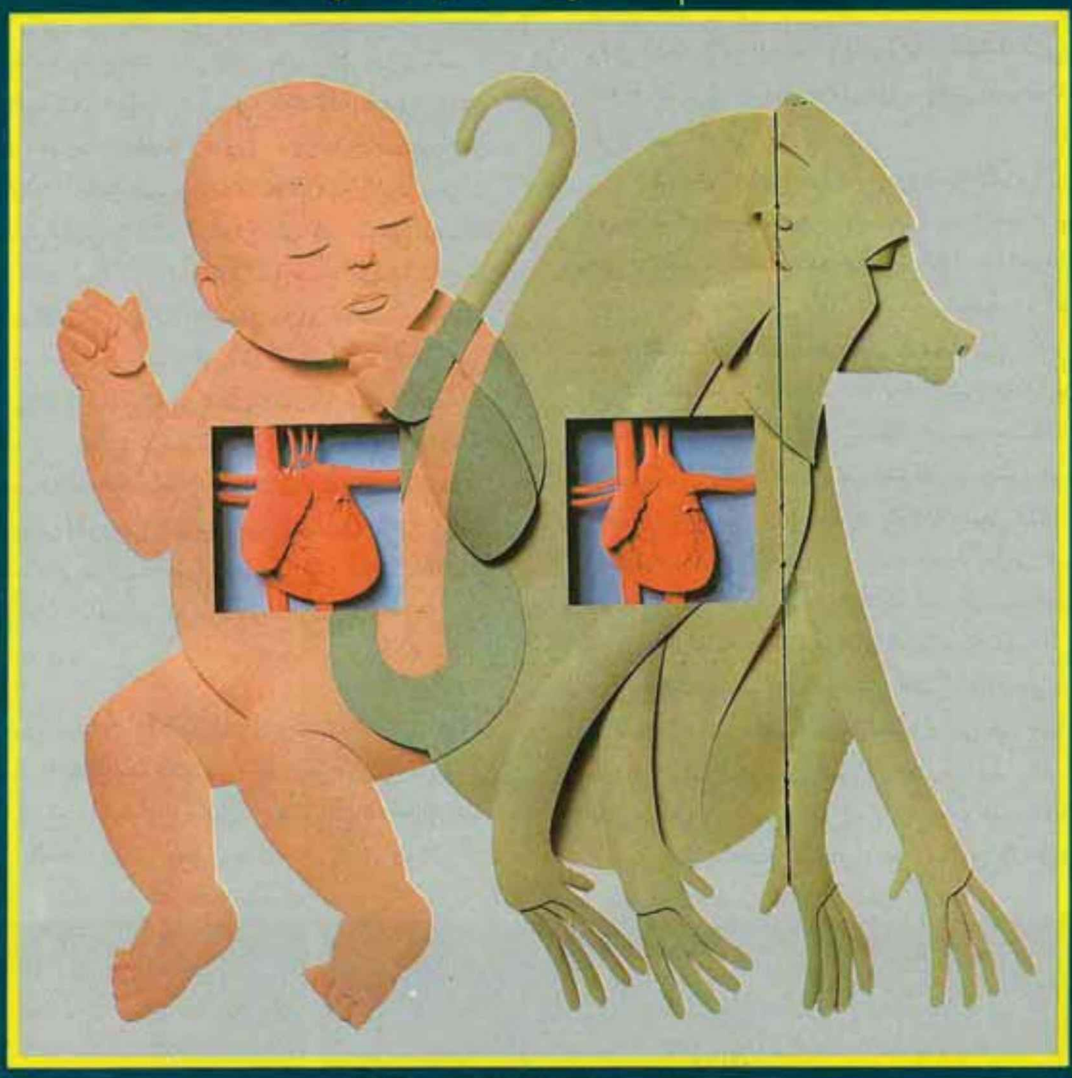
لقد كان ابن رضوان عالماً ، قادراً على تفهم الطب حسب نظريات ومفاهيم « أبقراط » و« جالينوس » . ودقيقاً في مراقبته لأحوال بلاده وساكنيها ، متمتعاً بروح علمية ومنطقية عالية ، فقد وصل إلى نتائج دقيقة وصحيحة . وإذا كانت الدراسات قد أهملته ، أو كان حظه معها سيئاً ، إلا أن هذا الكتاب يفتح الأبواب أمام التنقيب عن آثاره ، ودراسته دراسة مستوعبة وتحقيق مخطوطاته وترجمة ما يوجد منها في المكتبات بلغات غير العربية (لاتينية أو عبرية) .



ملف خاص

عملية الزرع التاريخية التي شغلت العالم

بقلم: عبد الرحمن حريتاني



الملايين من الناس، تابعوا مسلسل الحدث الدرامي المثير من على شاشات التلفزيون يوماً بيوم، بل ساعة بساعة، فقد استطاعت تلفزيونات العالم من خلال المشاهدات اليومية والصور الحية، أن تجذب اهتمام كل الناس، وتجعلهم يتعاطفون مع هذه الطفلة الصغيرة البريئة اللطيفة المجهولة الأبوين، التي كانت تناضل بقوة وشراسة ضد الآلام والمعاناة في سبيل البقاء على قيد الحياة، وغلبة الموت الذي كان يقترب منها كلما أرادت الهروب منه، وكانت ببراءتها ووداعتها تتمنى ما تمناه كل الناس لها، وهو أن تعود إلى بيتها سليمة معافاة، لتعيش وتلهو وتلعب كبقية أترابها من الأطفال الصغار، ولكن الله (جلّ جلاله) أراد غير ذلك، ولا رادّ لمشيئته، إذ توفيت الطفلة (فاي Fae) في ليل يوم (١٥) نوفمبر (تشرين الثاني) من عام (١٩٨٤م)، في المركز الطبي لجامعة (لومالندا Lomalinda) في كاليفورنيا الجنوبية.

وعند إذاعة الخبر الحزين، بكى كل الناس الذين عرفوها وعايشوا محنتها

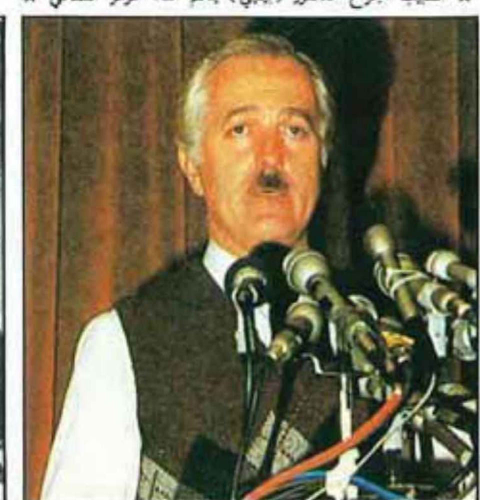


لحظة بلحظة من على شاشات التلفزيون، وأيضاً بكى جميع الذين كانوا يسألون عن أخبار (فاي) كل الوقت، ونام الجميع تلك الليلة الحزينة، وكل واحد منهم يشعر كما لو أنه فقد فرداً من أفراد أسرته.

والعملية التاريخية الطبية الجريئة التي شغلت بأخبارها جميع صحف ومجلات وتلفزيونات العالم، كما شغلت جميع المحافل الطبية والاجتماعية العالمية من ناحيتيها الطبية التقنية والأخلاقية، والتي أقدم عليها بكل جرأة وجسارة **الطبيب الجراح الدكتور (ليونارد بيلي Leonard Bailey)**، وكان من المفترض فيها أن تنقذ حياة **الطفلة (فاي)** التي كانت ستموت حتماً بعد أيام قليلة من ولادتها كطفلة **خديج** Premature (قبل الأوان بثلاثة أسابيع)، والتي هيئت النفوس لإمكانية أن تعيش كأي طفل طبيعي وبصحة جيدة، والتي أحيت آمالا كبيرة بأنها ربما تكون أول محاولة تمهيدية ناجحة للمباشرة بالإجراءات الطويلة، التي يمكن أن تنقذ ملايين الأطفال في العالم الذين يولدون وهم مصابون بنفس علتها القلبية التي هي عبارة عن تشوه خلقي مميت ينشأ ما قبل الولادة في أساس تكوين القلب فيبدل في طبيعته المعتادة، ويأتي مع الوليد إلى الحياة، فيكون تجويفا **البطين الأيسر والأذين الأيسر** صغيرين جداً على غير العادة، ولا يتمكن البطين الأيسر من ضخ الدم القاني إلى الجسم عبر **الشريان الأورطي الكبير**، ويُعرف هذا المرض باسم **(التكون غير السوي ـ الناقص النمو ـ في القلب الأيسر hypoplastic left heart)**، ويصاب بهذا المرض واحد من كلّ (١٢) ألف طفل في العالم ويموت به.

لكن هذه الآمال ما لبثت أن أحبطت بعد موت الطفلة (فاي)، وخلّفت هذه العملية الجريئة وراءها الكثير من ردود الفعل والضجة، والكثير من التساؤلات التي ما زالت بحاجة لشرح وتفسير، وبعض الأسئلة أجيب عنها بعد أسابيع من موت الطفلة (فاي)، وبعضها ما زال مثار جدال ونقاش إلى الآن، وأول هذه الأسئلة هو: **هل كانت هذه المحاولة الجريئة ذات جدوى أو نفع للبشرية بشكل عام، رغم كل ما رافقها من أحداث؟**، وإذا كانت نتائجها معروفة ومقدرة سلفاً وهي موت الطفلة الحتمي، فلماذا إذن أجريت العملية المحاولة؟، ثم (وفي المقام الأول)، **لماذا يتم استخدام قلب حيوان ليزرع في جسم إنسان؟. وهل لم يكن بإمكان الأطباء الذين أجروا عملية الزرع، استخدام قلب إنساني بدل قلب الحيوان؟. ثم هل إن الأطباء أجروا محاولات تمهيدية ناجحة من قبل لزرع قلب حيوان في جسد إنسان؟. وهل هذه التقنية الثورية الجديدة في عالم الطب قد فُحصت إمكاناتها ودقق في مراحلها وإجراءاتها لضمان السلامة العامة قبل إجرائها؟. وهل أخبر والدا الطفلة (فاي) بأن عملية الزرع هذه ستكون محاولة تجرب في طفلتها لأول مرة. وهل عُرضت عليهما خيارات أو بدائل أخرى؟.**

ثم إن عمليات الزرع مهما كانت، وبالنسبة لأي نوع إنساني أو حيواني، تبقى مجازفة كبيرة ومكلفة جداً، وما يزال الشك في عدم نجاحها أيضاً كبيراً حتى في الكبار، فكيف والعملية تُجرى لطفلة صغيرة تزن بالكاد خمسة أرطال، حوالي (٢,٢٦٨) كيلوغرام ـ يوم العملية ـ. إضافة إلى أن العملية تُجرى في مستشفى لم تجر فيه من قبل أي عملية زرع؟ ثم، وهذا مهم جداً، هل كان قلب **قرد البابون** Baboon سينمو بنفس المعدل في الحجم والإمكانات مع نسب معدلات نمو باقي أعضاء جسدها، ذلك أن قلب البابون، خُلق ليضخ الدم لجسم سينمو لقرد، وليس لجسد إنسان أكبر في الحجم والإمكانات الحركية العضلية والفكرية، وهل عمل الأطباء بهذا مسبقاً وحسبوا حسابه؟، ثم هل حُسب حساب ما سيعترض هذه الطفلة من مشكلات نفسية خاصة بها، ومشكلات عامة بالنسبة للمجتمع الذي ستعيش فيه، وما قد تعانيه من ضغوط مختلفة كونها تعيش بقلب قرد؟، ولكن تبقى هناك حقيقة ثابتة ربما تجيب عن بعض هذه الأسئلة، هي أن الطفلة (فاي) وصلت إلى مستشفى **مدينة (لوماليندا)** وهي على حافة الموت، إذ كانت تعاني من مرض التكوُّن غير السويّ في القلب الأيسر **hypoplastic left heart** الذي لا نُعرف أسباب حدوثه إلى الآن. ويترك هذا النقص في النمو الجانب الأيسر من القلب (البطين والأذين) عديم الجدوى بالمرة في عمليات ضخ الدم


★ الطبيب الجراح الدكتور (بيلي) يتكلم أثناء المؤتمر الصحفي ★


★ الدكتور (بيلي) وفريق الأطباء أثناء العملية التاريخية ★

إلى الجسم ، وضحايا هذا المرض الفطري يكون قدرهم دائماً الموت المحتوم بشكل ثابت خلال أسبوع أو أسبوعين على الأكثر من ولادتهم . هذا ، رغم أن جميع الأولاد المصابون به يولدون بصحة جيدة ، ولكن دون أي أمل في الحياة ، ومثل هذه العمليات التي تُجرى على مرحلتين (نزع قلب ، وزرع قلب) كان قد طورها الطبيب الجراح **(وليام نوروود William Norwood) الذي يعمل الآن في مستشفى الأطفال في (فيلادلفيا)** . وحقق بها نجاحاً محدوداً في مجال تسكين الآلام فقط ولفترة مؤقتة محدودة كبديل ، وإن كان نعمله هذا وجود مؤثر لكنه ضعيف .

المنفّذ الأول للعملية التاريخية

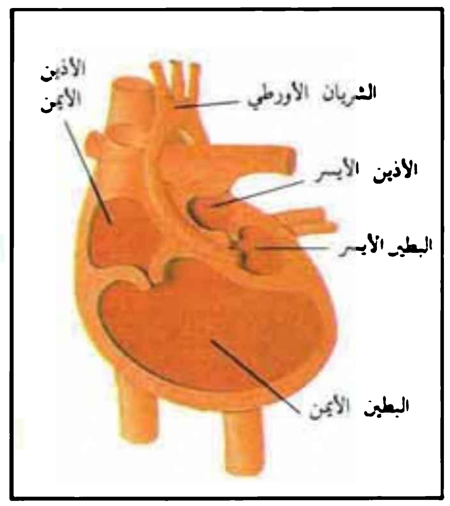
الطبيب الجراح الدكتور (ليونارد بيلي Dr. Leonard Bailey) الذي يبلغ من العمر (٤١) عاماً ، هو رئيس قسم الجراحة القلبية لطب الأطفال في مستشفى (لوماليندا) ، وصاحب فكرة زرع قلوب القردة في الإنسان ، وهو المخطِّط والمنفِّذ الأول للعملية التاريخية التي زُرع فيها قلب قرد البابون للطفلة (فاي) ، وكان رأيه دائماً أنه من الواجب علينا إنسانياً أن لا نترك هؤلاء الأطفال المولودين حديثاً ، ونكتفي بالنظر إليهم وهم يموتون أمام أعيننا دون أي مشاركة من قبلنا ، إذ لا بد من محاولة ، بل محاولات إلى أن نجد الطريق السليم لإنقاذهم من براثن الموت ، والأمر كله لا يحتاج إلا لمضخة بيولوجية Biological Pump لضخ الدم من البطين الأيسر المعطل إلى الجسم ، والتشوه الخلقي في البطين الأيسر للقلب ، لا يسبب إلا هذا الضرر ، فهو لا يضخ الدم ، ولكن هذا مع الأسف يسبب الموت ، وقال الدكتور (بيلي) في مؤتمر صحفي عقد بعد وقت قصير من زرعه قلب البابون للطفلة (فاي) : « إننا لن نترك الناس بعد الآن يكتفون بالفرجة على أطفالهم وهم يموتون » ، كما أنه عاد وكرر هذا الكلام المتفائل في مؤتمر صحفي آخر ، عُقد بعد يوم من موت الطفلة (فاي) ، وكانت قد وصلته آلاف الرسائل المشجعة من الآباء البائسين الذين كانوا قد فقدوا أولادهم نتيجة لإصابتهم بهذا المرض دون أي فرصة لإنقاذهم . والخبرات التي اكتسبها فريق أطباء زرع قلب البابون للطفلة (فاي) ، ستستخدم لتمهيد السبيل لنجاح أفضل في عملية زراعة قلب البابون للطفل القادم . ويقول الدكتور (بيلي) : « إن والدتي طلبت مني أن أستفيد من هذه الخبرات ، ولا أتركها تضيع هباءً ، وأن أعمل جاهداً ، ومهما كانت الاعتراضات التي تواجهني على إنقاذ الآلاف من الأطفال البائسين الذين يولدون ولا أمل لهم بالحياة . وأنا سأكرس نفسي وسأخطط دائماً لتنفيذ هذا المطلب الغالي ما حييت » .

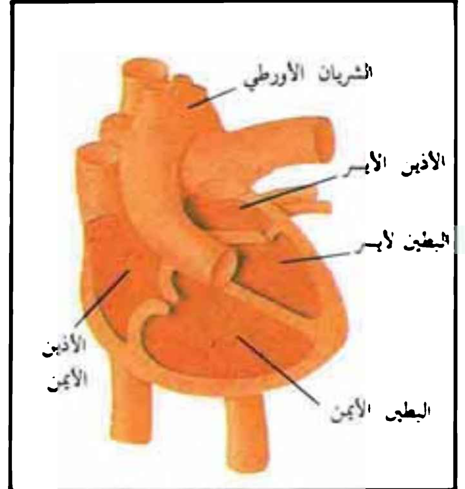
تجارب زرع قلوب الحيوانات

عندما وصلت الطفلة (فاي) إلى مستشفى مدينة (لوماليندا) ، كان الدكتور (بيلي) بعيداً عن سان فرنسيسكو ، وكان لونها شاحباً وتتنفس بصعوبة ، وقد جاءت بها سيارة إسعاف من **مدينة (بارستو Barstow) في كاليفورنيا** ، حيث كانت قد ولدت هناك في منتصف شهر أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٤ م ، وطبيب الأطفال شخَّص حالتها على أنها ضحية مرض التكوُّن غير السوِّي للقلب الأيسر الذي لا شفاء منه ، وأعلنت حالة الطوارئ في المستشفى ، وأعطيت **عقار (البروستاجلاندين Prostaglandin E1)** الموسِّع لمجاري الشرايين ، ليوسع القناة بين الشريان الرئوي والشريان الأورطي ، هذا الممر الذي يخدم النظام الدوري للجنين ، والذي يُغلق بعد الولادة ، ويترك القناة مفتوحة جزئياً صار الدم المؤكسج الآتي من البطين الأيمن للقلب ، قادراً على أن يصل إلى الشريان الأورطي وبقية أنحاء الجسم المحروم من الأكسجين ، وكان هذا علاجاً مؤقتاً استمر بضعة أيام ، بعدها أخرجت الأم الطفلة (فاي) من المستشفى وأخذتها إلى المنزل .

وفور عودة الدكتور (بيلي) إلى (لوماليندا) وعلمه بهذه الحالة ، اتصل مع والدة (فاي) ، وفي ليلة (١٩) أكتوبر (تشرين الأول) ، اجتمع معها وفاتحها بالموضوع ، وقدَّم لها الاقتراح المفاجئ : (زرع قلب قرد البابون الفتي لطفلتها) ، ووافقت الأم البائسة بشرط واحد ، أن تبقى هي ووالدها مجهولي الهوية وأن يكون للطفلة اسم مستعار ، وهكذا كان .

وكان الدكتور (بيلي) يخطط ويحضر منذ زمن طويل لهذه العملية ، التي كانت تشغل فكره على الدوام ، ومنذ سبع سنوات للآن ، أجرى عمليات زرع قلوب بين مختلف أنواع الحيوانات ، زرع قلوب بين ماعز وماعز مولودة حديثاً ، وزرع قلوب انتزعها من الحملان في صغار الماعز ، مع استخدام القليل من الجرعات المحدودة من العقاقير التي تخمد الرفض المناعي للأجسام ،





★ قلب الطفلة (فاي) – إلى اليمين – ويظهر صغر حجم البطين والأذين الأيسرين – وإلى اليسار – يظهر القلب الطبيعي بحجمه العادي ★



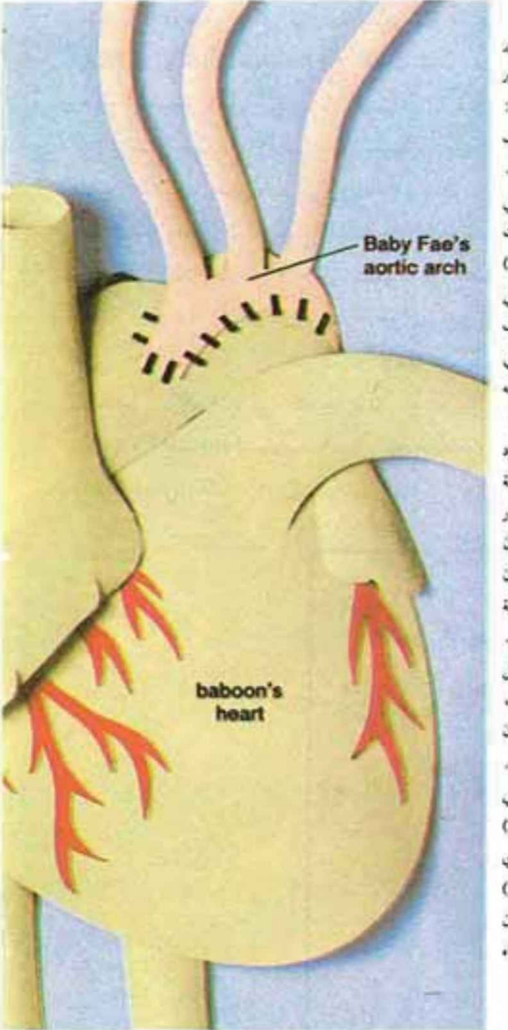
والماعز التي زرع لها قلب حمل عاشت لأكثر من (١٦٥) يوماً، ولم يرفض نظامها المناعي القلب الجديد المزروع لأكثر من ستة أسابيع من بعد عملية الزرع. وكان عمل الدكتور (بيلي) هذا إشارة أولى لإمكانية **التطعيم الغريب Xenograft** غير المحدود بنوع معين من الحيوان، بل من أنواع مختلفة، وإن كانت من حيوان لحيوان. ونجاحه هذا، شجعه أكثر للبدء بزرع قلوب حيوانات لهؤلاء الأطفال الصغار، الذين يموتون عنده ولا يملك حيالهم شيئاً... وكان أن اختار في النهاية (قرد البابون) من بين كل الحيوانات.

ويقول الدكتور (بيلي): «يمكنني أن أثبت فعلياً أن (قرد البابون) هو أفضل مورد لأعضاء الإنسان، وأن زرع قلب البابون للطفل أفضل من زرع القلب الإنساني، إضافة إلى أن قلوب الأطفال حديثي الولادة المتبرع بها تكون نادرة جداً، ذلك لأنه دائماً يكون السبب الرئيسي لموت الأطفال، هو القلوب المشوهة خلقاً، وأيضاً فإنه من السهل جداً، الحصول على قرد البابون الذي يكون مكروهاً في موطنه في قارة إفريقيا، لأنه يتناسل بكثرة وهو في الأسر، بينما نرى مثلاً أن **الشمبانزي والغوريلا والأورانج أوتان** نادرين جداً، ولا يمكن الحصول عليهم بوفرة، وأيضاً هم غير متشابهين مع الإنسان، بينما قلوب البابون تتشابه جينياً بشكل جيد مع القلوب الإنسانية».

وكان الدكتور (بيلي) قد أحضر في الصيف الماضي (١٢) قرد بابون صغير، من مؤسسة الجنوب الغربي للأبحاث الطبية والحيوية في (**سان أنطونيو**)، وأجرى فيها بينها تجارب زرع قلوب كثيرة، وأيضاً أجرى الدم الإنساني في النظام الدوري الدموي للبابون، في محاولة لتحقيق الانسجام الكامل. والوفرة في أنواع الرئيسيات Primates من أنواع القردة، وسهولة الحصول عليها تقدم الإمكانات غير المحدودة لإجراء عمليات الزرع المختلفة لجميع أعضاء الإنسان، وتوحي بمستوى تقني متطور، يمكن التدرب عليه والإقدام عليه دون الخوف من إمكانية أن يوجد العضو البديل أم لا يوجد، ما دامت الأعضاء متوفرة في كل وقت وبكثرة ودون أي مسؤولية، فزرع الأعضاء الإنسانية تواجهه مشاكل كثيرة في وقتنا الحالي على الأقل، فالمتوفر من هذه الأعضاء قليل جداً، لأن المتبرعين بأعضائهم قليلون، رغم كل محاولات الجمعيات الخيرية والإنسانية والطبية، لتشجع الناس على هذا العمل الإنساني النبيل، ورغم انتشار الوعي الكامل بين كل الطبقات، لأهمية هذا العمل لكل إنسان، وأيضاً لأن ما ينتفع به من الأعضاء القليلة المتيسرة المتبرع بها قليل، وذلك بحسب ظروف وفاة المتبرع، وما تكون عليه حالة أعضائه، لأنه قد يُحتاج للعضو في لحظة معينة حرجة للمريض ولا يوجد، ولذلك قد يستخدم الطبيب الجراح العضو المُتاح، ولو كان بأقل درجة من التوافق والانسجام مع حالة المريض، وهذا لا يعطي فرصة كبيرة لإطالة أمد الحياة لمستقبل العضو، إضافة لمضاعفات استخدام العقاقير الكابحة، للرد المناعي للجسم والعقاقير الحاثة المنبهة الكثيرة.

وفي مقابلة صحفية، قال الدكتور (بيلي) لأعضاء الجمعية الطبية الأميركية: «لو افترضنا واستخدمنا القلب الإنساني، الذي يكون حجمه أكبر من حجم قلب قرد البابون ونسيجه ذاتي لا مثيل له، فإن هذا سيرضي كل الناس، ولكن هذا سيبقينا نراوح في مكاننا، ولن نستطيع أبداً أن نتقدم في مجال عملنا، ولا أن نتطور ونرتقي بأساليبنا التقنية، ويبقى هذا على شحيح لا يحقق جزءاً من طموحاتنا الكبيرة»، ويتابع الدكتور (بيلي) قائلاً: «عندما تكون هناك وفرة في أنواع الرئيسيات التي تربى في مزارع خاصة، وبرعاية تامة، يكون أمام الطبيب الجراح خيارات وبدائل كثيرة متوفرة، ويستطيع أن يختار من بين الأعضاء المتوفرة بكثرة، العضو السليم المناسب لحالة مريضه من كل الوجوه، وليحقق التوافق التام بين العضو المزروع وجسم مريضه، كما أنه بإمكانه أن يخطط سلفاً لعملياته بارتياح تام، وأن يسجل مقدماً، وفي سجلات خاصة، كل ما هو مُتاح له من أعضاء سليمة مع شرح لطبيعتها وحالها، وعندما يحتاج لأحدها لا يتأخر في استعماله في اللحظة المناسبة».

وكل أطباء جراحة القلوب توقَّعوا من قبل، أنه سيأتي يوم يتم فيه زرع قلب حيوان لإنسان، وخاصة بعد النجاح الذي حققه العقار الجديد (**السيكلوسبورين** Cyclosporine) الذي يخمد ردود الفعل المناعية للجسم ضد العضو الغريب المزروع، ودون أن يدمر مقدرتها على مقاومة التلوث الذي قد يحصل في الجسم، ولعل هذا أحد الأسباب غير المباشرة، التي شجعت

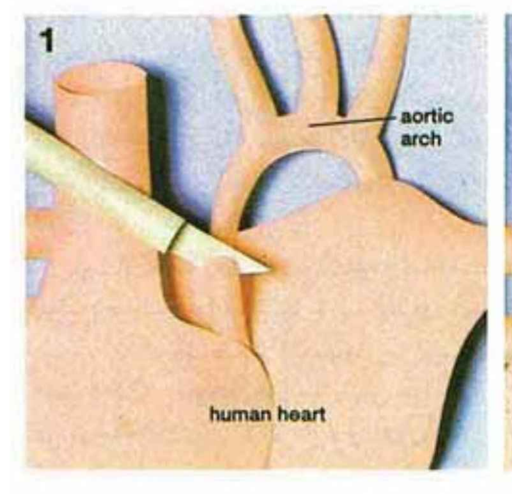


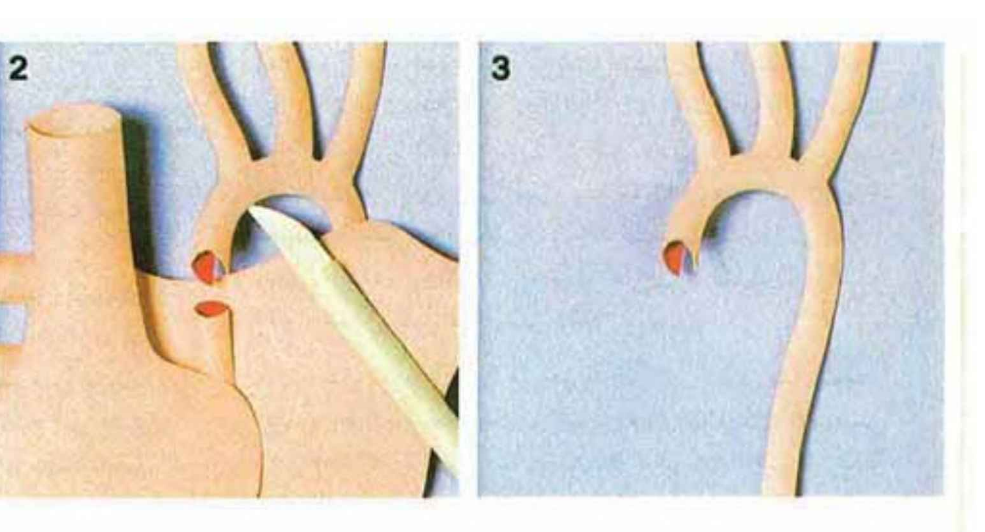
★ هكذا استطاع الدكتور (بيلي) التغلب على كثير مشكلة وتجهيز لعملية تاريخية: (في الأعلى) إجراءات نزع قلب الطفلة (فاي) من صدرها. (١) قطع قوس الشريان الأورطي من بدايته، وفصل ارتباطات القلب الأخرى بنفسه. (٢) شق أسفل قوس الشريان الأورطي للطفلة (فاي). (٣) قلب الطفلة (فاي) المعطل نزع وبقي قوس الشريان الأورطي وعليه تفرعات الشرايين الثلاثة فقط. (في الأسفل) تحضير قلب قرد البابون لزرعه في صدر الطفلة (فاي)، بعد نزعه من صدر البابون. (١) نزع الشريانان اللذان يتفرعان من قوس الشريان الأورطي للبابون. (٢) شق قمة قوس الشريان الأورطي للبابون. (٣) الشق كي يمتد بعد نزع كل الأوعية الدموية التي لا لزوم لها، تمهيداً للصق قوس الشريان الأورطي للطفلة (فاي) عليه. (٤) قوس الشريان الأورطي المنزوع من قلب الطفلة (فاي) يخاط في أعلى قلب البابون الذي سيزرع في صدر الطفلة (فاي) ليجري به الدم المولود من البطين الأيسر ويوزعه على بقية الجسم ★

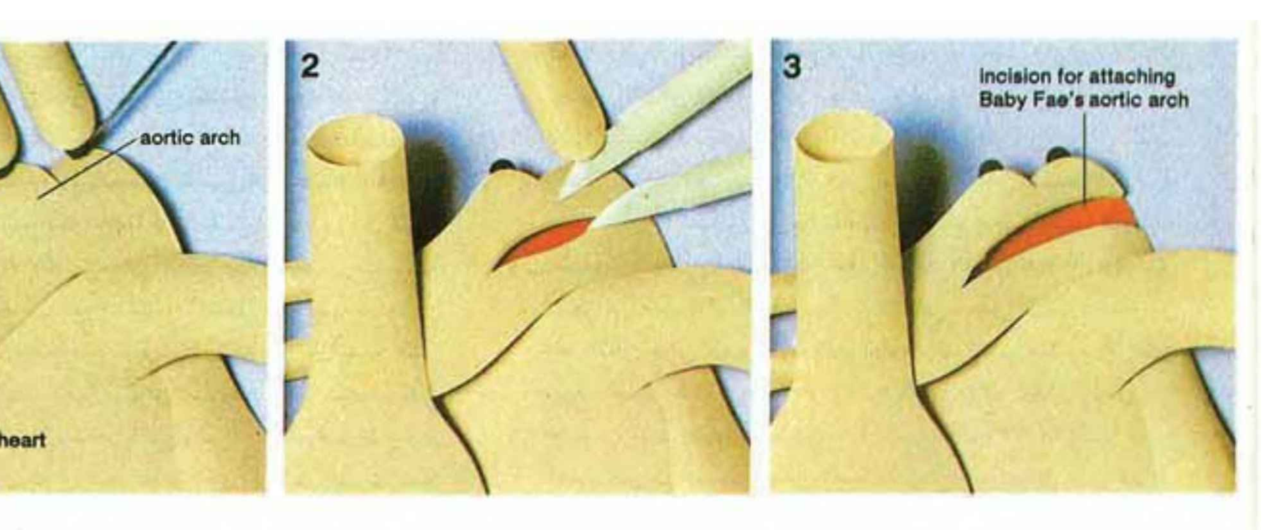
الدكتور (بيبلي) ليكون متفائلاً جداً بإمكانية نجاح زرع قلب البابون للطفلة (فاي). والتجارب الكثيرة التي أجراها على الحيوانات وزرع فيها القلوب بين أنواع مختلفة منها، جعلته يقتنع تماماً بأن الرفض المناعي للعضو الغريب المزروع في أجسام الأطفال اليافعين، يكون بدرجة أقل من الرفض المناعي لأجسام الكبار، وقد خلص إلى رأي أكيد واقتناع راسخ بأن الأنظمة المناعية في أجسام الصغار، تكون أنظمة خام غير مكتملة القوة، وتبدأ في الرفض القوي بعد الولادة والأطفال المولودون حديثاً، والذين أكثرهم يصابون بمرض فشل القلب الأيسر، تكون أنظمتهم المناعية «خام» ليس لها أي قوة لرفض العضو الغريب المزروع. ويقول الدكتور (بيبلي): «أليس هذا هو الوقت اللطيف المناسب لنزرع فيه القلب الجديد للطفل»، ذلك أنه مع التقدم في العمر، يتكيف الجسم الذي تكون مناعته ضعيفة مع العضو الغريب المزروع، ويمكن أن يخدع النظام المناعي للجسم، ويصبح كما لو كان هو العضو الأساسي وليس العضو المزروع، ويقول الدكتور (بيبلي): «إن الوقت الذي فرض علينا لإجراء عملية الزرع لطفلتنا (فاي) لم يكن مناسباً، لأنها ولدت كخديج قبل أوانها الطبيعي بثلاثة أسابيع»، وكان الدكتور (بيبلي) صريحاً جداً مع والدة الطفلة (فاي)، رغم حماسه الشديد لإجراء مثل هذه العملية التي كان ينتظرها منذ زمن طويل وبشغف، وقد أطلعها على أفلام مصورة لعمليات زرع قلوب للحيوانات، كما أكد لها أن المستشفى سيتحمل كافة نفقات ومصاريف العملية الجراحية والعناية الكاملة بالطفلة بعدها، وقد وافقت الأم على كل ما طلب منها وأبدت كل تعاون، ولم تشترط إلا أن تبقى مجهولة هي ووالدها وطفلتها، واتفق الدكتور (بيبلي) معها على تسمية الطفلة باسم (فاي Fac).

موافقة هيئة البورد

لم تتخذ الأم ولا المستشفى قراراً نهائياً، بموعد إجراء العملية، وانتظروا قرار **مجلس هيئة المراقبة (البورد Board) الأمريكية** التي كانت تدرس الأمر بروية وتفكير، وكان أكثر أعضائها الـ (٢٣) مترددين في إعطاء الموافقة على إجراء عمليات زرع قلوب الرئيسيات في الطفل الإنساني، رغم أنهم كانوا قد فكروا ملياً وقلبوا الرأي كثيراً طوال شهور عديدة، ثم أعطوا موافقتهم المبدئية على زرع قلوب قردة البابون للأطفال من البشر، وكان ذلك في شهر ديسمبر (كانون الأول) من عام (١٩٨٣م)، وسمحوا باستخدام خمسة قردة بابون لعمليات الزروع الإنسانية، ولم تقدم الحكومة الأمريكية أي دعم مادي لأبحاث الدكتور (بيبلي) على الحيوانات، ولكن أكثر من (٤٠)









زميلاً طبيباً له قدموا له أكثر من (مليون) دولار من جيوبهم الخاصة خلال السنوات التي استمرت فيها أبحاثه.

وهيئة البورد الأميركية التي درست القضية من جميع جوانبها، أصدرت مذكرة موجزة مشوشة غير واضحة، وإن ذكرت فيها شروط خاصة لإجراء مثل هذه العمليات، منها ملائمة المستشفى لمثل هذه العمليات، وتكوين شخصية الجراح، ومدى قدرته على المضي في تنفيذ إجراءات العملية، ومدى ما توصل في أبحاثه على الحيوان، إضافة لنوعية إيمانه واقتناعه بأن الجسد كيان مقدس قدسية الروح، وأنه يجب عليه أن يحافظ عليه ويصونه من كل عبث لا طائل منه.

وفعلاً كان العامل الأول الذي ساعد الدكتور (بيلي) لنيل الموافقة على إجراء العملية تدينه الشديد، فقد كان عضو كنيسة، ويخدم في معهد ديني في **مدينته (تاكوما بارك)**، وقد حاز على درجته الطبية في **مدينة (لوماليندا)** ويدرّس الجراحة في **جامعة كاليفورنيا**، وزوجته تدرّس التمريض فيها، وقد تبنيا طفلين عمر كلاهما ثلاث سنوات، يقضيان معظم أوقاتهما معها، ويقول عنه زملاؤه إنه يؤمن بالأشياء التي يعملها إيماناً راسخاً، وإنه نشيط جداً، ويوصف بالدينامو لكثرة تحركاته، حتى أن أبواب المستشفى كانت تغلق دائماً بعد نزوله، وكان ينتظر الموافقة على إجراء العملية للطفلة (فاي) على أحر من الجمر.

وبينما كانت هيئة المراقبة (البورد) تضع لمساتها النهائية على البروتوكول المنظم لإجراءات العملية، كانت المريضة الصغيرة تُجهّز للعملية الجراحية بسرعة، بعد أن حُقنت بعقار (السيكلوسبورين) ليخمد سلفاً عمل الكريات اللمفاوية (ت) T - Lymphocytes، وهي خلايا الدم البيضاء التي تعمل على مهاجمة الأعضاء الغريبة التي تزرع في الجسم، ثم بدأت عملية اختيار القلب البديل الموافق أكثر للزرع من بين قلوب قرود البابون الجاهزة في المستشفى، وأثناء أيام ما قبل العملية، تم اكتشاف كبير في عالم الطب.. فقد ثبت أن قلب قرد البابون يكون متوافقاً ومنسجماً مع النسج Tissues الإنسانية أفضل بكثير من بعض القلوب الإنسانية نفسها، وكان هذا بحد ذاته، شيئاً مثيراً أفرزته هذه العملية، وقد وصلت إلى **مستشفى (لوماليندا)** عالمة المناعة immunologist الشهيرة جداً في **المركز الطبي (مونتي فيور)** في مدينة نيويورك **(ساندرا نيلسن كانيريلا - Sandra Nehlsen Cannarella)** لتنتقي القلب الأكثر ملاءمة مناعياً لجسم المريضة من بين قلوب قردة البابون الصغار الستة الجاهزين، التي تتراوح أعمارها بين الأربعة شهور والعام، وقد قررت بسرعة أن الطفلة (فاي) لم يتشكل في جسمها مسبقاً أي أجسام مضادة antibodies ضد نسج البابون، (وواحد من اثنين تقريباً يحمل هذه الأجسام المضادة في جسمه، وربما يكون هذا من بعض ميراث الماضي القديم للإنسان)، وأخذت عينات من نسج والدا الطفلة وأقاربها وبعض الأطباء، وفاعلتهم مع عينات من نسج الطفلة (فاي)، وقد أظهرت نسج (فاي) ردود فعل قوية ضد نسج الأطباء واثنان من البابون، ونسيج قرد بابون واحد، أظهر استجابة أكثر لنسج (فاي)، وكان هو الحيوان المختار، وهو قرد أنثى عمرها عام واحد، ووزنها (٧,٥) باوند، وهي من قردة بابون الزيتون في شرق إفريقيا.

العملية التاريخية

في صباح يوم (٢٦) أكتوبر (تشرين الأول)، كان كل من في المستشفى على أتم الاستعداد، وفي الساعة الـ (٧,٣٠) صباحاً، نقلت الطفلة (فاي) إلى غرفة العمليات في الطابق الثاني من مستشفى (لوماليندا)، لتأخذ مكانها في سجل التاريخ الطبي الحديث، وفي غرفة العمليات فتح الدكتور (بيلي) صدرها وأوصله إلى آلة القلب ـ رئة، التي تؤكسج Oxygenated وتدوّر دمها في جسمها أثناء العملية، وبسرعة برد جسمها وانخفضت حرارتها حتى (٦٨) درجة فهرنهايتية، وهذه درجة حرارة منخفضة تسمى بلغة الطب (معتدل السخونة العويص)، ويمكن أن تسبب مشاكل كثيرة حتى للكبار، ولكن يبدو أن الصغار يتحملون هذه البرودة أفضل، واستخدم الدكتور (بيلي) تقنية خاصة كان قد تعلمها في مستشفى (تورنتو) وأجرى مثلها كثيراً في مستشفى (لوماليندا) لتخفيض عمليات الأيض Metabolism في جسم (فاي)، ثم عالج قدرة جسمها على تحمل تخفيض مستوى جريان الدم. وحوالي الساعة الـ(٩,١٥)، كانت قد انتهت الإجراءات الأولى لعملية الزرع، وحالا نزل الدكتور (بيلي) إلى الدور الأسفل من المستشفى، حيث كان بانتظاره قرد البابون الأنثى المختار، وعاد بعد (١٥) دقيقة فقط إلى غرفة العمليات، حاملاً معه قلب البابون في وعاء صغير به ثلج ملحي مجمّد. وبهدوء، وبثبات، وبدقة تامة، قاد فريق الجراحين في عملية نزع قلب (فاي) المعطّل وأحلّ مكانه قلب البابون السليم.

ثم عمل الدكتور (بيلي) على حل المشكلة الكبيرة التي كان يعلمها، وكان قد خطط لها سلفاً، ذلك أنه يبرز من قوس **الشريان الأورطي** aortic arch أكبر شرايين الجسم الإنساني ثلاثة شرايين، وهي على شكل أنابيب تأخذ من قناة تنحني فوق قمة القلب يجري فيها الدم الوارد من القلب.. ولكن يبرز من قوس الشريان الأورطي لقلب قرد البابون، شريانان مماثلان فقط، وكان أن قطع الدكتور (بيلي) قوس الشريان الأورطي في قلب الطفلة (فاي) من بدايته، واحتفظ به وعليه تفرعات الشرايين الثلاثة الصغيرة، ثم فتح شقاً طولياً من أسفله، ثم شق قمة قوس الشريان الأورطي لقلب القرد، وجاء بقوس الشريان الأورطي للطفلة (فاي) المفتوح من أسفله وألصقه بالشق الذي أحدثه في قمة قوس الشريان الأورطي لقلب القرد. ثم خاطه. (انظر الصورة وشروحها بإمعان)، ثم نزع جزءاً من **الغدة التيموسية** Thymus التي تقع خلف **عظم القص** breast loan التي تسيطر على عمل خلايا الليمفوسيت (ت) المناعي، بأمل أن يساعد هذا على إخماد النظام المناعي لجسم الطفلة الذي بدأت تظهر بوادر عمله، ثم أغلق تجويف الصدر، وعادت درجة حرارة جسم الطفلة لترتفع لمعدلها الطبيعي من جديد، وانتهت إجراءات العملية. وفي الساعة الـ (١١,٣٥) بدأ قلبها الجديد يخفق في جسمها بشكل تلقائي، وهلل وابتهج كل من كان في




★ (إلى اليسار) قرد بابون زيتوني مثل القرد الذي نزع قلبه . (إلى اليمين) الطفلة (فاي) بعد أسبوع من العملية التاريخية ★

المستشفى ، وكل الملايين من الناس الذين تابعوا مجريات العملية . وعلقت العاملة (نيهاسن) بعد أن رأت القلب الجديد ينبض قائلة : «يبدو أنه لا توجد في غرفة العمليات عين حاسدة» .

ردود الفعل في العالم

الأخبار عن نجاح العملية ، أثارت حين إذاعتها مباشرة ، ردود فعل مختلفة جداً في كل أنحاء العالم . واتسمت جميعها بشكل عام بالاستغراب والذهول ، وبعضها وهو الأكثر ، كان يستحسن ويطري ويمدح هذا العمل الجريء العظيم . والبعض الآخر اتصف بالعداء والسخط والتشكك في نتائجها . وأكثر العقلانيين ، من مختلف المستويات ، استحسنوا وامتدحوا هذه المحاولة الجريئة ، وأثنوا على شجاعة وجرأة الدكتور (بيبلي) وفريق الجراحين معه . الذين استطاعوا تحقيق هذا التزاوج الأساسي لنوعين مختلفين من الكائنات الحية ، وإن كانت قد استخدمت من قبل بعض أجزاء من أجسام الحيوانات في أجسام الكائنات الإنسانية ، مثل صمامات الخنازير ، التي استخدمت في قلوب إنسانية . وجلد الخنزير الذي استخدم في جلود محترقة إنسانية ، وغيرها . . . ويقول **(أرثر كابلان) الخبير الأخلاقي الطبي في معهد (هاستنجز)** للمجتمع والأخلاق وعلوم الحياة في (نيويورك) : «إذا هم زرعوا البنكرياس أو الأمعاء ، فهذا لا غبار عليه ، ولا يزعجنا مثلما لو زرعوا قلباً» .

وانهالت مئات المكالمات الهاتفية على الذين أجروا العملية في مستشفى (لوماليندا) ، وكان من الصعب جداً الرد عليها . . بعضها كان يثني على العمل الجريء ، وبعضها كان يذمه . والمعارضون لتشريح الأحياء لأي سبب كان ، والمدافعون عن حقوق الحيوان ، أسرعوا بالتجمع حول المستشفى مع لافتاتهم المنددة وصيحات الاستنكار التي كانت تقول : «ساعدونا على إيقاف هذا التعذيب للحيوان» ، «الغول قتل البابون والطفلة (فاي)» ، وأيضاً هذه العملية أثارت غضب بعض أعضاء المؤسسة الأمريكية الطبية . وعلق **أخصائي الزرع (جون ناجاريان John Najarian) من جامعة مينيسوتا** قائلاً : «إن كل شيء نعرفه ، يشير إلى أن القلب المزروع الجديد سيفشل ، والعملية ستطيل أمد الحياة ليس إلا» ، وعلماء آخرون ذكروا أنه حين زرع فريق المركز الطبي في جامعة الميسيسبي بقيادة **الطبيب الجراح (جيمس هاردي)** قلب شمبانزي لإنسان عمره (٦٨) عاماً ، عام (١٩٦٤ م) ، توفي بعد (٩٠) دقيقة فقط ، وأن مريضين من جنوب إفريقيا عاشا مدة أطول ثم ماتا بعد أن زاوج رائد عمليات زرع القلب الطبيب الجراح **(كريستيان برنارد)** بين أعضاء قردية وقلبيهما الفاشلين في إجراء سمي ـ Piggy backing ، وكانت هناك أيضاً أصوات تشجيع كثيرة من علماء باحثين .

ويقول **الطبيب الجراح (هاردي ويليام دي فريس)** زارع القلب الاصطناعي الأول (جارفيك ـ ٧) في صدر **(بارني كلارك)** ، والقلب الاصطناعي الثاني في صدر **(وليم شرودر)** : «نحن نتعاطف معهم جداً ونتمنى أن يستمروا في عملهم الإنساني النبيل هذا» .

وفي مستشفى (لوماليندا) ، كانت الطفلة (فاي) منتعشة ، وتعيش بأحسن حال بقلبها الجديد ، تضحك وتلهو وتلعب . **وعالمة القلب (روبين دوروشو)** التي كانت قد أعلنت من قبل ، أن العملية لن تكون أكثر من إطالة أمد الحياة ، وإبعاد الموت لفترة قصيرة ، عادت حين رأت الطفلة (فاي) بعد انتهاء العملية وأعلنت قائلة : «إن الطفلة تبدو فعلاً صحيحة الجسم وأجمل مما كانت» .

وعاشت (فاي) أياماً بعد العملية كأي طفل في عمرها ، دون التأثر بأي عارض ، تنام وتأكل مثل بقية الأولاد ، وتتفاعل وتتجاوب عاطفياً مع والديها وأفراد أسرتها دون أي عائق . وفي أول مؤتمر صحفي حول العملية ، قال الدكتور (بيبلي) : «في رأيي أن العملية لن تطيل أمد الحياة فقط ، ولكن هل ستموت (فاي) خلال أسابيع أو أشهر؟ هذا السؤال على كل حال ، كنا نسأله أيضاً بعد أي عملية كنا نجريها» . ثم عاد الدكتور (بيبلي) بعد انتهاء المؤتمر الصحفي إلى غرفة (فاي) ، حيث استمر في أداء صلواته ، وليأخذ سنة نوم قصيرة على كرسيه . والفريق الطبي الذي أجرى العملية ،



كان بكامله ملتفاً حول (فاي) ليراقب جرعات السيكلوسبورين والستيرويد الكابح لردود الفعل المناعية الذي يدعى بـ (ميثيل بريد نيسولون Methylprednisolone) والمضادات الحيوية antibiotic لمقاومة التلوث، وليراقب ويسجل بصورة مستمرة، ردود الفعل المناعية وعمل القلب الجديد، ووضعت (فاي) تحت ظلة مدفأة ليبقى جسمها في درجة حرارة ثابتة هي (٩٨°) درجة فهرنهايتية على الدوام، إضافة لمروحة تهوية لتزويدها بالأكسجين اللازم، وعندما زارتها أمها حملتها بين ذراعيها وصارت تدللها وتلاطفها، ثم وضعتها في كرسي مجاور لها وصارت تهزهزها، ثم خرجت بها إلى غرفتها الخاصة، ووضعتها لتلعب بدميتها الكثيرة وألعابها التي جاءتها كهدايا، وأيضاً وضعت بين يديها آلاف الرسائل التي وصلتها من المعجبين الكثيرين الذين يطلبون يدها منذ الآن.

ورغم نجاح العملية، إلا أن أفراد الفريق الطبي في مستشفى (لوماليندا)، كانوا مترددين في إظهار مدى ما نجحوا فيه، لأن احتمال رفض القلب الجديد ما زال وارداً. وفعلاً بدأ الرفض المناعي خلال عطلة نهاية الأسبوع في يومي (١٠) و (١١) نوفمبر (تشرين الثاني). واستطاع الفريق الطبي إيقافه بالعلاج، ولكن كليتا (فاي) بدأتا تفشلان في أداء مهامهما الحيوية، وبدأت أيضاً تظهر المضاعفات العامة لما بعد العملية، ومساء يوم الخميس (١٥) نوفمبر (تشرين الثاني)، توقف عمل الكليتان تماماً. وفي الساعة التاسعة تماماً من نفس اليوم، توقف القلب المزروع عن الخفقان، وماتت (فاي) الطفلة البريئة، ولكن لم يمت الأمل.

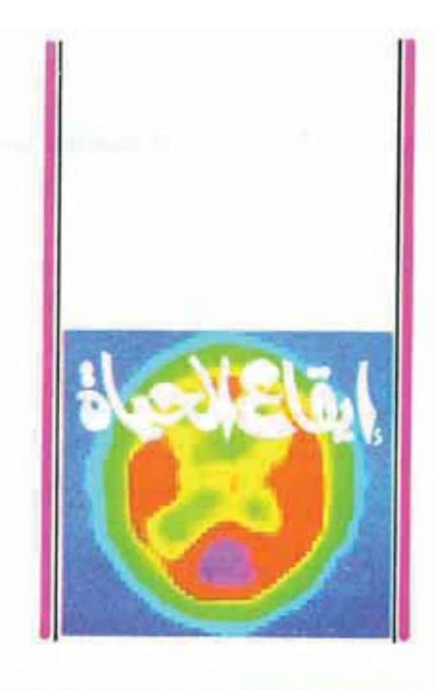
وفي المؤتمر الصحفي الذي عقد في اليوم الثاني لوفاة (فاي)، كان الدكتور (بيلي) مرهق الأعصاب تماماً، وقد بدا عليه الانفعال والتأثر العاطفي الشديد، وذلك بعد كل التفاؤل الذي كان قد أبداه قبل وبعد العملية، وكان قد أعلن بعد العملية أنه من الممكن أن تعيش (فاي) عمراً مديداً قد يصل إلى (٢١) عاماً بقلبها الجديد حتى بدون جراحة أخرى إضافية.

ورغم ذلك، لم يعترف الدكتور (بيلي) بالفشل، واعتبرها محاولة أولى، وتعهد بأنه سيحاول مرة ثانية عما قريب، وإن سلّم بأن الأمر ما زال بحاجة لدراسات متأنية وتجارب أكثر، مع الحذر والحرص والاستفادة من الخبرات الكثيرة التي حصلوا عليها من التجربة الأولى، هذا مع العلم **بأن الكثير من العلماء ما زالوا يصرحون بأنه لا فرصة بأمل لنجاح زرع عضو غريب من (نوع آخر) في جسم الإنسان**. ويقول جراح القلب الشهير **(مايكل دبغي) عميد كلية طب بايلور**، وأحد الرواد الكبار لعمليات زرع القلوب: «يمكنني أن أتخيل أن مثل هذا سيحدث ثانية، ولكن يجب الاستفادة من خبرات العمل الأول، رغم أنه لا يوجد للآن مبرراً لزرع عضو غريب في جسم الإنسان، إلا كبديل مؤقت إلى حين أن يزرع العضو الإنساني المناسب». **والدكتور (جون كوبر) رئيس اتحاد المعاهد الطبية الأمريكية** يؤكد ويشدد على الحاجة الملحة التي استدعت إجراء عملية الطفلة (فاي)، ولكن يشترط أن لا يجرى مثلها إلا إذا كان الطفل مصاباً بمرض (التكون غير السوي في القلب الأيسر)، ويقول: «إذا كنا لا نستطيع عمل أي شيء للطفل المصاب بهذا المرض، وسنتركه يموت أمام أعيننا، فلماذا لا نجرب إعطاءه فرصة للحياة، خاصة وأن احتمال إيجاد القلب المناسب المتبرع به احتمال بعيد جداً، حتى أنه يمكن في هذه الحالة، أن يقدم قلب البابون المساعدة المناسبة لإطالة أمد الحياة إلى أن نتمكن خلال هذه الفترة، من إيجاد القلب الإنساني اللازم». ويقول (كوبر) أيضاً: «على كل حال، علينا جميعاً أن نحاول، ونحن أهل الطب، حاولنا خلق الفرص المناسبة بتجربة الأشياء التي تبدو كأنها في منتهى الجرأة والتحدي، وهدفنا مساعدة الناس المعذبين، وزرع الكلى والقلوب ما كان لينجح لو لم نتجرأ ونجرب ونتحدى، وكلنا يذكر كحقيقة ثابتة، أن الناس الأوائل الذين زُرعت لهم قلوب جديدة لم يبقوا على قيد الحياة أكثر من أسبوعين أو ثلاثة، فما المانع إذن أن تكون المحاولة الأولى لزرع قلب البابون في صدر الطفلة (فاي)، بنفس مستوى المحاولات الأولى لعمليات زرع القلوب الإنسانية، ولكن للحقيقة فقط، فإنه يجب علينا جميعاً بعد زرع العضو الغريب، أن نحاول فهم كل ما جرى أثناء العملية، وأثناء الحياة القصيرة التي عاشتها (فاي) بقلب البابون بعد العملية، وأن نحلل كل المعطيات والأسباب، وأن نفهم كل ما حدث. وإن كانت المشاكل الطبية التي اعترضت عملية زرع العضو الغريب، لا تخرج عن إحدى المشاكل الطبية الشائكة التي نواجهها كل يوم، وفي حالة الطفلة (فاي)، زادت هذه المشاكل الاعتراضات العاطفية من الناس، الذين رحموا الحيوان ولم يرحموا الإنسان».

وخلال الأسابيع الثلاثة التي عاشتهم الطفلة (فاي) بقلب البابون، دخلت قلوب كل الناس الذين راقبوا حالتها ساعة بساعة من على شاشات التلفزيون في كل أنحاء العالم.. كانت تنام، وتمص الحليب من الزجاجة كأي طفل عادي، وتتحرك في سريرها، ولا تُبدي أي إشارات لألم أو انزعاج، ولم يتعجب كل الناس الذين شاهدوها وشاركوها فرحتها خلال حياتها القصيرة التي عاشتها بقلب البابون، ولكن كانوا فقط يتساءلون فيما إذا كان قلب البابون سيبقيها على قيد الحياة لعمر طويل تمنوه جميعهم لها.

ولكن هذا لم يحدث، وتوفيت (فاي). فهل كانت هذه المحاولة تستحق كل هذا الجهد؟، وهل كان من الضروري إضاعة كل هذا الوقت، وبذل كل هذا العناء، وصرف كل هذه الأموال، من أجل إنقاذ حياة طفلة ليس لديها إلا فرصة ضئيلة للبقاء على قيد الحياة، خاصة نحن نعيش في عالم يموت فيه الملايين من الأطفال كل عام من الجوع؟

قد لا يكون هذا ضرورياً فعلاً، بالنسبة لحياة طفل واحد عزيز (كما وصف الدكتور بيلي)، ولكنه قد يكون هذا هاماً جداً، وقيماً بالنسبة لحياة الملايين من الأطفال، الذين يموتون كل عام في العالم بهذا المرض، الذي لا سبيل إلى الشفاء منه. ويقول **الدكتور (آلدو كاستينيدو) رئيس جراحة القلب في مستشفى الأطفال في المركز الطبي المشهور في (هيوستون)**: «إن الذي يحمل رسالة الإنقاذ، يلزمه أن يكون شجاعاً، ولو أن الطفلة (فاي) تحسن حالها وعاشت طبيعية بقلبها الجديد، لقلنا عن (بيلي) ورفاقه إنهم فعلاً أبطال، ولكننا نحن نتمنى أن يكونوا كذلك رغم كل ما حدث».



كيف تتشكّل شقوق الوحل الجميلة ؟

عندما يجف وحل Mud السهول ، فإن هذا يخلق تشكيلات ونماذج هندسية رائعة التركيبات منتظمة مدهشة ، وهذه التشكيلات والتراكيب التي نسميها بالصدوع أو الشقوق Cracks تنشأ في السهول الصغيرة المساحة أو السهول الواسعة الكبيرة على السواء .

ولكن كيف تتشكّل هذه الشقوق الجميلة الشكل والهيئة ؟ .

عندما يكون السهل طينياً موحلاً لا تتواجد هذه الشقوق ، ولكن عندما يتبخّر الماء منها بفعل التأثيرات الجوية والحرارة ، فإن الوحل ينكمش Contract ، وانكماش الوحل هذا ، يخلق بدوره شدّاً tension منتظماً متماثلاً في كل منطقة الوحل ، وبتأثير الشد هذا تفتح الشقوق فيها ، والمادة الوحلية على جوانب كل شق تضغط بصورة عمودية Perpendicular على طول امتداد الشق ، والطريق الأسهل للتخلص من هذا الضغط يكون بفتح شقوق جديدة تكون في الجوانب اليمنى للشق الرئيسي الأول .

هذه العملية المتكاملة تحدث في كل سهل الوحل معاً ، وفي وقت واحد ، وتكون النتيجة هذه النماذج والتركيبات الهندسية المختلفة المنوعة والمعقدة الأشكال والكثيرة الأضلاع والزوايا ، مثل التي نشاهدها في الصورة ، وهي لسهل وحل كبير واسع ممتد جفّ ماؤه ، واتساع بعض هذه الشقوق ربما يصل عرضه إلى متر واحد وعمقه إلى ضعف ذلك .

اكتشافات علمية

التيارات الهوائية حول مكوك الفضاء

هـذا النموذج الـكمبيوتري لمكوك الفضـاء ، يُـظهر المكوك وهو يمخر عباب السماء بسرعة ٥٧٠٠ ميل في الساعة ، بعـد دخـوله إلى الغـلاف الجـوي للأرض ، على ارتفاع ٢٦ ميلاً فوق سطح البحر . . .

وبإمكانك أن تتخيـل كل خط أبيض أو أحمر على أنه صورة يمكنك التقاطها ، إذا أطلقت كرة لتنس الطاولة في مهب الريح بعد وصْلها بشيء يمكنه تتبع مسارها عندما تسبح عابرة المركبة .

ولعمل هـذا النموذج ، قـام عـالمان مـن علماء **ديـنـاميكا السـوائل** في إدارة الفضـاء والطيران الأمريكية «**نـاسا**» باستخدام أحد الـكمبيوترات (الحـاسبات الآليـة) الهـائلة السرعـة والسـعة مـن طـراز «**كراي**» CRAY SUPER-COMPUTER لعمل فيلم لمحاكاة Simulation سريان الهواء ، حول المكوك أثناء انزلاقه في الغـلاف الجـوي لـلأرض . . . والحـاسب الآلي الـذي تم اسـتخدامه لا تمتلك مثله في الـولايات المتحـدة إلا مؤسسات تعد على الأصابع ، فبالإضافة إلى نـاسا ، يـوجد حـاسب آلي مماثل في جـامعة **مينيوسوتا** ، وفي وزارة الـدفاع الأميركية وحفنة أخرى قليلة من الجامعات المرموقة .

ويهـدف الفيلم إلى البحث عن الـوسائل العلمية المناسبة لتحسين وتطوير التصاميم الحـالية للمكوك ، والسـفن الفضـائية الأخـرى المزمـع بنـاؤها . . . فالخطوط الـدوّامية الحمراء فـوق

اكتشافات علمية

طـب
Medicine

اكتشاف مادة طبيعية تنمّي الأوعية الدموية

يقول أربعة علماء باحثين من كلية الطب بجامعة (**بوسطن**) ، إنهم اكتشفوا مادة طبيعية تساعد الأوعية الدموية Promote blood vessels الجـديدة على النمـو السريع ، ومحفّز النمو المثير هذا ، يمكنه أن يساعد المرضـى الـذين يعـانون مـن أمـراض القلـب والسكتة الـدماغية ، ويمكن أن يكون نافعاً حتى لعـلاج مـرضى السرطان .

وفـريق العلماء البـاحثين في جامعة (بوسطن) الـذي يـرأسه الطبيب الجرّاح (**هاري . س . جولدسميث** Harry. S. Goldsmith) حقنوا هذه المادة الطبيعية الـتي استخـرجوها مـن غشـاء الأمعـاء الشحمـي Omentum ، وهـو الغـلاف الـذي يغطّي الأعضاء في بـطون الحيـوانات والبشر ، **لقطة** ، في قـرنية Cornea عين **أرنب** ، واختبرت قرنية عين الأرنب لإجراء التجربة



اكتشافات علمية

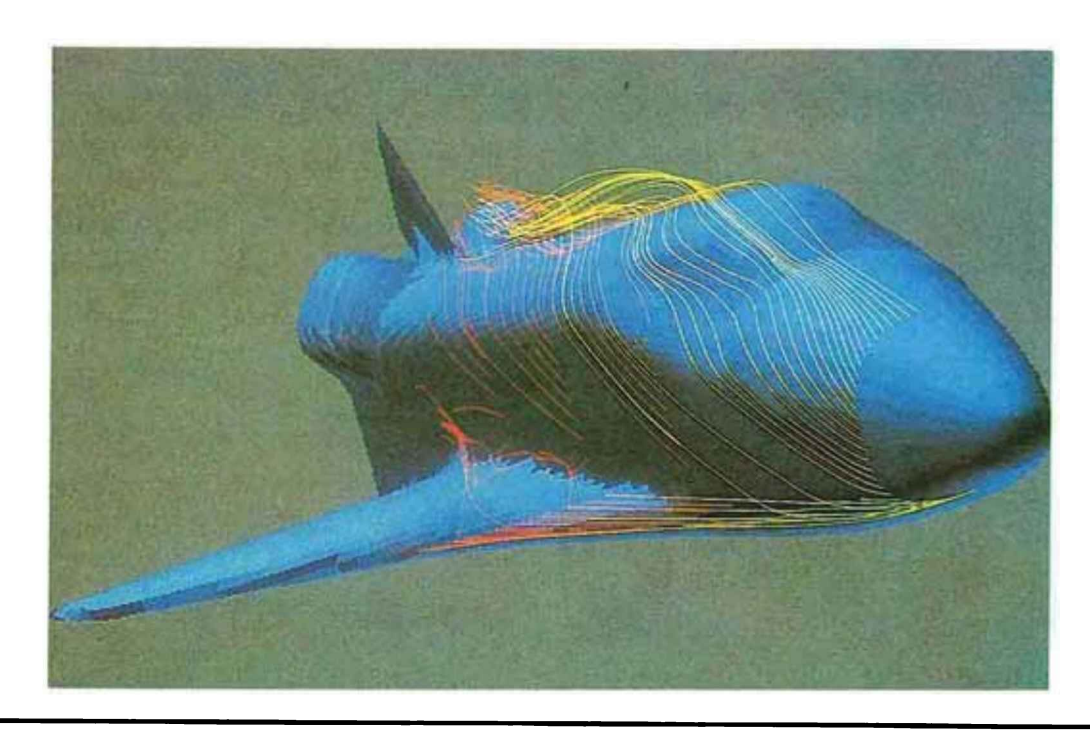
سر تكوُّن الأمطار

يعتقـد أحـد الفـيزيائيين المختصين بـالغلاف الجـوي ، أنـه توصل إلى **سر تـكوّن قـطرات المطر** . . ويقول إن مـا يحتـاجه الأمر هو قليل من غاز **الرادون** Radon . . . وهذا البـاحث هـو **جـورج فـريار** George Freier مـن جـامعة **مينيسـوتا** الأميركية ، University of Minnesota ، ينبعـث مـن تحلل اليـورانيوم الموجـود في الـطبيعة ، **يتفاعل مع غاز النيتروجين والأوكسجين في الهواء** ، مما يؤدي إلى تكوين أيونات مشحونة بشحنات سالبة وموجبة . . .

أما الأيـونات السـالبة الـتي تتميّز بقـدرتها الحـركية الأكبر ، فإنها قابلة للامتصاص والتصادم مع ذرات الـرذاذ في السحب ، مما يؤدي إلى شحن هذا الـرذاذ بشحنة سالبة . ولأن المائة مليـون ذرة رذاذ الموجـودة في كل مـتر مكعب من السـحب ، لهـا نفس الشحنة ، فـإنها تبـدأ في التنـابذ عـن بعضـها البعض بـدلا مـن التجمع مـع بعضـها البعض

منطقة الجناح ـ على سبيل المثال ـ تمثل دوّامة من الهواء تصب في قناة واحدة .. من شأنها دفع تيار قوي من الهواء باتجاه مؤخرة المكوك .. وهذا يُفسر **لماذا تتعرض البلاطات الحرارية العازلة المتواجدة على سطح المكوك ، في هذه المنطقة بالذات ، للتلف عند دخوله إلى الغلاف الجوي** .

* *



عليها ، لأنها تخلو تماماً من الأوعية الدموية ، وقد ظهرت في قرنية عين الأرنب بعد ثلاثة أيام من حقنه بهذه المادة **شبكة كثيفة مركّبة من الأوعية الدموية الجديدة** .

ويقول الطبيب الجراح (جولدسميث) إنه من المدهش أن نتعرف على آلية عمل هذه المادة ، وكيف تحفّز نمو الأوعية الدموية ، وإننا عندما عزلنا مثيرات نمو الأوعية الدموية الأخرى ، **لم نجد ولا واحداً منها قام بعمل هذه المادة الجديدة السريع والفعّال** .

وإنه طالما يكون غشاء الأمعاء الشحمي في البطن ، فإن هذه المادة المحفزة لا تتوفر بكثرة ولا تعمل ، ولكن حينما نحصل على المادة من غشاء الأمعاء الشحمي خارج البطن ، فإن المادة تتوفر بكثرة ، وتقوم بعملها المحفز لنمو الأوعية الدموية بشكل يثير الإعجاب والدهشة ، وهذا يجعلنا أكثر حيرة .. والعلماء الآن يجرون التجارب الكثيرة ، في سبيل معرفة ماذا يوجد في هذه المادة الجديدة من محفزات ، حتى تقوم بعملها المساعد على النمو هذا .

ويمكن للمادة الجديدة أن تزيد من جريان الدم في الأوعية الدموية التي تنسد جزئياً أو كلية بالنسبة **لمرضى القلب ، والسكتة الدماغية** . وأيضاً يمكن أن تساعد في مقاومة السرطان ، ويقول العلماء الباحثون إنه يمكن استخدام مضادات الأجسام Antibodies لتثبّط نمو الأوعية الدموية حول الورم الخبيث ، وتوقف تزويده بالدم .. **ونشاهد في الصورة كيف نمت الأوعية الدموية بوفرة في عين الأرنب ، وذلك بعد (١٠) أيام من حقنها بالمادة المكتشفة الجديدة** .

لتكوين قطرات المطر .

ولكن غاز الرادون أيضاً ، يتحلل بدوره إلى ذرات **بولونيوم** Polonium ... وأيونات البولونيوم هذه تمتصها حبيبات الرذاذ أيضاً ... وعندما يتحلل البولونيوم بدوره ، فإنه يُطلق مئات الأيونات الموجبة في كل ذرة رذاذ .

وهكذا يكتسب الرذاذ شحنة موجبة ، مما يؤدي إلى انجذاب ذراته إلى الرذاذ السالب الشحنة ، وعندها يأخذ الرذاذ في التجمع لتكوين حبات المطر .

وفي آخر الأمر ، تمتص الحبيبات كمية كافية من حبيبات الرذاذ السالبة الشحنة حتى تتعادل ، ولكنها في هذه اللحظة تكون قد ازدادت في الحجم ، فتبدأ في التساقط مصطدمة مع الحبيبات والقطرات الأخرى في طريقها .

ويعتقد بعض العلماء الآخرين أن قطرة المطر تتكوّن حول حبيبات من الثلج في الغلاف الجوي ... ولكن **فريار** يقول إنه لا يوجد إلا حوالي ٦٠٠ أيون من أيونات البولونيوم في المتر المكعب الواحد من السحاب ، وبالتالي فكل متر مكعب لا ينتج عنه إلا ٦٠٠ قطرة مطر .

* *



اللوحة :

الربيع

● خلق الله الكون .. الطبيعة .. الإنسان ، ولما كانت الطبيعة من خلق الله المبدع الأعظم ، لذا فهي تحتوي على قوانين الجمال الكامن في أعماقها ، والفنان هو الإنسان المبدع الذي يرى هذا الجمال ، ويكتشفه ، ويعبّر عنه .. وفي اللوحة المعروضة تعبّر الفنانة كلير شوفولو عن أحد مظاهر الطبيعة الخلابة ، وهو مشهد من فصل الربيع .. هذا الفصل الذي تتفتح فيه الأزهار ، وتورق الأشجار وتثمر .. وتزخر الطبيعة فيه بجمال الألوان .

● موضوع اللوحة «الربيع» ، ومضمونها التعبير الفني والعاطفي كأسلوب معارض للبحث التقليدي عن القيم الجمالية في الخلق الفني ، وإبراز جمال الطبيعة ، والدعوة لتأملها وتأمل ما حولنا من جمال ، لتشارك الفنانة رؤيتها للجمال وأحلامها . هذا الجمال الذي تقع عليه أبصارنا يومياً دون أن نراه حيث تأخذنا مشاكلنا ومشاغلنا فتحول دون رؤيتنا له .

● أسلوب اللوحة يميل إلى الرومانسية ، وألوانها تبث البهجة والسرور والأمل في المتلقي ، وتزيل أصداء القلق ومتاعب الحياة . كما تعبّر عن سحر الطبيعة وجمال الأزهار التي يفوح منها رحيقها .. والألوان بصفة عامة نقية لها طبيعة نغمية ، كأنها مقطوعة شعر لونية أو سيمفونية من الألوان ذات الهارموني الواحد والمتضاد .

● التكوين في اللوحة راسخ البناء ، ويقوم على التوازن بين التشخيص والطبيعة ، والتشكيل يقوم على التباين اللوني . فساحة الأزهار والأشجار الداكنة «الغامقة» التي تمتد في وسط اللوحة من أسفل إلى أعلى على وتر مثلث المستطيل «بعدي اللوحة» ، تتوازن مع المساحات اللونية الفاتحة في المشخصات «النساء» ، والطبيعة في الخلفية .. كما أن هذا التشكيل يعتمد على عنصر الإيقاع «النغم الموسيقي في اللوحة» .

● تصور الفنانة العنصر البشري في اللوحة كجزء من جمال الطبيعة ، وهو هنا المرأتان اللتان ينبعث منهما الجمال والسحر والغموض ، وهما في حالة تأمل واستغراق وتفكير لإعطاء الحس الدرامي في اللوحة .. كما استخدمت الفنانة الخطوط المنحنية لتأكيد الرقة والنعومة ولتحرك عين المتلقي بسهولة في جميع أجزاء اللوحة ، وتتميز هذه الخطوط بالقوة في الرسم .

الفنانة :

كلير شوفولو

● ولدت في سورية عام ١٩٤٤م ، ونشأت في لبنان ، وعاشت في فرنسا ، وحصلت على الجنسية الفرنسية .

● تلقت دراستها الفنية في الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة (ألبا) في بيروت ، وأنهت دراستها عام ١٩٦٨م .

● تابعت دراستها الفنية العالية في معاهد باريس الفنية ، واستقرت في باريس لتعبّر عن الطبيعة الفرنسية الخلابة .

● ساعدتها المنظمة الثقافية الفرنسية في إقامة سبعة معارض شخصية للوحاتها الفنية في جاليري بطرس بلبنان في الفترة من عام ١٩٧٧م ، إلى عام ١٩٨٢م ، وكان محور تلك المعارض أو الموضوع الغالب على لوحاتها هو الطبيعة ، إضافة إلى فن الصورة الشخصية «البورتريه» .

● أقامت «جاليري» خاصاً بها في لبنان ، تعرض به معظم لوحاتها ، وقد كتبت على الجاليري «ريشتي جعلتني أندمج في الطبيعة وهي الوسيلة الوحيدة للتعبير عن روائع الفصول» .

● اشتركت في عدة معارض في فرنسا .

● أقامت معرضاً شخصياً لأعمالها الفنية في المملكة العربية السعودية «الرياض» عام ١٩٨٥م ، «صالة الزخرفة الحديثة» .



★ هل يأتي على الإنسان الآلي وقت يزعق فيه مثل هذا المغني ؟ ★

الخادم الآلي .. وعالم المستقبل

بقلم : د. سعد الحاج بكري

غاية هذا المقال ، هي إلقاء الضوء على الإنسان الآلي ودوره في عالم المستقبل . وفي سبيل ذلك ، يشمل المقال :

أولا : استعراضاً لأسطورة الإنسان الآلي ، وتطوراته ، وعناصره الأساسية ، واستخداماته منذ ظهوره حتى الوقت الحاضر .

ثانياً : على مناقشة لأثر هذا الإنسان الآلي ، وخدماته المتطورة ، وإمكاناته المتزايدة ، على حياة الإنسان في المستقبل .

ويقدم المقال أخيراً وجهة نظر حول إمكان تحول عبودية الإنسان الآلي للإنسان نفسه إلى عبودية بالاتجاه المعاكس .

قصة الإنسان الآلي .

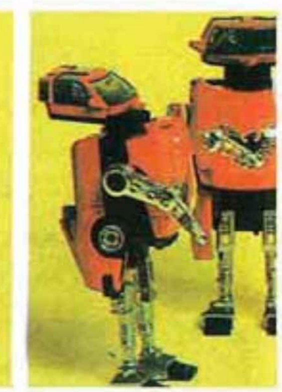
الاسم المعتمد للإنسان الآلي في اللغات الأجنبية الرئيسية ، هو « **الروبوت** : Robot » . ويعود أصل الكلمة إلى **اللغة التشيكية** ومعناها « عامل » . وقد انتقلت هذه الكلمة إلى اللغات الأجنبية الأخرى عن طريق مسرحية تشيكية شهيرة ، تحمل هذه الكلمة في عنوانها . والمسرحية

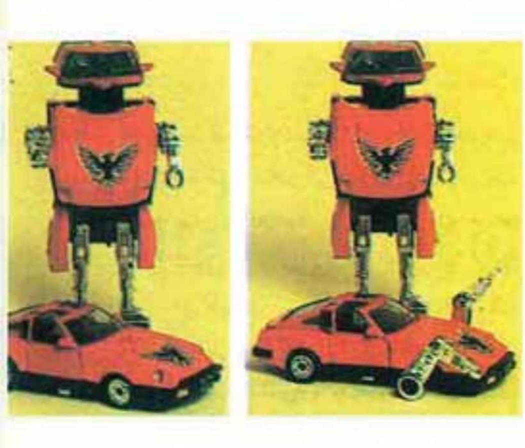
★ « خادم آلي » متحرك يسير على عجلات ★



من تأليف « **كارل كابيك** » ، صدرت عام ١٩٢٣ م ، وترجمت إلى لغات كثيرة أخرى ، مع الإبقاء على كلمة « روبوت » دون تغيير .

وقد استخدمت كلمة « روبوت » بعد ذلك ، لتعني العامل أو الخادم أو الإنسان الآلي ، في كثير من قصص الخيال العلمي . ولعل أشهر تلك القصص ، القصة التي كتبها الكاتب الأمريكي ، السوفييتي الأصل ، **إسحاق عظيموف** عام ١٩٥٠ م ، بعنوان « **أنا إنسان آلي** : I Robot » . وقد وصل خيال الكاتب في تلك القصة إلى درجة تُصوُّر إنسان آلي يتطور في إمكاناته من أداء حركات ميكانيكية محدودة ، إلى أن يصبح مع الزمن قادراً على تنفيذ أعمال معقدة ،



من بينها الدراسة والبحث واستخلاص القرارات والآراء السديدة .

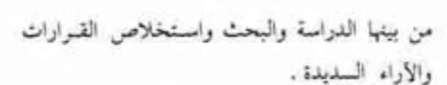
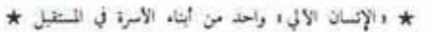
ومع التطور العلمي والتقني المتسارع ، انتقلت فكرة الإنسان الآلي من خيال يسبح فيه كتّاب القصص والأساطير ، إلى هدف عملي يسعى الباحثون والمهندسون من أجل تحقيقه . ويمكن صياغة هذا الهدف على أنه « **إيجاد آلة ذاتية التحكم تستطيع القيام بأعمال الإنسان نفسه في شتى المجالات بكفاءة مرضية** » .

ويحدّد هذا الهدف المعنى العلمي للإنسان الآلي . وقد بدأ هذا الهدف يتحقق ، بشكل محدود ، في الستينات من هذا القرن الميلادي ، ومنذ ذلك الحين ، شهدت تقنية الإنسان الآلي تقدماً مطرداً زادت معه قدرات هذا الإنسان العجيب على أداء أعمال متزايدة التعقيد ، كما اتسعت أيضاً مجالات تطبيقاته .

ولعل أهم تطبيقات الإنسان الآلي في عالم اليوم ، عمله في الصناعات المختلفة عامة ، وفي صناعة السيارات بصورة خاصة . **ففي العالم اليوم أكثر من عشرين ألف إنسان آلي يعملون في المصانع** ، ثلثهم تقريباً **في الولايات المتحدة الأمريكية** ، ويتوزع الباقي بنسب مختلفة ، على **اليابان** ودول أوروبا الغربية والشرقية . وتكاد حصة باقي الدول ، في هذا المجال ، تكون معدومة .

ومن الأعمال التي يقوم بها الإنسان أو العامل الآلي في المصانع ، شحن وتفريغ الأفران المعدنية ، وهي أعمال تتسم بالخطورة الشديدة على حياة وصحة البشر ، الذين كانوا أو ما زالوا يعملون بها . وتشمل هذه الأعمال أيضاً : نقل المواد والعناصر المختلفة بين أرجاء المصنع الواحد ، ولحام القطع المعدنية ، وتنفيذ عمليات الطلاء ، وتجميع وتركيب الأجهزة ، والعمل ضمن خطوط الإنتاج ، إلى آخر مثل هذه الأعمال . وتتراوح كلفة العامل الآلي الواحد المستخدم في المصانع ما بين ثلاثين إلى تسعين ألف دولار .

ولم تقتصر مهارات الإنسان الآلي على العمل في المصانع ، بل شملت أيضاً استخدامات أخرى مثل : الخدمات الشخصية والمنزلية ، وأعمال الحراسة والأمن وغير ذلك . وعلى الرغم من أن **ديفيد هيرمان** كان قد بنى أول إنسان آلي للخدمات الشخصية عام ١٩٦٢م ، إلا أن هذا النوع لم يأخذ حظه من الانتشار بسبب كثير من المشاكل التقنية ، التي بدأت الآن تأخذ طريقها إلى الحل استعداداً للوصول بهذا الخادم الآلي إلى كل منزل .


★ « الإنسان الآلي » واحد من أبناء الأسرة في المستقبل ★



★ لعب الأطفال .. تأخذ شكل الإنسان الآلي ★

تعتمد تقنية الإنسان الآلي على عدد من التقنيات، التي تساهم في مجموعها في تكوين هذا الجهاز المتميز. فللإنسان الآلي عموماً ستة عناصر رئيسية تشمل: حاسباً آلياً، ثم برامج تحكم تعتمد على مبادئ الذكاء الصنعي، وأنظمة إلكترونية للمراقبة، بالإضافة إلى أنظمة ميكانيكية لتأدية الحركات المطلوبة، ونظام كهربائي لتغذية القدرة، مع أنظمة أخرى تعتمد على طبيعة الاستخدام.

يشكل «الحاسب الآلي مع برامج التحكم الذكية» بالنسبة للإنسان الآلي «**عقله المفكر**». فبواسطتها يستطيع أخذ المعلومات وتخزينها، والتعامل معها طبقاً للقواعد التي تحددها برامج التحكم. ويمكن للإنسان المستخدم لهذا الخادم الآلي من يغذيه ببرامج مختلفة، من أجل أداء أعمال مختلفة تبعاً لاحتياجاته.

وتشكل «**أنظمة المراقبة**» في الإنسان الآلي «وسائل تحسسه» بما يجري حوله. وتعمل هذه الأنظمة على نقل المعلومات حول ما تتحسس به إلى الحاسب الآلي، الذي يوجه «جسم» الإنسان الآلي إلى الاستجابة المناسبة. والمقصود بالجسم هنا هو «الأنظمة الميكانيكية» التي يستطيع الإنسان الآلي بواسطتها، أداء الحركات والتحركات المطلوبة منه في عمله.

ويعمل «نظام تغذية» الإنسان الآلي بالقدرة الكهربائية على توصيل تيار التغذية إلى كافة عناصر الإنسان الآلي الأخرى، بما في ذلك «**أنظمته المتممة**»، التي تعتمد على نوعية الاستخدام.

ومن هذه الأنظمة على سبيل المثال أنظمة اتصال خاصة تعمل على نقل المعلومات والإشارات من أجل التحكم بالإنسان الآلي عن بعد. وقد أمكن استخدام مثل هذه الأنظمة في الآلة الذكية، التي قامت بجمع حفنة من التراب من كوكب المريخ، حيث جرى التحكم بعملها من خلال إشارات ومعلومات، كانت ترسل إليها من المراصد الأرضية.

ولا يُصنع الإنسان الآلي بالضرورة بشكل يشبه شكل الإنسان نفسه، ولكن يصنع بالشكل الذي يناسب الاستخدام. فشكل الإنسان الآلي الذي يعمل في المصانع على سبيل المثال يشبه شكل



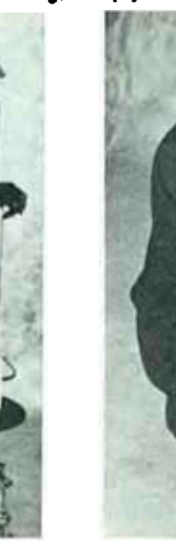
★ قطعة من «الإنسان الآلي» بين يدي خبير ★

اليد، وهو ما يناسب أداء العمل. ويشبه شكل الإنسان الآلي، الذي يعمل في المراقبة والأمن شكل السيارة لتسهيل الحركة والتنقل. وبالإضافة إلى ذلك، فقد لا يكون الحاسب الآلي أو العقل المفكر للإنسان الآلي موجوداً كجزء من هيكله، بل قد يكون بعيداً عنه ويتصل به سلكياً أو لاسلكياً تبعاً لنوع العمل. وعلى أي حال، ومهما كان نوع العمل المطلوب، فالعناصر الأساسية التي تعرضنا لها هنا، تساهم جميعاً في تكوين الإنسان الآلي. وبفضل التقدم المطرد في مجالات هذه العناصر، استطاعت تقنية الإنسان الآلي أن تثبت وجودها وتنطلق إلى الأمام.

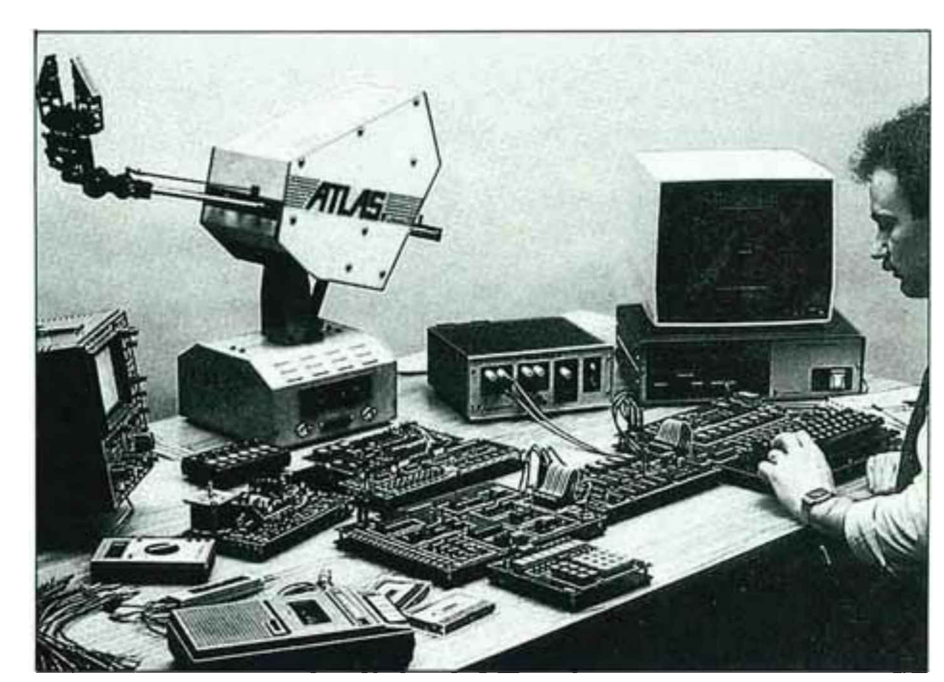
إن هدف تقنية الإنسان الآلي في إنتاج آلات ذكية ذاتية التحكم، تستطيع القيام بأعمال الإنسان نفسه، هو عملياً هدف بغير حدود. فأعمال الإنسان كثيرة ومتشعبة من جهة، كما أنها مرنة وقابلة للتطور تبعاً لتطلعاته الطموحة، ومتطلباته المتزايدة من ناحية أخرى. فكلما أمكن نقل بعض الأعمال من الإنسان نفسه إلى خادمه الآلي تفتحت آفاق طموح الإنسان إلى تطلعات جديدة يسعى إلى تحقيقها. وعلى ذلك، فإن مدى تحرك تقنية الإنسان الآلي في عالم المستقبل، هو مدى مفتوح لشتى أنواع الطموح والتطور.

ويتزايد الاهتمام بخدمات الإنسان الآلي في الوقت الحاضر، خصوصاً بعد القفزات الكبيرة التي حققتها تقنية الحاسب الآلي. فقد ظهرت معاهد بحوث خاصة لتطوير إمكانات الإنسان الآلي مثل «**معهد الإنسان الآلي**» التابع لجامعة «**كارنجي ميلون**» الأمريكية. وهناك أيضاً مؤتمرات علمية حول هذا الموضوع، ومعارض تقدم آخر المنتجات الحديثة. ومثال ذلك «**المؤتمر والمعرض الدولي للإنسان الآلي الخاص بالخدمات الشخصية**»، وقد عقد هذا المؤتمر في ربيع عام ١٩٨٤م. في مركز «**البوكركو**» في **الولايات المتحدة الأمريكية**. وبالإضافة إلى ما سبق، فإن كثيراً من لعب الأطفال الحديثة تأخذ شكل الإنسان الآلي، وتحاول تأدية أعمال مختلفة، وكأنها تمهد لأطفال اليوم ما سيجدونه في عالم المستقبل.

★ الإنسان و«الإنسان الآلي» أيهما سيتحكم في الآخر في المستقبل ★





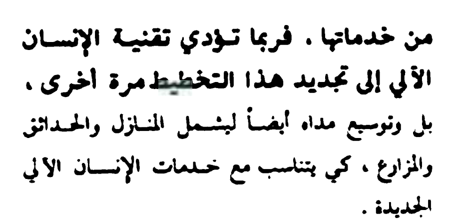


★ الخادم الآلي : يد عاملة تحركها الدوائر الإلكترونية طبقاً للتصميم الذي يضعه الإنسان ★

وتتركز التطورات الحديثة للإنسان الآلي حول تطبيقات «**الخدمات الشخصية**» بما في ذلك الأعمال المنزلية ، والمكتبية ، وأعمال الحراسة والأمن ضد أخطار الحريق والسرقة وغيرها . ولمثل هذه التطبيقات تتغلغل في حياة الناس وتسهل على الخادم الآلي تحقيق سعة الانتشار . وقد ظهر عام ١٩٨٤م ، خادم آلي شخصي مبسط أنتجته شركة «هيث» ، وقامت بتسويقه مقسماً إلى عدة قطع يقوم المشتري بتركيبها بنفسه ، وقد سمي هذا الخادم الآلي «هيرو - ١» ، وبيع منه أكثر من ألف وحدة . وتتطلع صناعة الخادم الآلي الشخصي إلى إنتاج أجهزة متطورة ، ربما تفوق مبيعاتها مبلغ ألفي مليون دولار بحلول عام ١٩٩٠م .

عالم المستقبل

إذا جاز لنا أن نفترض أن تقنية الإنسان الآلي ، ستأخذ نصيباً من النجاح في المستقبل يتناسب مثلاً مع النجاح الذي حققته تقنية السيارات خلال المئة سنة الأخيرة ، فإننا نصل إلى استنتاجات كثيرة محتملة ، ربما تؤدي إلى تغيير شامل في أسلوب حياة الإنسان . **فكما أدت صناعة السيارات إلى إعادة تخطيط المدن والأمصار كي يستطيع الإنسان الاستفادة**

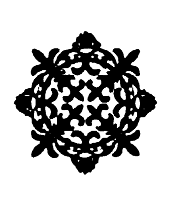


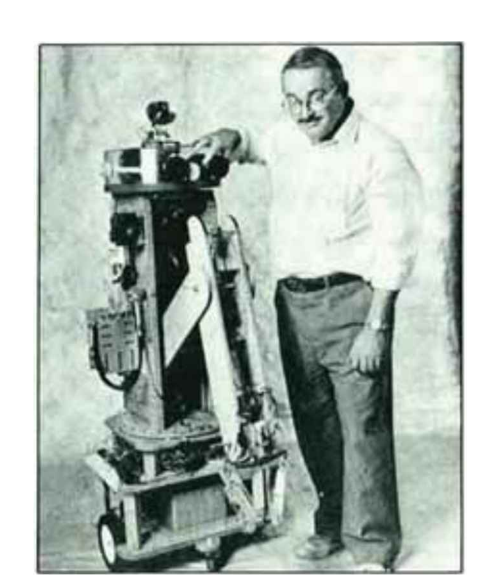
من خدماتها . فربما تؤدي تقنية الإنسان الآلي إلى تجديد هذا التخطيط مرة أخرى ، بل وتوسيع مداه أيضاً ليشمل المنازل والحدائق والمزارع ، كي يتناسب مع خدمات الإنسان الآلي الجديدة .

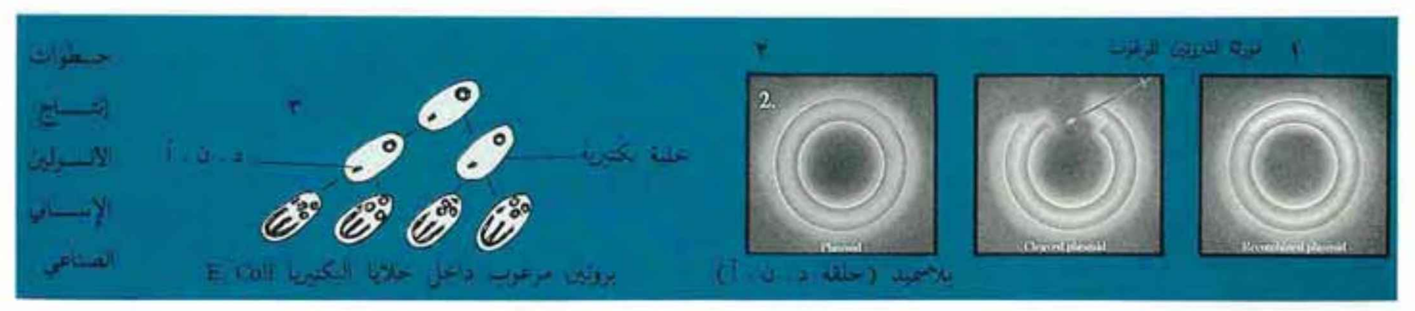
فقد يستطيع هذا الخادم الآلي على سبيل المثال ، قيادة سيارة ، وعلى ذلك فهو يحتاج إلى طرق ومسالك خاصة ، تساعده على التوجه السليم . وقد يستطيع شراء الحاجات من الأسواق ، أو بيعها ، وربما يستطيع كذلك زراعة الأرض وجني المحصول ، وما إلى ذلك من أعمال كثيرة ، تتطلب إعادة تخطيط أسلوب الحياة الذي اعتدنا عليه ، كي يستطيع هذا الخادم أداء أعماله المفيدة .

وقد يتساءل متسائل حول ما يمكن للإنسان الآلي أن يفعل إذا كان لديه خدم آليون يؤدون معظم أو كل الأعمال المطلوبة . وهذه بالطبع مشكلة اجتماعية ، قد يأتي حلها تلقائياً بظهور أعمال جديدة للإنسان غير متطورة الآن يستطيع الاشتغال بها ، بينما يتمتع بخدمات خادمه الآلي . وقد لا يأتي هذا الحل بسرعة فينتج عن ذلك أزمات منافسة على العمل بين الإنسان الآلي وبين العمال من بني البشر . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد يجد الإنسان نفسه على المدى البعيد أسيراً لخادمه الآلي وقواعده وأساليبه فيصبح الخادم هو السيد ، والسيد هو الخادم

وتجدر الإشارة أخيراً إلى أن الجهد العلمي والتقني الذي يُبذل في مجال تطوير الآلة عموماً ، والإنسان الآلي بوجه خاص ، يجب أن يترافق مع جهود أخرى في مجال العلوم الاجتماعية تدرس فيه الآثار المحتملة على حياة الإنسان ، التي قد تنتج عن نجاح التطورات العلمية والتقنية ، على أن تكون حماية الإنسان وسعادته ، هي غاية الغايات وأساس كل التوجهات .









أثمرت جهود العلماء حديثاً عن نجاحهم في استخدام التقنية المتطورة لإنتاج مستحضرات أنسولين جديدة تماثل في تركيبها ما يفرزه بنكرياس الأنسولين، بعد أن عانت الأوساط الطبية من القلق عن كيفية توفير ما تحتاجه في المستقبل الأعداد المتزايدة من مرضى السكر منه، لأن المصادر الطبيعية المستعملة لاستخلاص الأنسولين التقليدي وهي بنكرياس الأبقار والخنازير تكون محدودة ولا يمكنها أن تواجه زيادة الطلب عليه.

لقد أثبتت التجارب السريرية عن الفعالية العلاجية لمستحضرات المركب الجديد وصلاحية استعمالها وأصبحت متوفرة في أسواق العديد من دول العالم، وازداد اهتمام الأطباء به وكثر الحديث عن مزاياه العلاجية وتفوقه على مستحضرات الأنسولين التجارية الأخرى مما يتوقع أن يتوسع في استعماله مستقبلاً في كافة أنحاء العالم.

ولن نتطرق في هذه المقالة عما يعرف بالأنسولين الإنساني الصناعي Semi-synthetic human insulin الذي احتكرت إنتاجه حتى الآن إحدى شركات الأدوية الأمريكية عن طريق إجراء تعديلات في تركيب سلسلة الأحماض الأمينية لجزيئ الأنسولين المستخلص من الخنازير ليصبح مماثلاً ما يفرزه بنكرياس الإنسان وإنما إلى النوع الآخر منه وهو human insulin (reconbinant DNA origin) المحضر باستعمال تقنية حديثة تعرف **بالهندسة الوراثية. وسوف نتعرف باختصار عن اكتشافه وطريقة تحضيره وتركيبه وخواصه ونتائج تجارب استعماله ومستحضراته المختلفة ومميزاته...**

اكتشافه

تمكن فريق من الباحثين لدن **جامعة كاليفورنيا بالولايات المتحدة** في عام ١٩٧٨م، من استعمال الهندسة الوراثية أو ما يعرف بـ (**تقنية إعادة تركيب الحمض النووي الريبي ناقص الأكسجين Recombinant DNA technique**) في إحداث تغيرات وراثية في بعض الكائنات الحية الدقيقة مثل البكتريا: **Escherichia coli** وجعلها قادرة على إنتاج مركب يماثل في تركيبه من ناحية عدد ونوعية وتتابع الأحماض الأمينية في الجزيئ الواحد فيه مع تركيب نفس الهرمون في الإنسان. وهذا ما دعاهم إلى تسميته بالأنسولين الإنساني واعتبر اكتشافه كإنجاز جديد في تحسين علاج مرض السكر..

طريقة تحضيره

ولقد اشتملت الطرق الحيوية

لإنتاجه على عدة عمليات متتالية نلخصها كما يلي :

أولا ـ العزل : وفيها تحضر المورثة (gene) مخبرياً وهي التي تحمل المعلومات الوراثية لإنتاج الأنسولين الإنساني من كائن حي دقيق عن طريق عزل حلقات صغيرة من المركب د . ن . أ (DNA) البكتيري والمعروفة بـ بلاسميدات Plasmids .

ثانياً ـ الإدخال : يزال منها كيميائياً جزء من حلقات الـ د . ن . أ ، ليدخل مكانها المورثة للأنسولين الإنساني لكائن حيّ دقيق آخر ، ثم تقفل حلقة البلاسميد لتعاود نشاطها الانقسامي في خلايا المضيف وهي بكتريا من أحد أفراد مجموعة القولون E. coli .

ثالثاً ـ إنتاج البروتين : وفيه تحضن الخلايا البكترية المحتوية على حلقة د . ن . أ الجديد مخبرياً لتتكاثر وتنتج كمية كبيرة من الأنسولين الجديد المشابه لما يفرزه بنكرياس الإنسان ، وذلك في صورة سلاسل من النوعين أ و ب ، ثم تنق كل منها بصورة فردية قبل أن تربطا معاً لتشكلا بديلاً للأنسولين الإنساني الطبيعي .

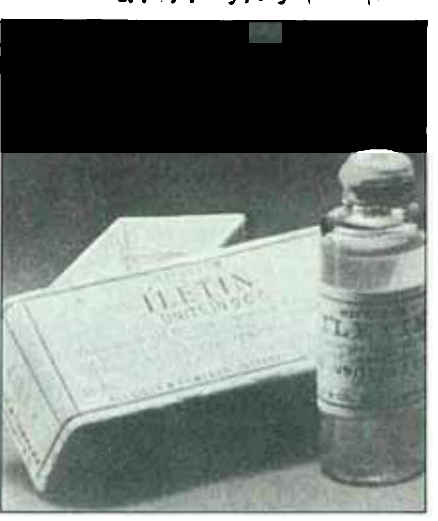
وتوجد الـ د . ن . أ ، في نواة الخلية وهي المركب الكيماوي الخاص بنقل الصفات الوراثية وتحتوي على صور مبسطة طبق الأصل عن تصميم جميع التركيبات الخلوية ووظائف الخلايا والموجودة فيها بصورة شفرات كيماوية على المورثات ، وأن هناك مورثة خاصة لصنع أيّ من بروتينات الجسم بما فيها واحد خاص لتخليق الأنسولين ، كما أن للكائنات الحية الأخرى بما فيها المجهرية كالبكتريا والفيروسات مورثات خاصة بها .

تركيبه وخواصه

ويكون هرمون الأنسولين المحضر حيوياً عبارة عن بروتين يحتوي الجزيئ الواحد منه سلسلتين : الأولى (أ) مكونة من ٢١ حمضاً أمينياً ، والثانية (ب) وفيها ٣٠ حمضاً أمينياً تلتحما معاً بواسطة رابطتي ثنائي الكبريت ، ولقد حُضر هذا المركب ليماثل كيماوياً وطبيعياً وحيوياً وصناعياً الأنسولين الذي يفرزه بنكرياس الإنسان ، بينما يختلف بدرجة بسيطة عن الهرمون المستخلص من بنكرياس الأبقار والخنازير .

ويمتاز الأنسولين الإنساني الصناعي بخلوه من المواد الغريبة ذات التركيب البروتيني والموجودة طبيعياً بكميات صغيرة في معظم تحضيرات الأنسولين التجارية ذات المصدر الحيواني ، وهذا يجعل استعمال هذا المركب

★ نموذج لعبوات الأنسولين التي أنتجت لأول مرة عام ١٩٢٣ م ، وكان يعرف حينئذ بـ إلتين Iletin ★



★ صورة تذكارية للعالمين بنتج وبست Banting & Best مع أول كلبة حقنت بالأنسولين ★



الجديد خالياً إلى حد كبير من حدوث حالة الحساسية للأنسولين في المريض بالسكر نتيجة لتكوين أجسام مضادة عند حقنه في الجسم ، **ويمكن للمريض بالسكر الذي يحصل على جرعات مناسبة من الأنسولين الجديد مصحوبة بتنظيم غذائي يناسب نشاطه العضلي استعادة قدرته على التمثيل الحيوي للسكريات والدهون والبروتين وتخزين الجليكوجين في الكبد وتحويل الجلوكوز في دمه إلى دهن ،** ولوحظ بأنه يحدث استقرار في مستوى سكر الدم لدى المريض بالسكري عند الحدود المناسبة ويبق البول خالياً نسبياً من السكر والأجسام الكيتونية ولا تحدث له حالة أحماض السكري Diabetic acidoss ذات التأثير السيئ على صحته كما لا يصاب بالغيبوبة السكرية عند حصوله على الأنسولين الجديد في صورة جرعات مناسبة وعلى فترات منتظمة .

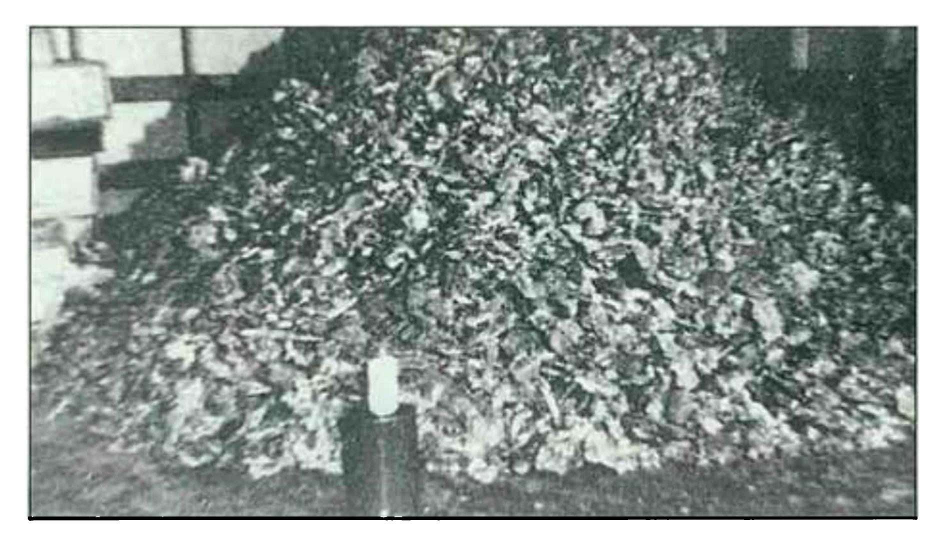
تجربة رائدة عليه

ولقد قام فريق طبي إنكليزي اشتمل على ١٣ باحثاً عام ١٩٨١ م ، بإجراء اختبارات سريرية على هذا المستحضر الجديد للتأكد من سلامته في علاج ٤٧ مريضاً بالسكري ، ونشروا تقريراً عن نتائج دراستهم فيما يتعلق بتأثيره وفعاليته بالمقارنة مع تحضيرات الأنسولين الأخرى المستخلصة من مصادر حيوانية ، وظهر لهم ضرورة ضبط مقدار الجرعة المعطاة للمريض بالسكري من الأنسولين الجديد عند استعماله عوضاً عن الأنسولينات التقليدية ، كما لاحظوا وجود تشابه بينه وبين تحضيرات الأنسولين الأخرى ذات المصدر الحيواني من ناحية التأثير على معدل أيض الكربوهيدرات في الجسم ، وأنه كبديل مأمون صحياً للأنسولينات التقليدية ، وأظهرت تلك الدراسة أيضاً فعالية الأنسولين الجديد في شبه غياب حدوث تأثيرات جانبية سيئة على مرضى السكري خلال فترة استعمالهم له ، وكانت هذه الدراسة تجربة أولى





★ يتطلب الحصول على رطل واحد من بلورات الأنسولين توفر آلاف الأرطال من غدد بنكرياس الحيوانات ★



أجريت على نطاق واسع ، لاختبار هذا الهرمون الجديد .

تحضيراته

ويوجد لهذا المركب الجديد مستحضران يختلفا في بداية ظهور تأثيرهما على مستوى سكر الدم ومنحنى وطول فترة الفعالية بصورة تشابه مستحضرات الأنسولين التقليدية من نفس النوع ، بحيث تكون حقن الأنسولين المنتظمي أو الذائب (R, insulin) له سريعة التأثير ويستمر مفعولها لفترة قصيرة نسبياً (٦ ـ ٨ ساعات) ، بينا يؤدي إضافة مركب **البروتامين** إلى الأنسولين في وجود عنصر **الزنك** إلى الحصول على هرمون ذي تأثير أقل سرعة وبفعالية أطول نتيجة لبطء ذاتبيته في الدم ، ويكون مستحضر الأنسولين المعروف بـ (NPH insulin) ذا مفعول يمتد لفترة متوسطة المدى ، ويبدأ ظهور تأثيره في وقت متأخر عن الأنسولين الذائب إلا أن له فعالية أطول (عادة تنخفض قليلاً عن ٢٤ ساعة) ويعطى المريض بالسكري أي من هذين النوعين من الأنسولين على انفراد أو في صورة مخلوط منهما بالحقن تحت الجلد أو بالعضل وليس عن طريق الوريد ، وذلك حسب رأي الطبيب المعالج وبناء على الاحتياجات الضرورية للمريض وحالته الصحية . .

ميزاته

وتختفي إلى حد كبير عند استعمال الأنسولين الإنساني الصناعي حالة الحساسية للأنسولين التي يعاني منها بعض مرضى السكري الذين يتعاطون حقن الأنسولين التقليدي ذات المصدر الحيواني ، لأن المستحضرات التجارية القديمة تحتوي على بعض المواد الغريبة المصاحبة للهرمون في عمليات استخلاصه وتنقيته ، وإن كانت بعض الشركات المنتجة للأدوية قد بدأت حديثاً التنافس على تحضير أنسولينات أكثر نقاوة باستخدام التقنية الحديثة في مجال تنقية مستحضرات الهرمون المستخلصة من الحيوانات وأصبحت متوفرة للتداول في أسواق العديد من دول العالم ، ولها مزايا عديدة عن المستحضرات غير النقية منه وتعرف بـ (**الأنسولينات ذات النقاوة العالية**) . . إلا أنه بالرغم من ذلك فإن هذه المستحضرات للهرمون تختلف في نوعية الأحماض الأمينية في جزيئ البروتين عما يفرزه بنكرياس الإنسان ، كما لهذا دور في حدوث حالة الحساسية للأنسولين في مرضى السكري نتيجة تكوين الأجسام المضادة لديهم عند استعمال حقن الأنسولين التقليدي باعتبارها مواد غريبة ، وتأخذ حالة الحساسية للأنسولين في المرضى صورة أو أكثر مثل طفح جلدي ذو بثور urtecaria ، وتبقع الجلد Purpura ، وتفاعلات موضعية تظهر كانتفاخ أو حكة أو احمرار أو صلابة في مناطق الحقن . كما تزداد مقاومة الجسم لتأثير جرعة الأنسولين المعطاة مما تجعل المريض في حاجة إلى زيادة متدرجة لمقدار الجرعة اللازمة له مع طول فترة المرض ، إلا أنه نكاد أن تختفي هذه الأعراض المرضية عند استعمال مرضى السكري لمستحضرات الأنسولين الإنساني الصناعي ، كما تقل لحد كبير الأعراض الجانبية للاستعمال المتكرر لحقن الأنسولين عند استعمال المستحضر الجديد ، والتي تظهر في صورة انخفاض في الجلد أو ما يعرف بـ (**الضمور الدهني** Lipoatrophy) ووجود ندبة أو ارتفاع في الجلد Hypertrophy في مناطق الحقن والتي يشتكي منها الكثير من المعتمدين على الأنسولينات التقليدية في علاجهم الطويل .

المستقبل عنه

وأمكن باكتشاف المستحضر الهرموني الجديد إزالة القلق الذي ساور العلماء ، خاصة المشتغلين منهم بمرض السكري عن عدم إمكانية توفير احتياجات الأعداد المتزايدة من المرضى من الأنسولين ، لأن المصادر الحيوانية له تكون محدودة ولن تقابل زيادة الطلب عليه ، وحيث يمكن حالياً الاعتماد على التقنية الحديثة في تحضير الأنسولين الصناعي وإنتاج أي كمية نحتاجها في المستقبل ، ويمكن أن تكشف لنا الأبحاث العلمية في السنوات القادمة المزيد من مزايا هذا الأنسولين الجديد في علاج مرضى السكري ، حيث لا زالت جهود العلماء مستمرة لإماطة اللثام عن فوائد أخرى لاستعماله على المدى الطويل ، ويمكن القول إن اكتشافه يعد إنجازاً طبيًا هاماً في القرن العشرين .



بقلم: أحمد البرصان

الجيوبوليتيكا من المفاهيم التي تبلورت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، حيث وردت هذه التسمية (Geopolitik) لأول مرة على لسان المؤرخ والسياسي السويدي رودلف كيلين (Rudolf Kjellen) (١٨٦٤ ـ ١٩٢٢ م) ، وكان أستاذاً للجغرافيا في إحدى جامعات السويد ، وقد ترجمها البعض إلى « سياسة الأرض » إلا أن هناك بعض المفكرين اعتبرها الجغرافيا السياسية ، وفي الواقع فإن الدراسات الحديثة تفرق بين الجيوبوليتيكا والجغرافيا السياسية ، حيث إن الأخيرة تدرس كيان الدولة الجغرافي ، وترسم صورتها في الماضي والحاضر ، كما أنها تتسم بالثبات ، وتمثل الصورة الحقيقية للدولة . أما الجيوبوليتيكا فترسم خطة لما يجب أن تكون عليه الدولة ، وتضع تصوراً لحالة الدولة في المستقبل ، كما أنها تتسم بالتطور والحركة ، وتجعل الجغرافيا وحقائقها في خدمة الدولة .

وقد تأثرت الجيوبوليتيكا بآراء **فردريك راتزل** (F. Ratzel) الألماني (١٨٤٤ ـ ١٩٠٤ م) ، الذي آمن بأن الدولة كائن حي ، لذلك يعتبر أول من ساهم في الجيوبولتيكا العضوية ، واعتقد أن الدولة كائن حي مثبت في التربة ، ونشأ هذا الكائن من الرابطة الروحية التي تربط السكان بالأرض ، وفي رأيه ان الدولة كالكائن الحي كلاهما يحتاج إلى النمو ، حتى ولو كان ذلك عن طريق القوة .

وحيث إنه لا تكاد توجد نظرية سياسية تحتكرها أمة واحدة ، أو منطقة واحدة ، فإن الجيوبوليتيكا ليست استثناء من هذه القاعدة ، **فكما أثر راتزل وكيلين** ، ساهم الإنجليز بدور فعّال في هذا العلم ، وأبرزهم **سير هالفورد ماكندر** ، الذي صاغ نظريته الشهيرة ، التي لا شك تأثرت بها الجيوبوليتيكا الألمانية .

نظرية ماكندر والسيطرة على العالم

كان السير **هالفورد ماكندر** (١٨٦١ ـ ١٩٤٧ م) ، أستاذاً للجغرافيا في **جامعة لندن** ، وعضواً في البرلمان ، ومديراً لمدرسة الاقتصاد في لندن ، ونائباً لرئيس الجمعية الجغرافية الملكية ، وكان نبراساً مضيئاً سارت عليه الجيوبوليتيكا الألمانية ـ دون قصد منه ـ وقد سلّط ماكندر الضوء على المنظور السياسي للتوزيع الجغرافي لكتل اليابسة ، والمسطحات المائية ، وفي التاريخ ، على أنه صراع بين قوة البر وقوة البحر ، وقد ظهر أول بيان له في هذا الموضوع ، في المحاضرة التي ألقاها عن **محور الارتكاز الجغرافي للتاريخ** (The Geographical Pivot of History) أمام **الجمعية الجغرافية الملكية** سنة (١٩٠٤ م) ، وفي سنة (١٩١٩ م) ، قدم تحذيراً للساسة المجتمعين **في مؤتمر السلام في باريس** في كتابه « **المثل الديمقراطية والواقع** (Democratic Ideals and Reality) الذي احتوى نظرية كاملة تبناها فيما بعد **هاوسهوفر** وزملاؤه من الجيوبوليتيين الألمان لأنها تخدم أهدافهم ، حتى إن **هاوسهوفر** أشار إلى ماكندر على أنه « أشهر جيوبوليتي إنجليزي » ، واعترف بأنه يدين له بالفضل الكبير ، وقد استولت نظرية ماكندر على خيال هاوسهوفر ، فاعتبرها « أعظم الآراء الجغرافية عن العالم » .

نظرية ماكندر

تتلخص نظرية ماكندر في الجيوبوليتيكا في عبارة مأثورة قالها في كتابه « المثل الديمقراطية والواقع » :

« إن من يحكم شرق أوروبا ، يسيطر على قلب الأرض (Heart Land) ، ومن يحكم قلب الأرض ، يسيطر على جزيرة العالم ، ومن يحكم جزيرة العالم ، يسيطر على العالم » .

كان ماكندر يعني بجزيرة العالم ، تلك الكتلة الضخمة التي تضم أوروبا وآسيا وافريقيا ، وذهب إلى أنها قارة واحدة وليست ثلاثاً ، وأصر على أن جزيرة العالم هي مناطق القوة العالمية الحقيقية ، ونصف الكرة الغربي مجرد جزيرة أصغر وأقل من الأخرى في أبعادها ورجالها ومواردها ، وكان يعني بقلب الأرض ذلك السهل الشاسع ، الذي يمتد من حوض **نهر الفولجا** غرباً ، إلى **بحيرة بايكال** شرقاً ، ومن المحيط المتجمد الشمالي إلى **جبال هملايا** في الجنوب ، وتصوروها على أنها منطقة لا يمكن اقتحامها ، فلا طريق إليها من البحر ، ولديها من الموارد ما يجعلها مكتفية بذاتها . ولما كان شرق أوروبا هو مدخل قلب العالم ، فإن أية دولة أوروبية تستطيع غزو روسيا الغربية ، لا



تسيطر على قلب العالم فحسب ، بل على الدنيا كلها في نهاية الأمر . ومما لا شك فيه ، أن هذا التحذير هو الذي لفت أنظار ساسة الغرب ومنظريه العسكريين ، إلى كتاب ماكندر في سنة ١٩٤٢م ، وواضح أنهم لم يفكروا جدياً فيما يتعرضون له من خطر ، من مركز روسيا فيما يتعلق بقلب العالم وجزيرة العالم . (انظر شكل ١) .

كارل هاوسهوفر
١٨٦٩ ـ ١٩٤٦م

كان الرجل الوحيد الذي يقدر مغزى تعاليم ماكندر لفترة طويلة هو العسكري والجغرافي الألماني **كارل هاوسهوفر** (K. Haushofer) ، وكان ابناً لموظف صغير في البلاط ، ولد في **بفاريا** سنة ١٨٦٩م ، وتوفي منتحراً مع زوجته اليهودية سنة ١٩٤٦م . دخل الجيش في سن مبكرة ، وصار مدرس مدفعية ، وارتفع إلى رتبة لواء في الجيش ، كما حصل على درجة الدكتوراه في الجغرافيا سنة ١٩١١م ، ثم تقاعد بمعاش سنة ١٩٢٤م .

وقد اشتهر لأول مرة ، كأحد أعلام الجيوبوليتيكا الألمانية سنة ١٩٠٨م ، حين أرسل إلى اليابان ملحقاً عسكرياً ، ويعتقد البعض أنه عمل مستشاراً

الجيوبوليتيكا الألمانية
وسياسة هتلر النازية

جيوبوليتيكياً لليابان ، وقد كانت تلك الفترة ذات أهمية في حياته ، إذ أصبح خبيراً في شؤون مناطق المحيط الهادي والشرق الأقصى .

وفي عام ١٩٢٤م ، أسس **معهد ميونخ للجيوبوليتيكا** ، ومجلة السياسة (Zeit Schrift Fur Geopolitik) التي ظلت تنشر آراءه السياسية ، وجذبت معه مجموعة من كبار أساتذة الجغرافيا الألمانية ، مثل إيريخ أوبست (E. Obst) ، **وأوتوماول** (O. Maull) ، **وجوستاف فولشر هاوكه** (G. F. Hauke) ، **وأوتو تيسن** (O. Tessen) ، بالإضافة إلى نجله **البرخت هاوسهوفر** الذي تخصص في مشاكل المحيط الأطلسي .

كانت فلسفة هاوسهوفر السياسية تدعو إلى التوسع الألماني ، والصراع والحرب الشاملة ، ومن أكثر مصطلحاتها شيوعاً **فكرة المجال الحيوي** (Le bensraum) ، التي تدعو لأن يكون لألمانيا مجالا تمد فيه جذورها الاقتصادية والسياسية ، **وتتلخص بشكل عام أهداف مدرسة ميونخ للجيوبوليتيكا في المبادئ التالية :**

(١) مبدأ الدولة العملاقة أو الكبرى ، الذي دعا إليه فردريك راتزل .

(٢) مبدأ الجزيرة العالمية ، الذي طوره ماكندر في كتاباته السابقة .

(٣) مبدأ ازدواجية القارات : واحدة في الشمال ، والأخرى في الجنوب ويكونان معاً كتلة إقليمية قارية ذات اكتفاء ذاتي ، فالشمالية تقدم الصناعات ، والجنوبية هي مجالها الحيوي في إنتاج الخامات والتسويق .

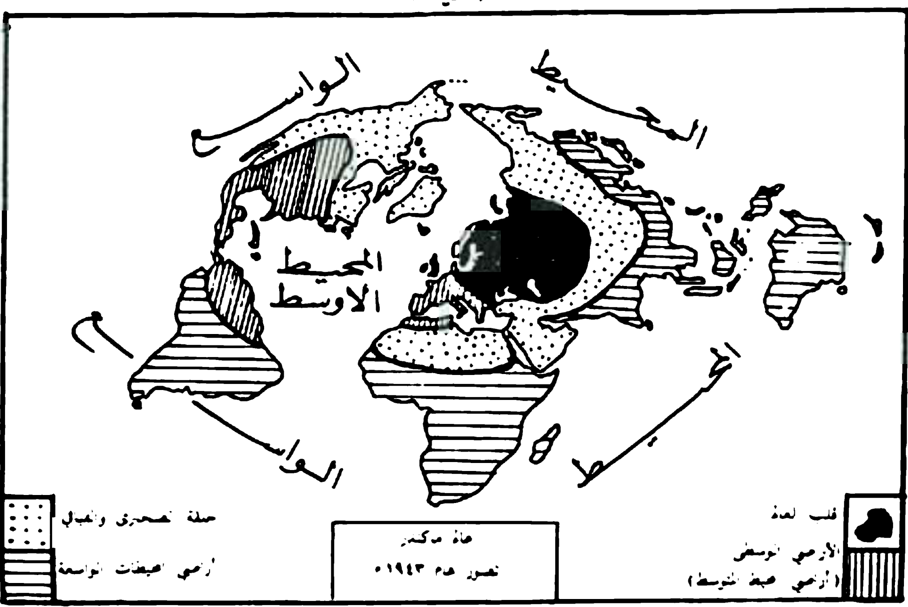
لقد تفاعلت هذه المبادئ معاً ، وكونت الخطوط الرئيسية لأفكار هاوسهوفر ، وكان ينظر إلى الدول الكبرى من زاوية قومية بحتة ، لهذا يرى أن من الحق على ألمانيا ، أن تبتلع الدول الصغرى غرب وشرق ألمانيا ، وأنه لا بأس من تنفيذ ذلك بقوة السلاح ، لتأمين سيطرة ألمانيا الكاملة على أوروبا القارية . **وكان لمدرسة ميونخ التي أسسها هدفين في جزيرة العالم :**

● **الأول :** السيطرة على روسيا لتأمين الحكم الألماني على أوراسيا .

● **الثاني :** تدمير الإمبراطورية البريطانية وقوتها البحرية ، لتأمين السيطرة الألمانية الكاملة على كل الجزيرة العالمية (أوروبا ـ آسيا ـ إفريقيا) .

إلا أنه لا يستدعي في تحقيق هدفه الأول الحرب الشاملة ، وإنما كان ينظر إلى تحالف ألماني ـ روسي على أنه حجر الزاوية في تكوين نواة الوحدة الأوراسيوية ، التي تشتمل على إضافة تكتل أوسع آخر يتكون من الصين واليابان ، لذلك نلاحظ أنه أكد في كتاباته المتعددة على الدعوة إلى صداقة ألمانية ـ روسية ، ودعوته إلى اليابان لأن تطور علاقاتها مع كل من الصين والاتحاد السوفييتي (انظر شكل ٢) .

(شكل ١)



عن الدكتور محمد رياض ، الجغرافية السياسية والجيوبوليتيك ، ١٩٧٤م

هتلر وآراء هاوسهوفر

يرى كثير من الباحثين أن هتلر تأثر بآراء هاوسهوفر، وأنه اهتم كثيراً بمعهد الجيوبوليتيكا، وما يصدر عنه من أبحاث، حتى أنه ذهب إلى حد رفع زوجة الجنرال هاوسهوفر اليهودية مرتبة «آرية شرف». هذا، ونشير إلى **الاتفاق النازي ـ السوفييتي** في عام ١٩٣٩م، الذي كان يعكس تأثير تفكير هاوسهوفر على هتلر، ويذهب كثير من الدارسين إلى أن أقساماً كبيرة من كتاب «**كفاحي**» الذي ألفه هتلر، وبخاصة الفصل الرابع عشر من المجلد الثاني، الذي يعبّر عن اتجاه نحو الشرق، كتبها هاوسهوفر. إلا أن هناك ملاحظات على هذه الآراء، هو أن هتلر غزا روسيا بعد عامين من توقيع الاتفاق النازي ـ السوفييتي، ويمكن القول إن تفكير هتلر تأثر بعدة مؤثرات، من أهمها نظرية هاوسهوفر في الجيوبوليتيكا، وتقسيم مدرسة ميونخ شعوب العالم إلى **شعب سيد** (Herrenvolk)، وهو «الشعب الألماني»، **وشعوب مساعدة أو معاونة** (Hilfenvolk)، وهم بقية الشعوب الأوروبية، أثرت في التقسيم النازي، فكانت ترى هذه الأخيرة أقساماً أخرى للناس أعلى البشر مرتبة هم: **الجرمان النورديين**، يليهم **السلاف والشرقيين** في مرتبة دون البشر، ثم **الزنوج** أنصاف قردة، وأخيراً **اليهود كجماعة طفيلية تحتل الدرك الأسفل في السلم الاجتماعي**.



* هتلر *

والخلاصة من عرضنا السابق، نلاحظ أن أفكار هتلر النازية (النزعة القومية، مبدأ الزعامة العنصرية، مناهضة السامية، المجال الحيوي، والتوسعية) قد تأثرت بلا شك بآراء وأبحاث ودراسات معهد الجيوبوليتيك في ميونخ، الذي تلقى العون والتشجيع من هتلر، وأن فكرة المجال الحيوي، **وفلسفة الصهيونية العالمية في فلسطين** بلا شك متأثرة بهذه الأفكار.

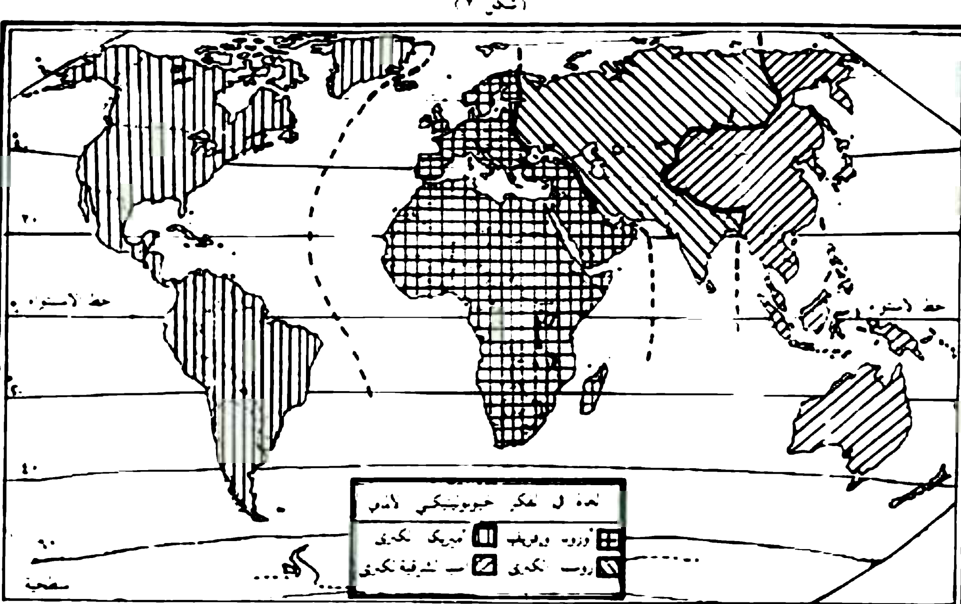
الكيان الصهيوني

إن فكرة الدولة العنصرية كما سبق ذكره، والمفهوم المتعلق بها، وهو مجال الحياة، من الأفكار الألمانية التوسعية النازية المعقولة، وقد اتبعتها الدول الاستعمارية لأغراض التوسع، والسيطرة كمبرر لأمثال سياسات الاستغلال.

إن هذه السياسات والأفكار العدائية يتبعها الصهاينة، إذ تنظر الفكرة الصهيونية على أن الكيان الإسرائيلي في فلسطين، ما هو إلا كائن حي له حياة، ويمر بجميع مراحل النمو، ولذلك فإن هذا الكيان يجب أن يتوسع خارج مجاله حتى وإن كان ذلك بالقوة، وقد حدد هذا الكيان المناطق التي يجب التوسع فيها، فنراه يتوسع في المناطق العربية الاستراتيجية التي لها أهمية اقتصادية. وينظر هذا الكيان لضمان التوسع، لذلك فإنه لا يعتقد بالحدود، بل يطالب بتخوم آمنة توسعية، وكل هذه الأفكار مرتبطة بالفكر النازي العنصري، وبالفكر الاستعماري الذي زرعه، والحقيقة أن كل هذه المفاهيم التي تتخذ من الجغرافية السياسية والجيوبوليتيكا أداة توسعية استعمارية تتناقض مع المنهج العلمي الموضوعي لهذه العلوم.

* * * *

(شكل ٢)



عن الدكتور محمد رياض عن كتاب «الجغرافية السياسية والجيوبوليتيك».

بعض المصادر

(١) الدكتور محمد محمود الديب «الجغرافية السياسية»، القاهرة ١٩٧٣م.

(٢) الدكتور محمد مرزوق حسين «الجغرافية السياسية»، بغداد ١٩٧٩م.

(٣) الدكتور بطرس غالي «الأفكار في صراع النظريات السياسية في الحقبة المعاصرة»، (مترجم)، بيروت ١٩٧٥م.

(٤) الدكتور محمد رياض «الجغرافية السياسية والجيوبوليتيك»، بيروت ١٩٧٤م.

(٥) الدكتور صلاح الشيخلي «الصهيونية وحدود الكيان»، مجلة كلية الآداب ـ الجامعة الأردنية، العدد الثاني، ١٩٧٧م.

(٦) الدكتور إسماعيل صبري مقلد «الاستراتيجية والسياسة الدولية»، بيروت ١٩٨٠م.


لُغَـةُ القـرآن .. لُغَـتُـنَـا
بسم الله الرحمن الرحيم
"إنـا أنـزلـنـاه قـرآنـا عـربيـا"
صـدق الله العظـيـم
لغتنـا : هبطت بها أسـمى رسـالـة...
لغتنـا : أنزل الله بها الذكر وهو لـه حافظ...
لغتنـا : تـريد أن نعـمل نحـن أيضـا
للمحافظة عليها .. باستخدامها.
مع تحيات
سابك
الشركة السعودية للصناعات الأساسية
والشركات التابعة لها
سابك للتسويق
سابك للخدمات التسويقية
سافكو
الرازي
ابن سينا
بتروكيميا
سماد
حديد
صلب
غاز
ينبت
صدف
كيمبا
شرق
ابن حيان
ابن زهر
ابن البيطار



الكمبيوتر في مجال علم النفس

بقلم: د. ماهر محمود الهواري

لقد تقلبت النفس البشرية في اتجاهاتها نحو الكمبيوتر، فبعد أن كان ينظر الإنسان إليه على أنه آلة تكنولوجية يمكن أن تفيده في حياته العملية، أصبح ينظر إليه بحب استطلاع توقعاً لما يمكن أن يقوم به. ثم أصيب بالدهشة نظراً لما اتضح له من قدراته الخارقة. لا شك أن الكمبيوتر يمكنه القيام ببعض وظائف الإنسان من ذاكرة واسترجاع وحل مشكلات، فإذا أردنا أن نعرف كيف يقوم الإنسان بهذه الوظائف فربما كان الأسهل أن ندرس ذلك عند الكمبيوتر. ومن قبيل ذلك ما يقوم به الباحثون في علم النفس من تجارب ودراسات على ما يسمى بالذكاء الصناعي.

والموقف هنا يشبه تقريباً موقف علم النفس التجريبي الذي يقوم بدراسة الوظائف المختلفة من تعلم وتذكر وذكاء وغيرها عند الحيوانات، باعتبار أن دراسة هذه الوظائف عند الحيوانات يمكن أن تقودنا إلى معرفة الحقائق عند الإنسان، نظراً لما يتميّز به الحيوان من خلو من التعقيد، ومن تدخل عوامل عديدة تجعل دراسة الإنسان صعبة ومعقدة. هذا إلى سهولة التجريب على الحيوان، وإخضاعه للثواب والعقاب بالصدمات الكهربائية وغيرها. فهل الموقف بالنسبة للكمبيوتر يشبه الموقف بالنسبة للحيوانات من حيث التجريب عليها؟ هذا ما سوف يتضح فيما بعد.

المخ والكمبيوتر

لقد أشار **نوربرت فينر**[1] إلى الشبه بين المخ والكمبيوتر في بعض النواحي، وإلى التشابه المنطقي بين الجهاز العصبي والكمبيوتر. إنهما يتفقان مثلاً في عملها العادي مع مبدأ «**الكل أو لا شيء**»، أي إن الخلية العصبية إمّا تعمل أو لا تعمل، وكذلك جهاز الكمبيوتر On or Off.

إن منطق الآلة يشبه المنطق البشري[2]، فالمخ يستخدم قواعد المنطق سواء كنا ندري أو لا ندري. بمعنى آخر: إن المخ مثل الكمبيوتر، ووظائفه تشبه الكمبيوتر، ويمكن تقليدها بواسطة الكمبيوتر[3]، كما أشار **أبتر**[4] إلى أنه يمكن اعتبار الجهاز العصبي جهازاً سابق البرمجة، جهازاً منظماً قادراً على حفظ المعلومات، قادراً على التعرف على أساس البرامج والمعلومات المخزونة، بطريقة ذاتية وتلقائية إلى حد ما. وبعبارة أخرى كأنه كمبيوتر ضخم، مخزن كبير جداً للذاكرة، ذو أجهزة متعددة للإدخال والاستخراج Input & Out Put، وبرامج منظمة متدرجة.

وأشار فينر إلى الشبه الذي يحدث عندما يصاب الإنسان بمرض نفسي أو عقلي، وما يحدث عند تعطيل الكمبيوتر عن العمل، فذكر احتمال نشوء الأمراض النفسية والعقلية إلى نوع محدد من النقص في تنظيم المخ باعتباره آلة حاسبة[5].

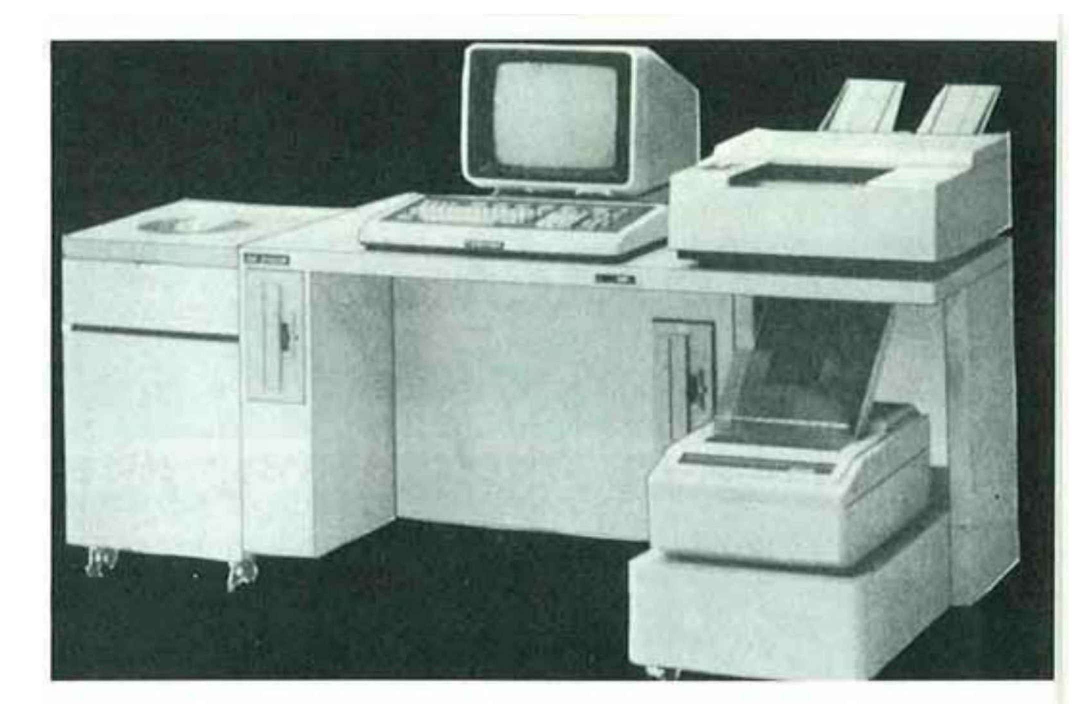
ويستطرد متحدثاً عن وجود شبه في العطل الذي يحدث للكمبيوتر والمرض النفسي والعقلي. فيقول:

إنه عند حدوث عطل للكمبيوتر قد يكون نتيجة انزلاق سن أو دخول الكمبيوتر في عملية دائرية، يبدو أنه لا سبيل لإيقافها فماذا نفعل؟ إننا نحاول إخلاء الآلة من كل إعلام على أمل أنها عندما تبدأ بمدلولات مختلفة قد لا تحدث العقبة، وذلك عن طريق هز الآلة أو تعريضها لدفع كهربائي بصورة غير عادية[6].

وبالنسبة للإنسان لا يوجد عملية عادية تخلي المخ تماماً من كل الانطباعات السابقة سوى الموت. والنوم أقرب ما يكون إلى عملية الإخلاء. ومع ذلك لا يمسح النوم الذكريات الأكثر عمقاً. لذلك قد يلجأ الأطباء إلى التدخل الجراحي في المخ عن طريق استئصال الفص الجبهي. ولكن



الكمبيوتر في مجال علم النفس



هذه العملية قد تؤدي إلى إتلاف الضبط الخلقي أي إنها تحد كل نواحي الذاكرة المتداولة ويشبه ذلك إلى حد أقل في النتائج ، الصدمات الكهربائية وصدمات الأنسولين فهي قد تؤثر على الذاكرة ولو بصورة مؤقتة .

وإذا كان التحليل النفسي ينظر إلى المرض على أساس ذكريات مشحونة عاطفياً ، فالعلاج إذن يتكون من سلسلة من الوسائل لاكتشاف وتفسير هذه الذكريات لجعل المريض يقبلها كما هي ، ويقبلوها يعدل مضمونها أو المزاج العاطفي الذي تحمله ، وهكذا يجعلها أقل ضرراً .

ومن الناحية الفيزيقية ، فإن عناصر الكمبيوتر أكبر وأسرع وأبسط من الإنسان على الأقل في الوقت الحاضر ، لأننا لا نعلم ماذا يمكن أن يحدث في الغد .

نقطة أخرى دعت علماء النفس إلى ضرورة الاهتمام بالكمبيوتر وأبحاثه : لقد برز نتيجة دراسات وأبحاث علماء الهندسة والرياضيات وخبراتهم عن الكمبيوتر ، سؤال من أهم الأسئلة في التاريخ الحديث عن الفلسفة والتكنولوجيا : **هل الكمبيوتر يفكر؟ هل له ذكاء؟**[٧] ، وخرج إلى ميدان العلم مصطلح جديد هو مصطلح **الذكاء الصناعي**[٨] . والواقع أن الكمبيوتر يبدو في بعض الأحيان متمتعاً بقدرات أكثر من الإنسان ، إنه يمكنه أن يعمل ٢٠٠ ألف عملية في الثانية . ويتكلم المهندسون الآن عن عمليات للكمبيوتر أن تتم في واحد على بليون من الثانية . إن هذه السرعة الهائلة تؤدي إلى اقتصار شديد في الوقت والجهود[٩] . إن عمل البشر لعدة سنوات يمكن أن يتم في دقائق بالنسبة للكمبيوتر . ولو أن إعداد البرنامج المناسب قد يستغرق من الإنسان وقتاً طويلاً .

الكمبيوتر والخدمات النفسية

يستطيع الكمبيوتر أن يقوم بجهود ملموسة في بعض مناشط علم النفس الإكلينيكي ، وسنناقش فيما يلي إمكانية قيام الكمبيوتر بدور في حفظ المعلومات الإكلينيكية واستدعائها ، وفي تطبيق الاختبارات النفسية ، وفي المقابلة الإكلينيكية .

دور الكمبيوتر في حفظ المعلومات واستدعائها : إن المعلومات والبيانات الإكلينيكية تكتب وتحفظ في ملفات لإعادة استخدامها والاستفادة منها . ولكن عند حدوث نوبات متعددة ، فإن الرجوع إلى الملفات قد يكون أمراً غير ذي فائدة . فالبيانات قد تكتب بطريقة غير منسقة ، وربما لا يمكن العثور على الملفات المطلوبة ، وربما معالج آخر قد يكون له طريقة مختلفة في كتابة وحفظ المعلومات . لكل هذا فإن حفظ المعلومات عن طريق الكمبيوتر قد يكون أجدى . فالكمبيوتر يجعل من السهل العثور على البيانات المطلوبة واستدعاءها بسرعة فائقة . وهذا الحفظ والتخزين للمعلومات يتيح إلى جانب ذلك استخدامها للدراسة والمقارنة والبحوث العلمية بسهولة ويسر ، ومن أمثلة ذلك أن تمكن **أديسون ويروكس وموتو**[١٠] ، من تصميم نظام يتمكن من حفظ وتخزين المعلومات واستدعائها بواسطة أسئلة ، ويجاب عليها بطريقة سهلة ، ويمكن أن تلقى أسئلة تتعلق بحياة المريض أو الأشخاص المتصلين به . كما يمكن سؤاله عن أي حدث وقع للمريض أو لبيئته من ولادة أخ إلى وقائع في محتويات التفكير . وهذه البيانات تشمل الوقائع المختلفة في حياة المريض ووقت ومكان حدوث كل منها ، ورد فعل المريض بالنسبة لها وردود أفعال الآخرين وهكذا . ويمكن أن يسأل الكمبيوتر عن أنواع خاصة من الوقائع مثلاً كل الوقائع التي تشمل أم المريض أو جميع الوقائع مرتبة حسب حدوثها . وهكذا يمكن مثلاً جمع كل الوقائع التي تخص موضوعاً معيناً من كل السجلات لغرض البحوث .

الكمبيوتر والاختبارات النفسية : يمكن أن يكون للكمبيوتر دور في جمع وتنظيم المعلومات الإكلينيكية من الاختبارات النفسية . إن المفحوص يعطي استجاباته للاختبارات بواسطة تثقيب البطاقة في المكان المناسب ، أو بعمل علامة بقلم خاص يستطيع جهاز التقدير الأوتوماتيكي أن « يرى » هذه العلامات ، وهذا الجهاز يشمل ماكينة للحساب ، فيستطيع أن يجمع التقديرات النهائية أو نتائج الاختبارات الفرعية بطريقة سهلة ، وإيجاد

المتوسطات مثلاً . ومن مزايا هذا الجهاز تجنب الخطأ بعد أن أصبح عد الاستجابات أوتوماتيكياً .

ويبدو التفاعل مع الكمبيوتر بقراءة الأسئلة على شاشة العرض بالكمبيوتر وكتابة الاستجابات ، وبهذا يمكن تجنب تداول بطاقات الاستجابة .

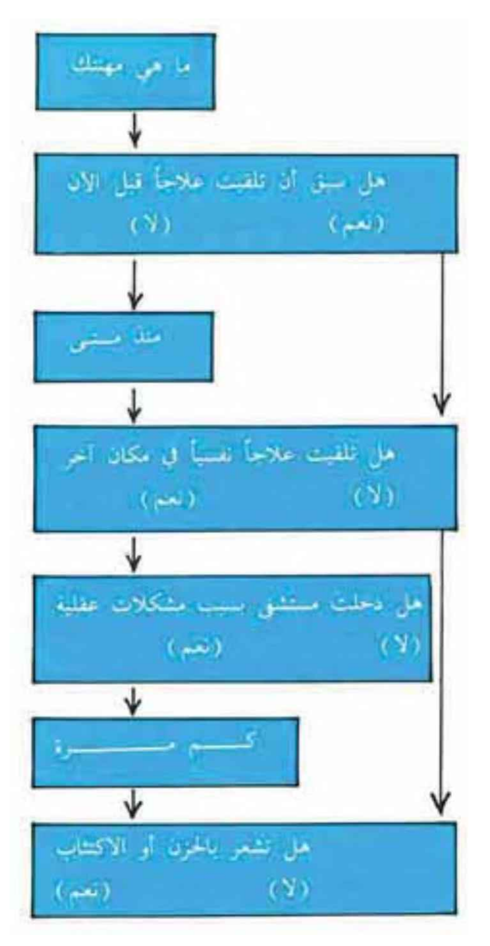
ولا يستخدم الكمبيوتر فقط كآلة حسابية ، ولكن يمكن أن يتخذ قرارات بناء على الاستجابات التي يبديها المريض ، فالأسئلة المتتالية التي تعطى للمفحوص يمكن أن تكون مشروطة بإجابات على الأسئلة السابقة ، بمعنى أن الكمبيوتر يستطيع اختيار السؤال التالي على أساس إجابة المريض بنعم أو لا . وهناك جهود تبدو مشجعة جداً في جعل الاختبارات النفسية أوتوماتيكية .

ومن الإنجازات الكبرى في هذا الشأن جعل بعض الاختبارات الفردية أوتوماتيكية ، ومنها **اختبار وكسلر بلفيو** لذكاء الراشدين ، وجعله أوتوماتيكياً أدى إلى توفير الوقت وجعل شكله مقنناً ، كذلك هناك دراسات عن برمجة بعض الاختبارات التي تساعد في اكتشاف اضطرابات الشخصية ، ومنها **اختبار تفهم الموضوع ، واختبار الرورشاخ ، واختبار مينسوتا** المتعدد الأوجه لقياس الشخصية[11] . ولا يوجد هنا تعقيدات علاقة الشخص بالشخص التي تحدث عادة عند إجراء هذه الاختبارات . على أي حال هناك تفاعل الشخص مع الآلة ، وقد تؤدي إلى حدوث متغيرات جديدة في نتائج الاختبار . ولكن على الأقل فإن الآلة لن تختلف في طريقة تقديمها عناصر الاختبار من شخص لآخر .

ويحتمل أنه ليس بعيداً ذلك اليوم الذي يستطيع فيه الكمبيوتر اختيار الاختبار المناسب للفرد من عدة اختبارات وتطبيقه عليه واستخراج النتائج والخروج بقرارات تشخيصية .

الكمبيوتر والمقابلة الإكلينيكية : وهناك أيضاً محاولات تبدو مشجعة لجعل عملية المقابلة أوتوماتيكية ، والمقابلة في أساسها مجموعة من الأسئلة . والإجابة الإيجابية لأحد الأسئلة تحذف من الكمبيوتر الأسئلة الفرعية التي تصبح غير ذات موضوع ، ومثل هذا الجهاز يشبه جهاز IBM 360/50 Computer وأعطى اسم (CASE) Computer Assisted Special Enquirer ، ويستخدم في استنباط المستوى العقلي ، وفي تحديد معلومات التاريخ الشخصي والقياس النفسي بدون مساعدة من القائم بالمقابلة . والمريض يجلس أمام الآلة الكاتبة الملحقة بالكمبيوتر التي يستجيب لها . أما الأسئلة فتطبع بواسطة الآلة الكاتبة وتظهر على شاشة الفيديو أمام المريض .

وهذا مثال الخريطة Flow - chart يبيّن تفريع الأسئلة[12] .



هذا والإجابة بنعم تنقل السؤال إلى سؤال آخر ، والإجابة بلا تنقله إلى سؤال مخالف ، واتجاهات الأسئلة قد تتلاقى مرة أخرى . وهكذا فإن الآلة تستطيع أن « تدرك » أن السؤال التالي يتوقف على إجابة المريض كما يفعل القائم بالمقابلة من البشر تماماً .

إن رسم خرائط الأسئلة يمكن أن تكون عملية طويلة معقدة وهي تمثل الصعوبة في مثل هذا النظام . والكمبيوتر يستطيع أن يسأل الأسئلة أوتوماتيكياً ، ولكنه لا يستطيع أن يضع أسئلة من عنده . والمشكلة الرئيسية في المقابلات النفسية هي تقرير ما هي الأسئلة التي تلق .

وفي مثل هذه المقابلات الأوتوماتيكية يمكن أن نحصل على المعلومات من أقارب المريض أو من هيئة المستشفى ، ويمكن أن تجمع هذه المعلومات وتخزن في ملف المريض بالكمبيوتر . كذلك يمكن أيضاً أن تخزن نتائج مقاييس مثل الرسام الكهربائي للمخ EEG ومتغيرات فسيولوجية أخرى .

ويمكن أيضاً أن يوضع في الخطة أثناء المقابلة الإكلينيكية مقياس لسرعة القلب وعمل برنامج مناسب لذلك ، بحيث إذا زادت سرعة القلب زيادة ملحوظة ، يمكن أن يُطَمأن المريض ويطلب منه الاسترخاء .

نموذج

وفيما يلي مثال لجزء من مقابلة قام بها الكمبيوتر (بناء على أحد البرامج المعدة طبعاً)[13] :

المريضة	:	**الرجال جميعاً متشابهون .**
المعالج	:	في أي شيء .
المريضة	:	**إنهم جميعاً يبحثون عن شيء غير نظيف .**
المعالج	:	هل تستطيعين أن تفكري في مثال معيّن .
المريضة	:	**حسناً ، قريبي جعلني أحضر هنا .**
المعالج	:	قريبك جعلك تحضرين هنا .
المريضة	:	**إنه يقول إني مكتئبة في أغلب الوقت .**
المعالج	:	أنا آسف أن أسمع أنك مكتئبة .
المريضة	:	**هذا صحيح ، إني غير سعيدة .**
المعالج	:	هل تعتقدين أن حضورك هنا يمكن أن يساعدك في أن تصبحي سعيدة .
المريضة	:	**أنا أحتاج إلى مساعدة وهذا مؤكد .**
المعالج	:	ماذا يعني بالنسبة لك إذا حصلت على مساعدة .
المريضة	:	**ربما أستطيع أن أتعلم أن أتفق مع والدتي .**
المعالج	:	اذكري لي أكثر عن عائلتك .
المريضة	:	**أمي تهتم بي .**
المعالج	:	من أيضاً في الأسرة يهتم بك .

المريضة	:	**والـــــدي .**
المعالج	:	والــــدك ؟ .
المريضة	:	**إنك تشبه والدي في بعض النواحي .**
المعالج	:	ما هو الشبه الذي ترينه .
المريضة	:	**إنك لست شديد العدوانية ، ولكني أعتقد أنك لا تريدني أن ألاحظ ذلك .**
المعالج	:	ما الذي جعلك تعتقدين أني لست شديد العدوانية .
المريضة	:	**إنك لا تجادل معي .**
المعالج	:	لماذا تعتقدين أني لا أجادل معك .
المريضة	:	**لأنك خائف مـني .**
المعالج	:	هل يسرك أن تعتقدين أني خائف منك ؟ .
المريضة	:	**والدي يخاف من كل شخص .**
المعالج	:	وماذا أيضاً يحضر إلى ذهنك إذا فكرت في والدك .
المريضة	:	**المستأسد المتنمّر .**
المعالج	:	هل لهذا علاقة بحقيقة أن قريبك جعلك تحضرين إلى هنا .

هذا البرنامج يظهر القدرة على تأويل الاستجابات ، وعمل استجابات أخرى بواقعية مرنة جداً . فهناك كلمات معيّنة تجعل الأسئلة تنتقل إلى نواحي معيّنة . مثلاً عبارة **كل شخص** تجعل الكومبيوتر ينتقل إلى سؤال عن التفاصيل ، وكلمة أم تجعل الكبيوتر يسأل عن الأسرة وهكذا .

وإعداد مثل هذه البرامج ، ولو أنها تخضع لقواعد معيّنة ، إلا أن هذا الأمر ليس من السهولة بمكان . ومع ذلك فإن المقابلات **السيكودينامية** ليس من المحتمل ـ على الأقل في المستقبل القريب ـ أن يقوم بها الكبيوتر .

ميزة أخرى للمقابلة الأوتوماتيكية ، وهي أن عدة مقابلات يمكن أن تجرى للمريض خلال فترة العلاج ، وهكذا يمكن تقدير مدى تقدم العلاج . ومن الممكن عمل برنامج لمقابلات مقدماً ، بحيث يمكن تحذير المعالج من الأزمات التي قد يتعرض لها المريض ، وتزويد المعالج بمعلومات يومية بحيث يمكن مثلاً تعديل جرعات الأدوية .



وبالطبع كفاءة ونجاح المقابلة تعتمد على كفاءة البرنامج ، كما تعتمد على المعلومات المعطاة . وقد وجد أن تنبؤات تتأثر بعامل السن والثقافة ؛ فالشباب والمثقفون يتفاعلون أحسن مع الكبيوتر[14] .

خلاصة

لعلنا نحاول فيما يلي تقييم عملية استخدام الكبيوتر في مجال علم النفس الإكلينيكي فنقول : إن هناك ميزة كبرى وهي توفير الوقت ، فالأخصائي يقوم باستعادة نتائج المقابلة وقراءتها قبل أن يقوم بعملية التشخيص . ميزة أخرى أن المقابلة بهذه الطريقة تصبح مقننة ، وذلك لأن طرق المقابلة تصبح واحدة . والكمبيوتر لا يتغيّر من حيث كونه طرفاً في التفاعل مع المريض ، ولذلك فإن هذه الطريقة تتيح المقارنة الدقيقة بين المقابلات ومن المحتمل أن نتائج التشخيص قد تتأثر عن طريق الاختلاف في المقابلة .

إن المقابلة المبنية على أساس الكبيوتر تكون مقبولة جداً من المرضى ، فهي تسمح لهم بالإجابة : نعم ، لا ، لا أعرف ، لا أفهم . وتدل استجابات المرضى على أنهم لم يجدوا صعوبة في التعامل مع الكبيوتر ولم يكرهوا المقابلة بهذه الوسيلة بل وجدوها مشوقة[15] .

إن الكبيوتر قد اقتحم مجال علم النفس الإكلينيكي ، فأصبح مساعداً بل مشاركاً للأخصائي النفسي الإكلينيكي في عمليات التشخيص والعلاج . وقد رأينا بعض الأمثلة التي يمكن أن يقدمها الكبيوتر في حفظ المعلومات واستخراجها ، وفي تأويل الاختبارات ، وفي إجراء المقابلات الإكلينيكية . ولن يكون بعيداً ذلك اليوم الذي يستطيع فيه الكبيوتر أن يقوم بدور أساسي لا يمكن الاستغناء عنه في مجال علم النفس الإكلينيكي .

المراجع

١ ـ ماهر الهواري : الذكاء الصناعي ، مجلة «الفيصل» ، العدد ٦٦ ، ذو الحجة ١٤٠٢ هـ ، أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٢ م .

٢ ـ نوربيرت فينر : السيبرنتيكا ، ترجمة رمسيس شحاته . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ م .

٣ ـ Apter, M. : The Computer Modelling of Behavior. In Apter, M. & Westby, G. (Eds) The Computer in Psychology. John Wiley. London. 1973.

٤ ـ Fink, D. : Computers and the Human Mind. Anchor Books Garden City. New York. 1966.

٥ ـ Kleimuntz, B. : Clinical Information Processing by Computer. Holt. New York. 1969.

٦ ـ Marx, M. & Hillix, W. : Systems and Theories in Psychology. Mc Graw. New York. 1973.

٧ ـ Robinson, J.. The Computer in Clinical Psychology. In Apter, M., Westby, G. (Eds) The Computer in Psychology. John Wiley. London. 1973.

٨ ـ Weinderg, G. : The Psychology of Computer Programming. Von Nostrand 1971.

الهوامش

(١) نوربيرت فينر : السيبرنتيكا ، ترجمة رمسيس شحاته ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ م ، ص ١٨٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٨ .

(٣) Fink, D. : Computres and the Human Mind. Anchor Books. Garden City. New York. 1966. P. 5.

(٤) Apter, M. . The Computer Modelling of Behavior. In Apter, M and Westby, G. (Eds) The Computer in Psychology. Wiley. London, 1973.

(٥) نوربيرت فينر ، المرجع السابق ذكره ، ص ٢١١ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

(٧) Fink, D., Computers and the Human Mind. P. 7.

(٨) ماهر الهواري : الذكاء الصناعي ، مقال بمجلة «الفيصل» ، العدد (٦٦) ، ذو الحجة ١٤٠٢ هـ ، أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٢ م .

(٩) Marx, M. & Hillix, W.: Systems and Theories in Psychology. Mc graw. New York. 1973. P. 114.

(١٠) Robinson, D. : The Computer in Clinical Psychology. In Apter, M & Westby, G (Eds) The Computer in Psychology. John, Wiley. London. 1973. P. 221.

(١١) Weinberg, G.: The Psychology of Computer Programming. Van Norstand. 1971. P 153.

(١٢) Robinson. D : The Computer in Clinical Psychology. P. 224.

(١٣) Kleinmuntz, B. : Clinical in formation Processing by Computer. Holt. New York. 1969.

(١٤) Apter, M.: Op. Cit P. 226.

(١٥) Robinson, D. : Op. Cit P. 225.

يمكننا أن نقول ما دون تحرج ، إن الشعر العربي في العصر الحديث قد مر بثلاث مراحل مختلفة تمثل حركة تطوره ، ولقد تميّزت كل واحدة منها بخصائص فنية مميّزة ، ويشكل شعراء المرحلة الأولى بما يسمى بالمدرسة الاتباعية التي اصطلح أخيراً على تسميتها بالمدرسة الكلاسيكية الجديدة ، ثم يأتي بعد ذلك مجموعة شعراء المرحلة الثانية أو المدرسة الابتداعية التي أطلق عليها المدرسة الرومانسية .

وتأتي بعد ذلك المرحلة الثالثة التي أطلق على مجموعة شعرائها اسم مدرسة الشعر الحر أحياناً ، والشعر المنطلق أحياناً أخرى ، أو شعراء التفعيلة ، وعلى وجه العموم فقد سميت بمدرسة الشعر الجديد .

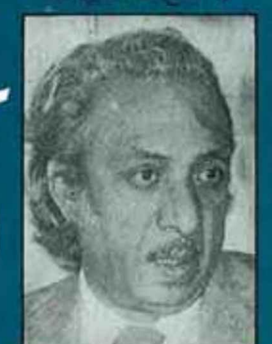
مدرسة الشعر الحر (الجديد)

يقول الشاعر الإنجليزي « ستيلفن سبنسر » عن القرن الثامن عشر الميلادي ، في إنجلترا إنه كان قرناً محافظاً ومحدود الأفق ، وإن كانت هذه المقولة تنسحب على القرن الثامن عشر الميلادي ، وعلى الإنجليز ، فإن القرن العشرين الميلادي ، والوجه العربي منه بصفة خاصة كان مختلفاً تماماً ، فلقد كان هذا القرن عاصفاً ودموياً ومهيئاً لتغيرات لا حد لها ، إذ كان عرضة للتيارات الجديدة وفي مهب الريح العاتية القادمة من كل حدب وصوب ، التي كانت تهب عليه حاملة معها حبوب اللقاح فتبعث فيه الحلم والاندفاع نحو تحقيق الأهداف الوطنية العليا .

ولقد جاء القرن العشرين مليئاً بالأحداث الكبرى وعلى رأسها حروب عالمية أدت إلى انشطار العالم إلى قوتين متناقضتين عقائدياً واجتماعياً واقتصادياً ، وعندما انتصف هذا القرن الدامي كان الوطن العربي يعيش صميم مشاكله التي توسطت قلبي العالم ، ثم اهتماماً بالغاً به من قبل الدول الاستعمارية نظراً لما يمتلكه العرب من امتيازات فائقة في المجالات الاقتصادية والجغرافية والسياسية والاستراتيجية ، وهذه الخصائص مجتمعة أسالت لعاب مستغلي الشعوب والباحثين عن الثروات البكر في المناطق الوديعة .

وفي هذا الوقت كانت عباءة الرومانسية تغطي الجزء الأكبر من مدارس الشعر العربي إن لم يكن كله ، وكانت في أوج مجدها وذروة تفتحها واندفاعها العذب الحزين ، عندئذ لم يكن في مقدور أحد من شعراء المرحلة أن يطاول صوت الشاعر الرومانسي **علي محمود طه أو إبراهيم ناجي أو محمود حسن إسماعيل** ، إذ كان هؤلاء أبرز فرسان تلك المدرسة الرومانسية العربية وقادتها ، الذين أشاعوا أنغامهم وهمومهم وطبعوا الكثير من قصائد تلك الفترة بطابعهم الخاص التي امتلأت بالحنين الموجع الغامض والنفور من حياة المنطق والرغبة فيما وراء الواقع ومقاطعة كل ما هو أرضي وبشري ، فلقد كانوا مأخوذين بهاجسهم


★ نازك الملائكة ★ ★ السياب ★ ★ البياتي ★


★ صلاح عبد الصبور ★

★ أحمد عبد المعطي حجازي ★

لماذا كانت مدرسة الشعر الحر؟

بقلم : د . أحمد التهامي أحمد

الذاتي وخيالاتهم الجامحة الأنيقة المعزولة ، واهتماماتهم الخاصة التي كانت في معظمها قاتمة وخيالية .

التأثر

ولعل النضوج الفكري للطبقات العاملة أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية ، وانتشار الوعي السياسي بين صفوة المثقفين العرب ، لا سيما بعد اندحار **الفاشية** وسقوط **النازية** على يد الشعوب المكافحة ، كل هذه العوامل هي التي فرضت على الشعر العربي ضرورة أن يتمخض عن أشكال جديدة تستطيع أن تتخلص من تأثيرات الرؤيا الشكلية السائدة للوجود ليستقيم لها رؤية جدلية واعية ومتينة ، وهو الذي يشكل الأرضية الاجتماعية الروحية التي جعلت لتجارب الشعوب الأخيرة في مجال الإبداع الفني قيمة حقيقية في حياتنا وأساليبنا التعبيرية ، ومهدت السبيل لها لكي تأخذ موقعاً متقدماً من حركة الشعر العربي المعاصر الذي غلبت عليه النزعة الرومانسية ، ولا سيما في الحقبة الواقعة بين **الحربين العالميتين الأولى والثانية** ، ووصلت إلى ذروتها في الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين الميلادي ، في الوطن العربي ، أما في أوروبا ، فقد كانت الرومانسية تلفظ أنفاسها الأخيرة تحت جحافل تلك الحملة التي قادها الناقد والفيلسوف الإنجليزي «**ت . هيوم**»[1] ، الذي وجّه الأنظار إلى بزوغ فجر **الكلاسيكية** في النقد الأدبي ، حيث وجّه ضربة قاضية إلى مدرسة الشعر الرومانسي حينما أعلن قائلاً : «إنني أعارض شعراء الرومانسية ، وحتى الصفوة المختارة منهم ، وأعارض أكثر من ذلك موقفهم السلبي ، فأنا لا أوافق على ولهانيتهم المتيمة ، إذ إنهم لا يعتبرون القصيدة شعراً ما لم يكن بها أنين أو استغاثة بالنسبة لشيء أو آخر» .

والسبب في ذلك في رأي الشاعر هيوم هو «أن فحوى الشعر في نظر غالبية الناس هو إيجاد آفاق مترامية يقودهم إليها ، وقد ينطوي الشعر المحاط بسياج أرضي محدد كما هو في معظم أشعار «**كيتس**» التي تحتوي على كتابة جيدة وصنعة ممتازة ، لكنه خارج عن نطاق الشعر في نظرهم وهكذا ضللتنا الرومانسية إلى الحد الذي نرفض أن تنعت الشعر بالسمو ما لم يعتر شكله الغموض .

ومن هذا المنطلق بدأت حملة الشاعر والناقد والمسرحي الفذ **ت . اس . إليوت** على الشعراء الرومانسيين ، فهو تحذير من التمادي والشطط في التعبير ، لأنها أمور غالباً ما تؤدي إلى الزلل المحقق ، ويرى إليوت أن مهمة الشاعر لا تنحصر في الاتيان بالتعابير البراقة والأساليب المنمقة والمعاني الخلابة ، بل إنها تتركز في الإشادة بالأمور العادية ، وتتجلى براعة الشاعر وحذقه في صياغة هذه الأمور الجارية ومزجها بعضها ببعض لتبدو لنا في ثوب رائع جميل ، لهذا فإن نزعة الشعراء الرومانسيين في تعريف الشعر بأنه الوجدان الذي نسترجعه في هدوء لا محل لها هنا لأن الشعر في نظر ت . اس . إليوت تركيز لا استرجاع .

المدرسة الجديدة

ولقد جاءت هذه المدرسة الجديدة كولادة متعثرة لعوامل سبق ذكرها ، ومن ثم فلقد كان نتاجها من الشعر لم يكن خالصاً وخالياً من أي شوائب سابقة ، لا سيما في مراحلها الأولى التي شقت دياجير الرومانسية ، لأن معظم شعراء هذه المدرسة وروّادها كانوا في مستهل حياتهم الفنية متأثرين بأجيال الشعراء الرومانسيين الذين سبقوهم ، ولكن سرعان ما أخذت معالم التجربة الجديدة تتضح وتشق طريقها وتخلص من كل ما شابها من رواسب المدرسة الرومانسية .

بواكير المدرسة الجديدة

في نهاية الأربعينات ، وبالتحديد منذ عام ١٩٤٨ م ، بدأت ثمار هذه المدرسة ونتاجها يطلع على العالم العربي ، وكانت أولى مقدماتها وبواكير أعمالها متمثلة في دواوين الشعراء العراقيين **عبد الوهاب البياتي ، وبدر شاكر السياب ، ونازك الملائكة** ، والحقيقة التي لا ينكرها أحد أن هؤلاء الشعراء الثلاثة كانوا بمثابة الأضلاع الأساسية في صرح هرم مدرسة الشعر الحر .

وككل جديد على الأرض ، فلقد لقيت هذه المدرسة الجديدة في بداياتها حملة شعواء من النقد اللاذع ، وقد وصل إلى حد اتهام شعرائها وشعرها بالخروج على تقاليد الشعر العمودي ، وقالوا إنه شعر بلا وزن ولا قافية ، كما اتهمت لغة هذا الشعر الجديد بأنها نثرية مبتذلة ، ولكن مع مضي الزمن استطاعت هذه الحركة أن تشق طريقها ، وأن تجذب إليها الكثير من شعراء هذه النزعة الجديدة في شتى أرجاء الوطن العربي ، حتى أصبحوا الآن أغلبية لا يمكن حصرها .

وفي **مصر** ، فلقد طلع على الناس **شاعران عظيمان هما : صلاح عبد الصبور ، وأحمد عبد المعطي**

لماذا كانت مدرسة الشعر الحر؟



★ أدونيس ★ ★ خليل حاوي ★

حجازي ، أحدثنا ما يشبه الضجة والمفاجأة في الأوساط الأدبية التقليدية من خلال ما قدماه من دواوين شعرية لم يعهدها الناس من قبل ، فقد فوجئ هؤلاء الناس بأشكال جديدة وأنماط مستحدثة على الشعر الذي ورثوه من المدرسة الرومانسية ، وتميّزت هذه الأعمال الإبداعية بمقومات اختلفت في مفاهيمها ومضامينها عما سبقها ، وكان جوهرها مرتبطاً بحقيقة هامة هي أن الشعر الجديد ينبغي أن يعبّر عن معاناة حقيقية للواقع الذي تعيشه الإنسانية المعذبة ، وأن أي قصيدة إنما هي تجربة إنسانية مستقلة في حد ذاتها ، وأن الشعر ليس مجموعة من العواطف والمشاعر والأخيلة ، بل إن الشعر ما هو إلا طاقة تعبيرية تشارك في خلقها كل القدرات والإمكانات الإنسانية مجتمعة ، وأن موضوعات الشعر هي موضوعات الحياة عامة وتعبّر عن لقطات عادية تتطور بالطبيعة والحتمية لتصبح كائناً عضوياً يقوم بوظيفة حيوية في المجتمع ومن أهمها أن يكشف عما في الواقع من الزيف ومواطن التخلف وحفز الناس على تغييره . هذا بالإضافة إلى أن وظائف هذا المولود الجديد تهدف وتسعى إلى تحقيق مجتمعات أفضل تنتشر بين ربوعها العدالة ويسود السلام والطمأنينة .

وإذا كان شعراء المدرسة الرومانسية قد نجحوا في تحقيق الوحدة الموضوعية للقصيدة الشعرية ، فإن شعراء مدرسة الشعر الحر قد وفقوا في تحقيق الوحدة العضوية المبنية على التناسق العضوي بين موسيقى اللفظ أو الصورة وحركة الحدث أو الانفعال الذي يتوفر عليه الشاعر . وإن هذا بدوره يؤدي إلى إبراز مظاهر النمو العضوي للانفعالات والمشاعر ، ومن هنا نستطيع أن نتفهم لماذا كان الشكل الجديد للقصيدة العربية أقربُ معانقة لروح العصر الذي نعيشه ، وأكثر استيعاباً لمضامينه الحية ، بالإضافة إلى ما يمتاز به من مرونة في موسيقاه ، حيث تتلوّن بتلوّن الانفعال ، وتنمو بنمو الموقف وديمقراطية اللغة ، حيث تقترب هذه اللغة من الإنسان العادي في الشارع والمصنع والحقل ، وكذلك بما يرمز إليه من تعدد في التشكيل ، وثراء في التركيب ، وموضوعية في الرصد ، وشمولية في التمثل ، والهروب من الذات .

ولكل هذه الأسباب مجتمعة استطاع ويستطيع هذا الشكل الحديث للقصيدة العربية الجديدة ، التعبير في ما عداها من أشكال تقليدية أو رومانسية ، فيما يتناول من موضوعات تعالج وتتناول قضايا الإنسان المتشعبة ، وأهمها الرفض لكل قديم بالٍ ، والوثوب إلى آفاق أرحب من التعبير الحر غير المقيد بأعباء القافية والوزن .

ونتيجة لهذا المنطلق الفكري الحديث ، فلقد ولى العصر الذي كانت فيه القصيدة لا تحتاج إلى أكثر من وعي الشاعر الخاص بالكون والإنسان من حيث هو جوهر مستقل ، وكيف يكون هذا المفهوم تجاه عصرنا اليوم عصر العلوم والتقنية العالية ، وهذا ما يزيد الحاجة إلى القصيدة التي يجتمع فيها وعي الجمهور حيث تتجسد النظرة الموضوعية والرؤية التركيبية والموقف المنحاز لعملية البناء والتقدم . وهذا ما ينبغي أن يتضمنه هذا الوعي ويلزم الشاعر المعاصر أن يتمثله ليكون مؤثراً في الفعل والحدث الذي يحيط به من ضرورات التطور وإمكاناته .

ولقد جاءت خمسينات هذا القرن بالشكل الجديد للقصيدة العربية ، وكانت إرهاصاتها قد بدأت في الأربعينات ، بل ولا نكون مبالغين في الثلاثينات ، من أجل التحرك إلى مرحلة جديدة مدعاة للبحث عن أشكال جديدة في التعبير لتواكب هذا الجديد من الفكر المرن ، حيث مكنت مطاطية الشكل الجديد ، وحرية الحركة ذات الطاقات غير المحدودة في التعبير ، لكي يتسع لهذا التجديد أن يحتويه في معظم محاولاته خصوبة وأنضجها عطاءً ، ومن ثم فلقد اتصل عطاء هذا الشكل الذي جاءت به خمسينات هذا القرن ، ولم يتوقف عند حد كما توقفت الصيغ والأشكال التي سبقته .

ولقد وجدت مدرسة الشعر الحر الكثير من المريدين ، وترسخت بصورة رائعة في جميع البلدان العربية بدءً بالبياتي والسياب والملائكة في العراق في الأربعينات ، ثم ما لبثت هذه الدائرة أن اتسعت في الخمسينات ، فضمت إليهم شعراء مصريين آخرين مثل : **صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي** ، وفي لبنان ظهر **أحمد سعيد** (أدونيس) ، **وخليل حاوي ويوسف الخال** ، وكذلك **فدوى طوقان وسلمى خضراء الجيوسي** في فلسطين ، أما في السودان فقد برز في الأفق نجم كل من **محمد الفيتوري وصلاح أحمد إبراهيم** .

ولا شك أن أهم ما يعكسه الشعر الحر هو في أنه يقدم ، من حيث الموقف ، صياغة رقيقة لآمال هذا الجيل وتطلعاته ، وهو في حد ذاته يعتبر نقلة هائلة على مستوى جماليات القصيدة المعاصرة ، التي تحولت من الغناء إلى الدراما ، ومن البساطة إلى التركيب ، ومن استلهام التراث القومي إلى استيحاء التراث العالمي .


★ فدوى طوقان ★


★ صلاح أحمد إبراهيم ★


★ سلمى خضراء الجيوسي ★

.. أوجه الشبه بين نظريتي

بقلم : د. محمد مصطفى زيدان

للشخصية تعريفات كثيرة يختلف بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً من أهمها : أن الشخصية تكوين كلي معقد ، يجعل لكل فرد طابعه الخاص الذي يميّزه عن غيره ، بحيث لا يوجد اثنان متشابهان تشابهاً كاملاً ، لهذا يمكن أن نعرّف الشخصية بأنها النمط الفريد لسمات الفرد ، وهذا يؤكد الفروق الفردية بين الناس ، وهذه الفروق هي الأساس في القياس النفسي ، إذ إنه لا توجد معايير مطلقة للسلوك الإنساني ، بل تقوم على مقارنة الأفراد بعضهم ببعض ، وتحدث المقارنة عادة بين جانب من الجوانب أو عدد محدود منها ، والجوانب أو الخصائص التي نضعها في اعتبارنا هي السمات .

لاحظ بافلوف ، أثناء تجاربه على الكلاب ، أن هناك نمطين من الكلاب :

● **النوع الأول :** يستجيب بسرعة في التجارب الشرطية ، فيتميّز بسرعة الاستجابة للمؤثرات الشرطية ، ويظل محتفظاً بهذه الاقترانات الشرطية مدة طويلة نسبياً ، **أطلق عليه بافلوف النمط الاستثاري** . وهو يقابل عند **أبقراط « النمو الصفراوي »** الذي يتميّز صاحبه بقوة الجسم والعنف وسرعة الغضب .

● **النوع الثاني :** من الكلاب هو الذي يستجيب للمؤثرات الشرطية ببطء ، ولا يحتفظ بهذه الاقترانات مدة طويلة ، فالاقترانات هنا ضعيفة وغير ثابتة ، **وأطلق عليها بافلوف اسم النمط الكفي Inhibitory** وهو يقابل عند **أبقراط « النمط السوداوي »** ، وصاحبه متأمل ـ بطيء التفكير ـ متشائم ينزع إلى الاكتئاب ، وهو إلى جانب هذا قوي الانفعال ثابت الاستجابة .

واكتشف بافلوف نوعاً ثالثاً يمتاز بأنه يستجيب للمؤثرات الشرطية المختلفة بطريقة ثابتة ، وقسّمه إلى نوعين :

★ **نمط يمتاز بالحيوية والنشاط** ، ويقابل عند **أبقراط « النمط الدموي »** ، ويرى أبقراط أن صاحبه متفائل ـ مرح ـ نشط ، ممتلئ الجسم ـ سهل الاستثارة ـ سريع الاستجابة ، تعوزه القوة والثبات ـ متقلب في سلوكه Sanguin .

★ **النمط الآخر ـ عند بافلوف ـ يمتاز بالهدوء والثبات ،** يقابله عند **أبقراط « النمط البلغمي »** ، وصاحبه بطيء الاستثارة والاستجابة ـ خامل ـ بليد ـ شحل الانفعال ـ بدين ـ يميل إلى الشره Phelegmatic .

في هذا المجال من العرض يحين مجال السؤال الذي أقيم البحث المنشور في حلقات مستقلة في أعداد هذه المجلة أحدهما بعنوان « ما الذي أسهم به علم النفس التجريبي ؟ » ، والآخر بعنوان « الاتجاه السلوكي في علم النفس » ، والسؤال هو :

ما الذي أسهم به كل من علم النفس التجريبي ، والسلوكية والتشريط البافلوفي في تطور دراستنا للشخصية ؟ .

أولا : التجريب

حينما حاول **أيزينك** ومعاونوه وصف الشخصية بأقل عدد ممكن من السمات العريضة ، أو الأبعاد أو المحاور الرئيسية ، المستقلة غير المتداخلة قاموا بهذا العمل عن طريق الاختبارات الموضوعية الثابتة الصادقة من جهة ، **وكان منهجه التجريب والقياس من جهة ثانية** ، ثم كان أدواته التحليل العاملي من جهة ثالثة .

كان اهتمام المنهج السلوكي مركزاً عند نظرية المثير والاستجابة ، التي أطلق عليها كل من **ميللر ودولارد** « النظرية النوعية في الشخصية » **كان الاهتمام مركزاً في عملية التعلّم ، أي في كيفية اكتساب أساليب سلوكية معينة عن طريق الخبرة ، وأتبع (الأسلوب العلمي) أي المنهج العلمي في البحث والتفسير ، الذي يعتمد على ما هو ملاحظ أو ما هو قابل للملاحظة . كما أن دراستها كانت تقوم على أساس البحوث التجريبية العملية .**

التشريط البافلوفي وأبو قراط في الأمزجة

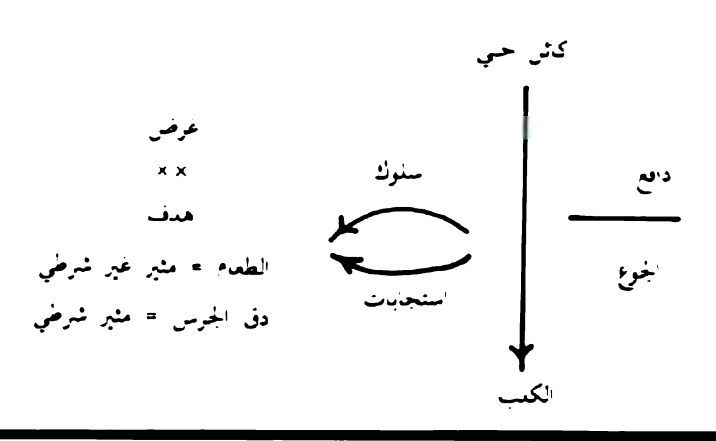
ثانيا : السلوكية

إن نظريات المثير والاستجابة ـ في تفسير الشخصية ـ **قد قدمت لنا تفسيراً لكيفية حدوث تعديل في السلوك بناء على الخبرة ، وكيف يتشكل السلوك في صور مختلفة فتأتي الشخصيات متمايزة متباينة . وهذا هو فحوى الشخصية** الذي شملت كثير من النظريات الأخرى في تفسيره بوضوح وجلاء . وبعبارة أخرى كان هدف نظرية المثير والاستجابة لميلر ودولارد من البداية تفسير الطريقة التي يكتسب بها الفرد أساليب سلوكية جديدة ويحتفظ بها .

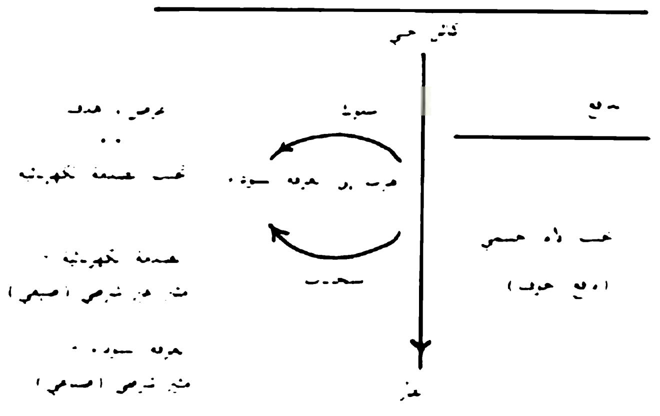
ثالثا : التشريط البافلوفي

الدافع : اهتم بافلوف بدافع الجوع عند الكلب ، **ويتشرف** بدافع تجنب الألم الجسمي عند الكلب ، وكذا . . ما يثير في تجارب الأطفال ، **ونجد هذا ملاحظاً عند نظرية المثير والاستجابة التي ذكرت أن هناك الدوافع الموروثة أو الأولية . وهذا النوع من الدوافع متصل بالعمليات الفسيولوجية . ولا بد للفرد من إشباعها إذا كان له أن يعيش . كما أنه بنمو الفرد تنمو معه مجموعة كبيرة من الدوافع الثانوية ، وتصبح عاملاً مهماً في سلوكه . وتشتق هذه الدوافع الثانوية من الدوافع الأولية .**

*** التعلم عند بافلوف**



*** تعلم الدوافع الثانوية عند ميلر ودولارد**



وهناك وجه شبه كبير أو تطابق إلى حد ما . بين أسس التعلم وخصائصه عند الشرطيين من جهة ، ونظرية المثير والاستجابة أو نظرية العادات النوعية لميللر ودولارد من جهة أخرى :

بافلوف

الدافع : كان من العوامل الهامة في نجاح تجارب بافلوف قوة الدافع الأولي وهو دافع الجوع .

الاستجابة : سيلان اللعاب .

التعزيز : لا بد من تقديم المثير غير الشرطي من آن لآخر لتعزيز العلاقة الشرطية .

الانطفاء : أي استجابة شرطية تزول وتنتهي إذا لم تعزز من آن لآخر .

ميللر ، ودولارد

طبيعة الاستجابة لدافع يثير الفعل ويكون بعد ذلك الدليل . توجيه أو تحديد .

فالدليل : مثير يوجه الفعل أو الاستجابة التدرج الهرمي الأولي والمكتسب الاستجابة .

التدعيم : يتم عن طريق خفض الدافع أو خفض التوتر الناشئ عن دافع . أي عن طريق مكافأة الفعل والثواب

التثبيط: تنحل العادات أو تضعف إذا تكررت الاستجابات دون تدعيم . وهذا ما يسمى بالتثبيط .


★ د. ناصر الدين الأسد ★

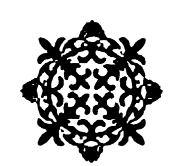

★ د. محيي الدين صابر ★



★ د. حسني سبح ★


المؤتمر الخامس للتعريب

بقلم: د. يحيى عبد الرؤوف جبر



عقد في عمان، في الفترة ما بين السابع إلى الحادي عشر من المحرم، الموافقة لما بين الحادي والعشرين إلى الخامس والعشرين من أيلول (سبتمبر) من هذا العام، المؤتمر الخامس للتعريب، وذلك في قاعة الاجتماعات بمجمع اللغة العربية الأردني، وبمشاركة فعالة من ست عشرة دولة عربية إلى جانب ثمان من المنظمات والهيئات العربية المتخصصة.

وقد شارك في هذا المؤتمر، الذي افتتحه **الدكتور ناصر الدين الأسد** وزير التعليم العالي، مندوباً عن **الملك حسين، الدكتور محيي الدين صابر** المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مع وفد يمثل المنظمة يتألف من تسعة أفراد.

وفي الجلسة الأولى، تم انتخاب رئاسة المؤتمر وإقرار مشروع جدول الأعمال، وتشكيل لجنة الصياغة، إضافة إلى اللجان المتخصصة التالية:

١ ـ لجنة مشروع معجم التربية.

٢ ـ لجنة مشروع معجم العلوم العامة، والعلوم النووية.

٣ ـ لجنة مشروع معجم النباتات.

٤ ـ لجنة مشروع الكيمياء العامة.

٥ ـ لجنة مشروع معجم الألعاب الرياضية ـ القسم الأول.

٦ ـ لجنة مشروع علم الاجتماع.

٧ ـ لجنة مشروع المعجم العربي للمصطلحات الإحصائية والديموغرافية.

٨ ـ لجنة مشروع القاموس العربي لمصطلحات السكك الحديدية.

٩ ـ لجنة مشروع المعجم العربي لألفاظ العلوم الزراعية ومصطلحاتها.

وقد استمرت اجتماعات اللجان المتخصصة طيلة الأيام الأربعة الأولى. وفي اليوم الخامس، قدمت التقارير التي أعدتها هذه اللجان لرئاسة المؤتمر، ثم بدأ المشاركون بإلقاء بحوثهم ومناقشتها. وقد شارك في ذلك كل من:

أ ـ **الدكتور جميل الملائكة (العراق)**. وتناول في بحثه قضايا التعريب ومشكلاته، والحلول التي يتصورها لهذه المشكلات. ويشغل الدكتور الملائكة منصب أستاذ الهندسة المدنية بجامعة بغداد، وهو عضو المجمع العلمي العراقي. وقد بدأ حديثه بالصعوبات المتمثلة على طريق التعريب، وعارض الفكرة التي تنادي بتأجيل التعريب إلى أن يتم وضع المصطلحات **مؤكداً أن التداول والتعريب هما اللذان يصنعان المصطلحات وليس العكس**. كما أن التعريب هو الذي يعطي المصطلحات إلى التوحيد أكثر مما تعطي به المؤتمرات التي تعمل على تنسيق التعريب وتوحيد المفردات. والدكتور الملائكة يقرر في بحثه أن عدم توحيد المصطلحات لا يشكل عقبة في طريق التعريب، وضرب لذلك بعدد من الأمثال في الإنجليزية.

ثم عرض لبعض خصائص العربية، وما تمتاز به على غيرها من اللغات الأخرى، وأردف بضرورة الارتقاء بالعربية على إخضاعها لقواعد اللغات الأجنبية، وفي هذا الصدد أشار إلى جهود السلف في تعريب العلوم عن اليونانية والهندية.

وفي مجال المصطلحات هاجم الدكتور الملائكة استعمال ألفاظ نصفها عربي ونصفها الآخر أعجمي، وبذلك لم يفلح الحل أمام المعربين. **وهو أن المصطلح يوضع لأدنى علاقة بالمعنى**. فليس هنالك ما يبرر ادعاءات بعض الناس أن المصطلحات الأجنبية تؤدي من المعاني الدقيقة ما لا تؤديه الألفاظ العربية. وفي ختام بحثه حمل على المبهورين باللغات الأجنبية، ورماهم بما هو حق، بالجهل بدقائق اللغة العربية.

ب ـ ثم تقدم **الدكتور حسني سبح (سورية)** ببحث دار حول تعريب علوم الطب. فقدم بديباجة عرض فيها لما كان من أمره في هذا المجال. ثم انتقل إلى تجربة السلف في تعريب طب اليونان وغيره، مما أدى إلى نشوء الطب العربي الإسلامي، الذي أصبح فيما بعد هو السائد في أوروبا إلى عهود متأخرة.







★ د. إبراهيم بيومي مدكور ★ ★ د. عبد الرحمن الحاج صالح ★ ★ د. أحمد سعيدان ★

وعرض الدكتور سبح بعد ذلك، إلى نشأة الطب الحديث، وكيف أن تدريسه بدأ في **مصر** بالعربية قبل الاحتلال الإنجليزي، الذي ما وقع حتى سارع «**دنلوب**» بفرض تعلمه بالإنجليزية، الأمر الذي استمرت عليه الجامعات المصرية وغيرها إلى يومنا الحاضر.

ثم أسهب في الحديث عن «**تتريك**» الطب في القرن الماضي، الأمر الذي أسهم في تعريبه، ذلك أن جهود الأتراك في مجال تدريسه بالتركية، أدت بطريق غير مباشر، إلى شيوع الألفاظ والمصطلحات العربية في لغته، فكانت نحواً من ٩٠٪ من مجموعه. ونذكّر هنا بأن العربية تمثل العمود الفقري في كل اللغات الإسلامية، كالفارسية والتركية والبشتو والأردو والهوسة وغيرها.

وعرض بعد ذلك لنشأة المدارس الطبية الحديثة في **لبنان وسورية** عقب اندحار الأتراك في الحرب الأولى. وبالرغم من سقوط البلاد في قبضة الفرنسيين، إلا أن حركة التعريب استمرت دون توقف. وفي سنة ١٩٥٦م، صدرت الترجمة العربية **لمعجم كليرفيل** الفرنسي، واعتمدت رسمياً لتكون المرجع الوحيد في هذا الشأن.

ثم تطرق الدكتور سبح إلى المعاجم العربية الحديثة في علوم الطب، فذكر المعجم الذي ترجمه عن الفرنسية **الدكتور محمود البقلي** (من أطباء قصر العيني بمصر) سنة ١٨٧٠م. الذي نشره في أوائل القرن العشرين الميلادي، **الدكتور محمد شرف** باسم «معجم إنجليزي عربي في العلوم الطبية والطبيعية» وهو بحق ـ كما يقول ـ أبو المعجمات الطبية العربية، وسيظل علماً شامخاً في تاريخ استعراب الطب الحديث.

وتكلم بعد ذلك، عن جهود المجمع اللغوية والعلمية العربية في مجال تعريب الطب بخاصة، والمصطلحات العلمية والفنية بعامة، واختتم بحثه بدعوة الدول العربية إلى عدم التهاون في تعريب العلوم المختلفة صوناً للعربية، وحفاظاً على حق الأمة.

وتقدم **الدكتور إبراهيم مدكور (مصر)** ببحث قصير دار به حول «**لغة العلم المعاصر**»، فبدأ بجهود السلف في مجال التعريفات والمصطلحات، ثم أعقب بدور المحدثين. **وأنكر على رجال النهضة في القرن التاسع عشر الميلادي، عدم ربطهم العلوم المعاصرة بما كان للأمة من قبل، الأمر الذي تداركه أبناء القرن العشرين الميلادي.**

ثم تحدث عن دور مجمع اللغة العربية المصري في مجال تعريب المصطلحات ووضعها، وتكلم على قدرة اللسان العربي على استيعاب العلوم وأداة الحضارة الحديثة تماماً مثلما كان في الماضي.

واختتم حديثه بإبراز سلطة العلم، وأثره في الحياة المعاصرة. الأمر الذي يدعون إلى السرعة في الإنجاز والمتابعة، لوضع معجمات متخصصة تسهم فيها المجامع والجامعات والمؤسسات العلمية العربية، لتحقيق وحدة المصطلح العلمي في العالم العربي جميعه، كما حققها أسلافنا في النهضة الإسلامية الكبرى.

وألقى **الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح (الجزائر)** بحثاً دار به حول الذخيرة اللغوية العربية. وهو يقصد بها الألفاظ والمعاني التي يمكن استخراجها من النصوص التراثية مما يمكن أن يكون له دور بارز في النهضة العلمية الحديثة.

وبدأ الحاج بالحديث عن المصطلح العربي والمشكل التي يعاني منها. وأورد الوسائل التي يرى أن المحدثين يلجؤون إليها عند وضع المصطلحات وهي:

١ ـ التعريب اللفظي للمصطلح الأجنبي.

٢ ـ الترجمة الحرفية له.

٣ ـ تخصيص أو ارتجال لفظ له بكيفية عفوية.

٤ ـ تخصيص لفظ عربي بعد البحث عنه في القواميس القديمة.

وضرب عقب ذلك أمثالاً كثيرة على كل من هذه الوسائل. وتعرض بعد للأدوات اللازمة لوضع المصطلحات، ووضع لذلك شروطاً هي:

١ ـ أن ينبني المصطلح على مجموعة واسعة جداً من المعطيات القائمة، التي درج عليها أسلافنا، لاستخلاص الأفضل.

٢ ـ الرجوع إلى التراث العلمي العربي، ولا يكتفى في ذلك بالمعاجم القديمة.

٣ ـ أن يكون الانطلاق من أكثر من لغة أجنبية.

٤ ـ أن ينظر في أسرار الاستعمال والاعتداد بقوانينه، وإجراء الدراسات الواسعة لهذا الغرض، وكل هذا يستلزم:

٥ ـ أن يستعان بالعقل الآلي في إنجاز هذه المهمة.

ثم تحدث عن الأسباب التي تكمن وراء عدم الشمولية التي يتصف بها الكثير من البحوث، وردها إلى الفردية والجزئية، وعدم تضافر الجهود فيها على المستوى العربي.

وانتقل الدكتور الحاج بعد ذلك إلى أوصاف الذخيرة اللغوية التي ذكرها أولاً، وإلى فوائدها وكيفية إنجازها، وقد عبّر عنها هاهنا بأنها ذلك القاموس الجامع للألفاظ العربية، الذي يمتاز عن القواميس الحديثة في شكله ومادته





التي ينبغي أن تنسب لأهلها ومصادرها ، وفي شواهده وأمثاله ، شريطة ألا تكون مصطنعة . وفي ترتيبه تبعاً لعدد من الطرق المعروفة تسهيلاً لعملية الاستفادة منه . واقترح أن يكون في شقين : شق فيه تفاصيل ، وشق موجز يعرض اللفظ ومعناه .

ويرى الدكتور الحاج أن المنهج المناسب لإخراج مثل هذا المعجم يقوم على التحليل الدلالي ، وتحديد معنى الجذر والمشتقات ، وما طرأ على معانيها لسبب أو لآخر ، مع ذكر المقابل الإفرنجي الذي يحسن استخدامه عند الترجمة أو العكس (التعريب) .

وينصح أيضاً بتحرير تعليق نحوي صرفي وجيز ، وآخر تاريخي يعرض فيه تقلب اللفظ في الصيغ والمعاني من عصر لآخر .

ومن الخصائص التي يقترحها هذا المعجم أن يذكر إزاء الكلمة مدى شيوعها والبيئة الجغرافية التي انتشرت فيها ، والمرادفات والأضداد التي تعرف بها . وذكر الدراسات التي خصها العلماء هذه الكلمة أو تلك .

ثم تحدث عن الفوائد التي يمكن هذه الذخيرة (المعجم) أن تقدمها للعرب والعربية ، بل للعلم والعلماء ، وهي دونما شك فوائد جمة وعظيمة .

وعرض الحاج عقب ذلك تصوراً عملياً لإنجاز هذا المعجم ، يتمثل في تتبع الخطوات التالية :

١ ــ القيام بمسح تدويني شامل للتراث ، ولما يجري استخدامه في المحيط الكتابي والشفوي على مستوى الوطن العربي .

٢ ــ تدوين هذه المعلومات وتخزينها في ذاكرة العقل الآلي . ثم معالجتها آلياً ــ سبق أن كتبت في هذا الموضوع مقالة موجزة نشرت في الصفحات الأولى من مجلة « **الفيصل** » العدد (٩٠) ، تحت عنوان المعجم الجامع أو جامع المعاجم ــ .

٣ ــ إجراء المشاورات حول الألفاظ المشكلة .

ولما كان هذا العمل ضخماً ، فإن القيام به ينبغي أن يناط بمجامع عربية متخصصة ، تتضافر جهودها في النهوض بأعبائه .

وتقدم الأستاذ **أحمد سعيدان** ببحث تناول فيه النظام العربي المقترح للرموز العلمية ، وهو موضوع كلفت بالنظر فيه لجنة انبثقت عن المؤتمر الرابع للتعريب ، الذي انعقد في **طنجة** .

وقد قابل الأستاذ **سعيدان** في مستهل حديثه بين الرياضيات الحديثة والرياضيات التقليدية ، وأشار إلى ظاهرة الرموز التي تقوم عليها الرياضيات الحديثة ، وهي رموز أجنبية يواكب استعمالها كثير من المحاذير والصعوبات ، وقد ذكر من ذلك ارتفاع كلفة الطباعة ، وقراءة المعادلات من اليسار إلى اليمين ، الأمر الذي يقتضي أن تكون خطوات الحل جميعها كذلك .

وقد دعا الأستاذ **سعيدان** إلى نبذ المصطلحات والرموز الأعجمية ، وإلى استبدالها بنظائر عربية . وتحدث في هذا المجال عما تم التوصل إليه الفريق الأردني في مجال تعريب الرياضيات ، وكذلك جهود مجمع اللغة العربية الأردني . ثم أورد عدداً من الرموز العربية المقترحة بوصفها بدائل للرموز الأجنبية . (وقد علقت في مقالة ، نشرت بصحيفة « صوت الشعب » الأردنية في ٢٥/٩ ، على فكرة تعريب الرموز ، وأنها آخر ما يجب أن نشتغل به لأنها معقدة ، فليكن الجهد أولاً لتعريب الفكر والتربية والعلم والهوى) .

وكان رئيس مجمع اللغة العربية الأردني قد تحدث في افتتاح المؤتمر عن جهود المجمع ، وعن نشأته وتطوره ، ونادى بضرورة الإسراع في تعريب التعليم ، وأن على المجامع والجامعات والحكومات العربية أن تولي ذلك جل اهتمامها .

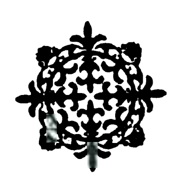
وقد حمل الدكتور **ناصر الدين الأسد** في كلمته على عدد من الوسائل التعليمية المعتمدة في كثير من البلدان العربية تقليداً للأجنبي ، كالقراءة الصامتة التي لا تتحرك بها الشفاه ، ذلك أن هذا الأسلوب لا يناسب العربية ، وإن ناسب غيرها ، لأن العربية متحركة الأواخر .

كما حمل على الطريقة الكلية في القراءة والكتابة واتهمها بأنها تقف وراء تأخر كثير من الطلبة في إتقانهما إلى سن متقدمة .

كما حمل على طريقة تعليم الأدب وتاريخه : نثره وشعره ، على أساس التقسيم بالعصور الحديثة فالتي قبلها ، وهذه الطريقة ، وإن صلحت عند غيرنا ، إلا أنها لا تصلح عندنا لاختلاف الوضع بالنسبة للغتنا وأدبنا بامتدادهما في أعماق التاريخ ليس كمثل اللغات والآداب .

أما الدكتور **محيي الدين صابر** ، مدير عام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، فقد عرض في كلمته إلى تطور فكرة التعريب ، والجهود العربية المختلفة في هذا المجال ، وعرض لما أنجزته مؤتمرات التعريب المتوالية في أدوار انعقادها المختلفة ، وإلى نشاطات مكتب تنسيق التعريب في **المغرب** .

لقد كان المؤتمر الخامس للتعريب تظاهرة علمية عربية جادة ، ولولا أن التعريب ينبغي أن يوجد لما هو أهم من الألفاظ والمصطلحات ، إلى الفكر وأساليب التربية والأهواء ، ذلك أن هذه إذا تعربت تعرب اللسان العربي كنتيجة حتمية وحتمية لذلك . وربما كان المؤتمرون عاجزين عن تنفيذ ما يقررون ، الأمر الذي يضع المشكلة كاملة أمام الحكومات العربية ، فهي دون شك ، القادرة على وضع تلك القرارات والتوصيات موضع التنفيذ . نسأل الله أن يوفقها لما فيه خير المسلمين والعربية .





السيرك.. للكبار والصغار

بقلم: د. نبيل راغب

عرف الإنسان السيرك في أيام الإمبراطورية الرومانية القديمة، التي كانت تمجد القوة والعنف والغلبة في كل صورها، وخاصة الجثمانية، لأن اعتماد الإنسان على الآلة لم يكن قد تعدى المحراث والنورج والطنبور في وقت السلم والسيف والعربة العسكرية في وقت الحرب، ولذلك كانت القوة الجثمانية مجالا كبيراً لاستعراض البطولات، وإذا كانت الحضارة الإغريقية ـ التي سبقت الحضارة الرومانية ـ لم تعرف السيرك فلأنها كانت تضع قوة الفكر والعقل في المرتبة الأولى قبل قوة الجسد والعضلات المفتولة. فالقوة الجسدية بالنسبة لها مجرد تكملة للقوة العقلية، ولكن العقل يستطيع أن يستغني في أحوال كثيرة عن قوة الجسد، بينما الجسد مهما بلغ شأواً بعيداً من القوة والجبروت فإنه لا يمكن أن يستغني عن قوة العقل، وإلا تحول الإنسان إلى مجرد وحش مفترس يجوب الأحراش والغابات.

السيرك ... شكبار والصغار

ولكن أباطرة الرومان مجدوا القوة الجسدية وأشعلوا حميتها في الشباب لأغراض عسكرية وتوسعية حتى يمدوا سلطانهم على العالم القديم كله ، وفي أوقات السلم كانت الدولة في غاية الحرص على تذكير الشباب بأهمية القوة الجسدية ، وكان السيرك من أهم الوسائل لتحقيق هذا الهدف ، نظراً لشعبيته وعروضه التي تقدم على مساحة عريضة تجمع آلاف المتفرجين في وقت واحد ، **وكان السيرك الروماني القديم يقترب في شكله من تصميم الاستاد الرياضي الحديث .**

فالمساحة التي تقدم عليها العروض تتخذ الشكل البيضاوي ومحاطة بمدرجات حجرية ، وكانت هذه المدرجات تستوعب حوالي ٣٨٥,٠٠٠ متفرج في المتوسط ، وفي المساحة المخصصة للعرض كانت تقدم « **النمر** » الشعبية التي يعشقها الجمهور ، وعلى رأسها سباق العربات الحربية ذات العجلتين والحصان الواحد والتي تشبه إلى حد كبير **عربة رمسيس** ، وأيضاً **المسابقات الرياضية :** الماراثون ، والوثب العالي بالخيول فوق الحواجز ، والمصارعة سواء بين اثنين من المصارعين أو بين مصارع وأسد مثلاً . وكانت المصارعة من العنف بحيث استخدمت فيها السيوف والرماح والشباك ، ولم تكن تنتهي إلا بالقضاء على أحد المصارعين أو بالعفو عن المنهزم بأمر من الإمبراطور الذي كان يواظب على حضور هذه العروض العنيفة من أجل بث روح العنف والوحشية في نفوس الشباب الروماني تهيئة لإدخالهم الجيش ، وكانت حمى القتال لا تقتصر على المصارعين ، بل سرت عدواها إلى الجمهور الذي كان يتحول إلى شعلة متحركة من العنف والزمجرة كما يفعل بعض جمهور كرة القدم في المباريات الحاسمة في أيامنا هذه .

مصارعة الأسود

وكان العرض المفضل لدى جمهور النظارة في ذلك الوقت ، هو مشاهدة المصارعين الذين ينزلون إلى الحلبة لمصارعة الأسود ، وبذلك نستطيع القول إن الأسد هو أول حيوان حاول الإنسان أن يظهر سيطرته عليه ويستعرضها أمام جمهور من المتفرجين ، وبالطبع فإن المصارعة كانت تنتهي بالقضاء على الأسد أو المصارع ، وأثناء ازدهار الدولة الرومانية تحولت مصارعة الأسود إلى ترويض لها ، بحيث كان العرض ينتهي بأن يطيع الأسد أوامر المصارع ويدخل إلى قفصه صاغراً ، ولكن هذا العرض الشخصي لم يكتب له أن يستمر طويلاً ، لأن المسيحية بعد ذلك بدأت في الانتشار وأحس الأباطرة الرومانيون أن هذا الدين الجديد يهدد الإمبراطورية في صميمها ، لأنه يملك من الأسلحة ما لا يستطيع الجيش الروماني بكل جبروته أن يقضي عليها ، فأسلحة روما كانت العنف والجبروت والقوة والإرهاب والتدمير والحرب ، بينما كانت أسلحة المسيحية مترکزة في الترحيب بالاستشهاد والسلام والمحبة وعدم مقاومة العنف بالعنف ، لذلك بدأ الأباطرة في محاولة عنيفة للقضاء على المسيحيين ، وذلك بالتخلص منهم في حلبات المصارعة ، فكانوا يلقون بهم إلى الأسود لكي تنهش لحمهم ، **وبذلك انتهى العصر الذهبي للسيرك الروماني القديم ، لأنه ترك الرياضة وأصبح أداة سياسية للقضاء على مقاومة جديدة لمبادئ العنف والحرب والتدمير .**





★ فولتير ★

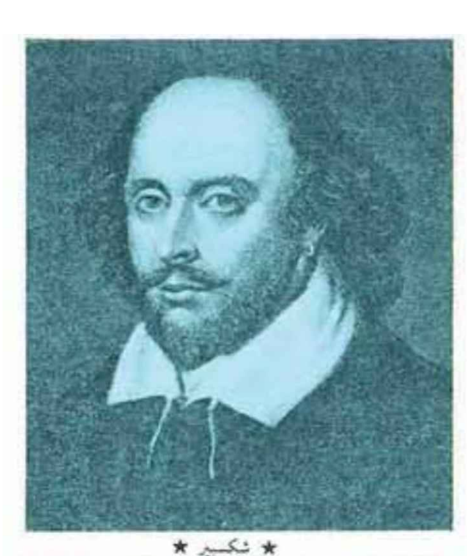
مهرج السيرك

ويقول **الفيلسوف الفرنسي فولتير** في خطاب له عام ١٧٧٠ م ، إلى **مدام نيكر ،** إنه قرأ بعض المخطوطات التي تدل على أن الرومان عرفوا مهرج السيرك الذي كان يقدم عروضه المضحكة والساخرة بين الفقرات العنيفة والمرهقة للأعصاب حتى يمكن الجمهور من لحظات استرخاء يسترد فيها أنفاسه اللاهثة استعداداً للفقرة العنيفة التالية . وفي نفس الخطاب يشرح **فولتير** لمدام **نيكر** أصل كلمة « Arena » « آرينا » وهي اللفظ اللاتيني الذي يطلق على « **الحلبة** » ، فيقول إن أصل هذه الكلمة عربي لأنها أتت من كلمة « **عرين** » أي المكان الذي يعيش فيه الأسد ، ولأن الأسود كانت تعيش في أقفاص وحجرات ملحقة بالحلبة فقد أطلقت كلمة « **آرينا** » على كل

الساحة البيضاوية التي تقدم عليها العروض المختلفة .

السيرك الإنجليزي الحديث

وبعد انهيار الإمبراطورية الرومانية اختفى هذا الشكل الأولي للسيرك ، واندثر على مر التاريخ ، ولم يعرف له أثر حتى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي ، حين عرف السيرك بشكله الحديث المعروف به الآن . فقد ولد السيرك الحديث على يد فارس إنجليزي يدعى **فيليب آستلي** عاش في الفترة ما بين عامي ١٧٤٢م ، و ١٨١٤م . والسبب الذي حوله من الفروسية إلى السيرك أنه كان فارساً فاشلاً للغاية ، وكثيراً ما سخر منه زملاؤه ، وكان مثاراً للنكات والقفشات . ورغم أنه كان يملك من روح الدعابة ما يساعده على مقاومة هذه السخرية ، فإن تشبعه بروح الفروسية التي تحض على الكبرياء والعنجهية جعله يتخلى عن الفروسية ذاتها ويعمل متعهداً للحفلات المسرحية حتى يشبع حبه للكوميديا والفكاهة دون أن يكون شخصه مثاراً للسخرية والنكات . لكنه ترك المسرح الذي لم يشبع روح الفروسية عنده . وافتتح **أول سيرك في التاريخ الحديث** في لندن عام ١٧٧٠م . ضم إليه كل الشباب الإنجليزي المتعطش لإبراز فتونه وفنونه الخصبة ، ولكن السيرك لم يكن متنقلاً كما عرف فيما بعد . ولكن كان مقره ثابتاً على ضفاف **نهر التيمز** بالقرب من **مسرح جلوب** الذي كان يعمل به **شكسبير** من قبل . وكان يوم الأحد من كل أسبوع يزدحم بعلية القوم ، الذين يفدون من كل أنحاء لندن في عرباتهم الفاخرة ، لمشاهدة عروض السيرك التي كانت تقدم فيما بين الساعة الثالثة والخامسة مساء قبل أن تغرب الشمس . وقد قدمت كل العروض المعروفة لدينا الآن من السير على الحبل المشدود ، واللعب على العقلة والمتوازيين والقفز وسط حلقات مشتعلة بالنار ، وكل أعمال السحر والشعوذة وترويض الحيوانات ، ابتداء من الأسود والنمور والخيول ومروراً بالقرود والسناجيب وانتهاء بالكلاب . **ويقال إن حب الإنجليز المشهور للكلاب قد بدأ من هذا السيرك ، لأن الكلاب كانت تقدم الفقرات التي تدل على ذكائها وحبها للإنسان وإخلاصها له . ويقال أيضاً إنه عندما مات فيليب آستلي عام ١٨١٤م . أضربت كلاب السيرك عن الطعام حزناً عليه . ولم تفلح كل المحاولات في إجبارها على الطعام وماتت هي الأخرى . وأصبح الإنجليز يضربون المثل بإخلاص الكلاب بعد هذه الحادثة . ومن يومها وهم يعشقون الكلاب ويحرصون على تدليلها بكل الوسائل الممكنة .**



★ شكسبير ★



خيمة السيرك

ولم تعرف الخيمة الكبيرة للسيرك المتنقل من مكان إلى آخر إلا في القرن التاسع عشر الميلادي ، في الولايات المتحدة الأمريكية . حيث كان من المعتاد أن ينتقل السيرك بكل معداته ولاعبيه من مدينة إلى أخرى . وخاصة في الصيف وأوائل الخريف وهي الفترة التي تعود الأمريكيون أن يتركوا فيها أعمالهم لقضاء الإجازات والإقبال على دور اللهو ومنها المسرح والسيرك . وغالباً ما كانت المصايف على الشواطئ والبحيرات هي التي تحظى بنصب خيمة السيرك . ونظراً لأن العمل في السيرك كان موسمياً ، فلم تكن هناك حاجة إلى إنشاء مقر دائم . وكانت الخيمة فكرة عملية لأنها لا تكلف أصحاب السيرك إقامة مبنى كبير وشراء أرض له أو تأجيرها . وأيضاً تسهل مهمة الانتقال إلى الأماكن التي يتجمع فيها أكبر عدد من المتفرجين ، وبذلك يزداد الإقبال والدخل الاقتصادي . **وكان السيرك الأمريكي في القرن التاسع عشر الميلادي . يعتمد على أربعة أنواع من العروض :**

أولا : العرض الرياضي على المتوازيين والعقلة والحبل .

ثانيا : العرض العجيب للأنماط الغريبة من الناس كأن يعرض أطول أو أقصر أو أخف أو أثخن رجل في أمريكا ، وهكذا وما يمكن أن يفعله كل منهم أمام الجمهور طبقاً لإمكاناته . وكان هذا العرض بمثابة الفقرة التي يقدمها مهرج السيرك على سبيل الإضحاك في أيامنا هذه .

ثالثا : العرض الرئيسي ويتمثل في فقرة ترويض الأسود .



السيرك .. للكبار والصغار

رابعاً: العرض الشامل لمهارات رعاة البقر الذي عرف باسم «Wild West Show» أي «**عرض الغرب المجنون**». وعادة ما كان ينتهي هذا العرض الأخير بخروج اللاعبين من خيمة السيرك على ظهور الخيل لاستعراض مهاراتهم خارجه حيث الساحة الشاسعة والهواء الطلق. وكان الجمهور بالتالي يخرج وراءهم لمشاهدة هذه الألعاب الخطيرة. وهي الألعاب التي انفصلت في مطلع القرن العشرين الميلادي، عن السيرك وتحولت إلى ما يعرف الآن **بالروديو** «Rodeo». وأصبح بمثابة مهرجان قومي لرعاة البقر في كل ولاية على حدة. فيه يتسابقون ويقدمون كل الحركات البهلوانية الممكنة، وفي نهاية المهرجان تمنح جوائز للفائزين.

السيرك الأمريكي الحديث

أدخل الأمريكيون في السيرك فقرة **ركوب الخيول** بدون سرج أو لجام، وفقرة **الرماية بالسهم والبندقية**. وطوروا العرض الغريب للأنماط البشرية إلى الدور المضحك الذي يقوم به مهرجو السيرك. ونظراً للطابع البراجماتي الذي يعتبر أن نجاح أي عمل فني لا بد أن يرتبط بالعائد الاقتصادي الذي يدره، فقد نجح الأمريكيون في اجتذاب الجمهور إلى السيرك بأية طريقة ومنها الاستعانة بالفتيات. ولم يقتصر الأمر على هذا، بل إنه في عام ١٨٨٠م، نظم الأمريكي **آدم فوريو** مسابقة لاختيار أجمل فتاة في أمريكا في سيركه حتى يجذب الناس من جميع أنحاء الولايات المتحدة لمشاهدة عروض السيرك التي احتضنت مسابقة **ملكة جمال أمريكا**. وكانت أول مسابقة من نوعها في التاريخ الحديث، وفازت فيها الآنسة **لويز مونتاجيو** وحصلت على مكافأة قدرها عشرة آلاف دولار، وقد سارت المتسابقات أمام لجنة التحكيم في أزياء متنوعة تماماً كما يحدث الآن في مسابقات الجمال.

السيرك الغنائي

وفي العشرينات من هذا القرن ارتفعت شكوى لاعبي السيرك في أمريكا بالذات، احتجاجاً على الأجور والمعاملة المرتفعة التي يحصل عليها المطربون والممثلون، بينما لا يحصلون هم على أجر أقل مطرب مغمور، برغم أنهم يعرضون حياتهم للخطر في كل عرض. وحاول أصحاب السيرك في **ولاية كاليفورنيا** تفادي هذه الثورة عن طريق الاستعانة بمطربين يقدمون وصلات مختلفة بين فقرات البرنامج حتى يمكن رفع ثمن تذكرة الدخول، وبالتالي زيادة دخل السيرك وأجور اللاعبين. وأصبح الغناء فقرة هامة في السيرك في ذلك الوقت، لدرجة أن السيرك أصبح يعرف بأسماء مطربيه. وغالباً ما كانت الأغاني التي تقدم تميل إلى الفكاهة والتهريج وفي بعض الأحيان إلى الألفاظ الجارحة، وذلك تمشياً مع مزاج الجمهور الذي كانت أغلبيته من رعاة البقر وعمال المناجم والباحثين عن الذهب والفارين من القانون والسجون. وكانت نكات الراقصات والخلاعة والتسلي من أهم الشروط الأساسية لاستمتاع الجمهور بالعرض. ولذلك حرص صاحب كل سيرك على إمداد سيركه ببوفيه كامل، قادر حتى على تقديم وجبات غذائية خفيفة. **وابتداء من الثلاثينات، تطور السيرك في كل من امريكا واوروبا تطوراً كبيراً. لدرجة انه اصبح فنا كلاسيكيا له تقاليده العالمية المعترف بها. ودخل فيه الباليه والرقص الشعبي والاستعراضات الضخمة التي تشتمل على حوالي مائة لاعب ولاعبة في كل فقرة على حدة.** وأصبح السيرك مكاناً صالحاً للإبهار عن طريق الألوان والأضواء والألعاب كما نجد في **سيرك بيلي روز الأمريكي** الشهير على سبيل المثال.

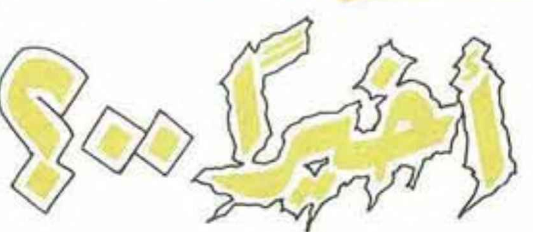
السيرك في مصر

ويعد السيرك في مصر صورة مصغرة للسيرك الأمريكي في بدايته وأسلوبه وعروضه الأولى. فقد حملت عائلتان مصريتان على عاتقهما إرساء تقاليد أول سيرك مصري صميم في الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن. وهاتان العائلتان هما: **عائلة الحلو، وعائلة عاكف**. وقتها اشتهر **سيرك عمار** على مستوى مصر كلها. لكنه لم يترك الأجيال التي تركتها هاتان العائلتان. وكان السيرك المصري يتنقل كالأمريكي بين الأماكن وفي المناسبات الدينية والوطنية التي يتجمع فيها أكبر عدد ممكن من المتفرجين. لذلك ارتبط السيرك في أذهاننا منذ الطفولة بالمولد. وبرغم الإمكانات الضعيفة التي اعتمد عليها السيرك في ذلك الوقت، فإن العروض لم تكن تقل عن مثيلاتها في الخارج، من ناحية الإتقان والخطورة. وظل السيرك يعتمد على هذه المجهودات الفردية حتى بدأ يتعثر في أواخر الخمسينات لانصراف الجمهور عنه بعد أن شاهد إمكانات السيرك الروسي والإيطالي والهندي الذين زاروا مصر في هذه الفترة. عندئذ تدخلت الدولة وأنشأت **السيرك القومي** وضمت إليه كل المواهب التي رعتها أسرتا **الحلو وعاكف** ولاعبي الأكروبات الذين اعتادوا تقديم فقراتهم على المسارح وفي الأندية الليلية. واستطاع السيرك أن ينهض على قدميه ويصارع سيركات العالم المتقدمة باعتراف اللاعبين الأجانب الذين جاءوا لتقديم عروضهم مع زملائهم المصريين. وهذا يؤكد أن المصري قادر على استيعاب عمله وصنع مستقبله. خاصة أنه يعرض حياته للخطر كل ليلة من أجل أن يبهج الجمهور الذي جاء إلى خيمة السيرك لقضاء ليلة ممتعة ومثيرة، ينسى فيها همومه ومتاعبه ومشاغله اليومية، وتجعله قادراً على مواجهة الحياة بعزم أشد وإرادة أقوى. خاصة بعد أن شاهد هؤلاء الأبطال الذين يتحدون الموت كل يوم، وعلى وجوههم ابتسامة عريضة تؤكد تحدي الإنسان وإرادته.

★ ★ ★

قصة قصيرة

بقلم: حسن نور



أخيراً ..؟

لاهثة راحت تزحف كما لو كانت تجر ذنوب العالم كله وراءها .. عن آخرها امتلات .. آدميون ومقاطف وسلال ازدحمت بجميع أنواع الطيور . الشمس ترسل أشعتها القاسية ... يختلط العرق بالتراب الذي تثيره العربة .. يغطي الطين الوجوه .. يتكور المنديل في باطن يدي ... أمرره على الأجزاء التي لم يغطها قبصي .

بين الدواب وعربات الكارو والفلاحين الذين يمتلئ بهم الطريق الترابي ، تشق طريقها وهي تطلق نفيرها الكريه .

بالجبن القريش والعسل الأسود وأعواد الجعضيض ملأت أمي إحدى السلتين ... بالخبز وحده ملأت الأخرى ... منذ ساعتين كنت أحمل إحداهما وحقيبتي وأنا أشق الطريق بين دارنا وموقف العربات .

أمام الفرن سهرت أمي بالأمس ... إلى الجيران وجيران الجيران ذهبت ... إلى الدار عادت والرأس متوج بمقطف امتلأ بالدقيق .

لِمَ يا أمي كل هذا ... ؟

أنا ولدك ... أعرف ظروفكم وأعيشها .

ثلاث سنوات مرت بمرها ومرها .. مضغت الحسرة والآلام .. مع كل صباح انتظرت فيه خطاب القوى العاملة ... نفثتها من كل خلايا الجسم والرأس .

كل مرة كانت تقف فيه السيارة كنت أظنها قد تعطلت فيسقط القلب ... أتحسسه في أخمص أصابع القدم اليسرى .. أجده قد عاد إلى مكانه عندما أسمع صوت المحرك الصاخب يصك أذني من جديد بعد أن يزيد عددنا واحد أو أكثر .

بين الأجساد التي تخلفه اختفى جسم السيارة .. تتصاعد أصوات الطيور وتختلط بدخان اللفائف .

أصبحت الشمس فوق الرؤوس ... استحال سقف العربة إلى أتون يرسل حممه إلى كل أجزاء الرأس والجسم .. المنديل المتكور في يدي استحال إلى خرقة مشبعة بالطين .. دخان اللفائف يتصاعد ... يملأ الفضاء داخل السيارة .. يلتف في حلقات حول عنقي .. تضيق وتضيق ... تكاد تخنقني ... تتوهج اللفائف بشدة عندما تسحب منها الأفواه أنفاسها ... تلتقط عيناي الوهج .. أزدرد الغيظ ... أسعل ... أتمادى في السعال .. على ذلك يعوضني عن الاحتجاج الذي أبذل جهداً خارقاً لأن لا يتعدى حدود الذات .

على حمارته العرجاء بدا من بعيد ... ما إن لمحني حتى صاح بصوت اكتسى بفرح طفولي .. جاءك الخطاب يا أستاذ محمود .

كالملسوع انتفضت من مكاني ... خطفت الخطاب .

أصابعي تقبض على المظروف الأصفر ذي الطابع الحكومي .. قدماي تقطعان الدرب الذي قطعته آلاف المرات إلى البيت .. إلى الداخل هرولت ... في أحد أركان الحوش الأربعة كانت تقبع أمي ... أسندت رأسها بكف يدها اليسرى .. سبابة اليمنى ترسم خطوطاً ودوائر لا معنى لها .

طويل هو الطريق ، والسيارة



ما زالت تزحف .. الأجساد بداخلها تتململ .. السيقان تتحرك في عصبية زائدة .. الجوع يقرص الأمعاء ... الأيدي تتحرك لتخرج لفائف الطعام ... أصوات طحن الطعام تأكل الصمت المنتشر .. الأيدي تكوّر أوراق الجرائد على بقية الطعام .. بين الأرجل وتحت المقاعد تدسه .

ما لك يا أمي .. فيم تفكرين .. أفي سنوات القحط التي تأكلنا .. أم في ولديك اللذين حرمت نفسك أنت وأبي من كل شيء لتحققا فيهما آمالكما ؟ .

كنت أنانياً يا أمي .. كان يجب أن أكتفي بالثانوية العامة وأسد أذني عن كلمات أبي التي قالها وهو يحثني على استكمال تعليمي :

السنوات يا **ولدي** تمر وتطوى كطي السحاب ، وأخشى أن يقتلك الندم غداً إن لم تكمل دراستك . على رغبة أبي نزلت يا أمي لأحقق له أملاً طالما تاق إليه ... حملت حقائبي .. سافرت .. لكن السنوات لم تمر وتطوى كطي السحاب .. كانت الأيام بطيئة قاسية ... حرمت فيها النفس من كل شيء .. كنت أقطع المسافة بين حجرتي القابعة على سطح منزل قديم في زين العابدين والجامعة على قدمي .. آلاف الأميال قطعتها ذهاباً وجيئة يا أمي ، فالقروش العشرة أولى بها طبق الفول والرغيفين أحشو بها معدتي في أيام الشتاء القارسة فتعينني على تحمل البرد وصفعات الهواء القاسية وأنا أسير في ساعة مبكرة على جسر الجامعة .

ماذا يا ولدي ... لم تنظر إليّ هكذا ... أهناك شيء تراه غريباً ؟ .

يا للتجاعيد القاسية التي تغزو وجهك يا أمي .. عرفت طريقها إليك وعمرك لم يتعد الثانية والأربعين ، أهي الفاقة يا أمي .. لعنها الله ... كنت أعيشها معكم خلال السنوات الخالية .. بعيداً عنكم ، ومعكم ... لكن أصعبها وأشدها الثلاث العجاف التي قضيتها وأنا أنتظر هذا الخطاب الذي يختنق بين أصابعي ...

صدقيني يا أمي كنت أهرب من نفسي وأنا أخرج من البيت أو أدخل إليه ... وأنا أسير بين الدروب .. وأنا أسند ظهري بأي حائط هرباً من لفحات القيظ .

أوقف السائق السيارة ... غادرها .... في أحد الأزقة اختفى ... تفرقت الأجساد التي كانت تتحلق السيارة ... وجوه الركاب داخلها تتلفت يمنة ويسرة .. العيون تقول كلاماً كثيراً ... الزفرات الحارة تحرق بقية الأوكسيجين .. كدت أختنق .. أدرت أكرة الباب .. غادرت العربة .. أخذت شهيقاً عميقاً ثم ثان وثالث .. عقدت يدي وراء ظهري .. جرجرت الخطى داخلاً الزقاق الذي ابتلع السائق ... يبدو أن هذا اللعين سيضيع اليوم كله في الطريق ، ويضيع عليّ الفرصة التي جاءتني بعد أن كاد اليأس يزرع جذوره في أعماقي .

امتلأت النفس حتى النخاع بالخوف .. راحت العينان تتلصصان .. تبحثان عنه ... ها هو يجلس في ركن الغرزة القابعة في آخر الزقاق .. اقتربت أكثر ... يسراه تقبض على ليّ بوري ، باليمنى كوب شاي أسود .. يلوك شيئاً ما ثم يستحلبه .

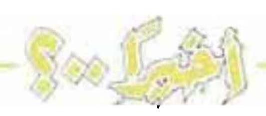
ما إن دخلت المقهى حتى رفع عينيه ناحيتي للحظات ثم ردهما .. رفع الكوب إلى فمه ... شفط كل ما فيه ... استحلب الشيء .. أغمض عينيه .. يتلذذ بسريان الخدر حتى الأطراف .. جمعت بصاقي داخل فمي . وقذفته ناحيته .. بين دروب المدينة رحت أتسكع .. خفت أن يسرقني الوقت فتفوتني السيارة .

لماذا لا أحوّل إحدى حجرات بيتنا إلى فصل .. أعطي دروساً ... علني أتمكن من مساعدة أبي في تدبير مصاريف محمود ، وتغنيني عن خوض تجربة جديدة .

أبداً لن أنسى .. ما إن قرأت عن حاجة إحدى الشركات لمحاسبين حتى شددت الخطى إليها .. أربع باقات منشاة وأربعة أفواه أمطرتني بأسئلة كالسيل ... أجبت وأجبت ... منتشيا خرجت .. سأكون حتماً بين المختارين .. إلى قريتي عدت .. انتظرت وانتظرت ، فلما أعياني الانتظار أخذت حقيبتي في يميني وجئت إلى الشركة .. لعل الخطاب يكون قد ضل الطريق .. أمام مكتبه الفخم وقفت .. مدير شؤون العاملين .. بصوت ضعيف واهن سألته .. خلع نظارته السميكة ... مسح جفنيه ..

بلا مبالاة قال بصوت زجاجي : لقد تم تعيين المحاسبين منذ شهر يا أستاذ .

لو جمعت كل دانات العالم ومقذوفاتها وأطلقتها علي لما



استطاعت أن تفعل بـي ما فعلته بـي هذه الجملة .

منكس الرأس خرجت .. أجرجر الخطو .

رآني أحد السعاة .. يبدو أنه أشفق لحالي ، قال بصوت ودود : شوف يا أستاذ .. بدون لف أو دوران ، المحاسبين كانوا معينين قبل الإعلان .. وساطتهم كانت من فوق .. من أناس واصلين .. لماذا لا تبحث لك عن واسطة مثلهم ؟ .

أولاد قريتي لم يعرفوا الدروس الخصوصية ... يخجل الواحد منهم أن يكلف أباه أكثر من طاقته ، راقتني الفكرة بقدر ما شعرت بالخجل من نفسي .. نفس الخجل الذي أزدرده مع اللقيمات التي أمضغها وأنا أتحلق مع أبي وأمي طبليتنا العجوز .

ربما للمرة العاشرة أتحسس الخطاب القابع في جيبي وأنا آخذ مكاني في العربة .. سألني الرجال داخلها بلهفة : هاه .. هل وجدته ؟ قلت باستخفاف : إنه هناك يدخن البوري ويشرب الشاي .

افرحي يا أمي .. افرحي ... أين أبي .. لقد وصلني خطاب التعيين ، جاءني خطاب التعيين يا أمي .

الوجه يتهلل ، التجاعيد تتخفف .

قالت والبسمة الغالية الغائبة تعتلي الثغر الحبيب : أبوك في المندرة يا حبيبي .. ألف مبروك يا ولدي ... ألف مبروك .

إلى المندرة جريت .. بين يديه أخذني ... قبّلني .. سرى الدفء في أوصالي .. قبّلت الوجه العجوز وظاهر اليدين .

خرج صوته قوياً عميقاً يداعب طبلتي الأذن : الحمد لله يا بني .. الحمد لله .. قلبي كان يحدثني دائماً أن آخر الصبر خير .

صبر وخير وتفاؤل .. !! ؟

سبحان الله .. ألم أقل لكم إن هذا الرجل .. جمل .

لفظه الزقاق ... بدا من بعيد .. إلى السيارة يتجه .. الخطوات تترنح .. وراء عجلة القيادة أخذ مكانه .. أدار مفتاح المحرك .

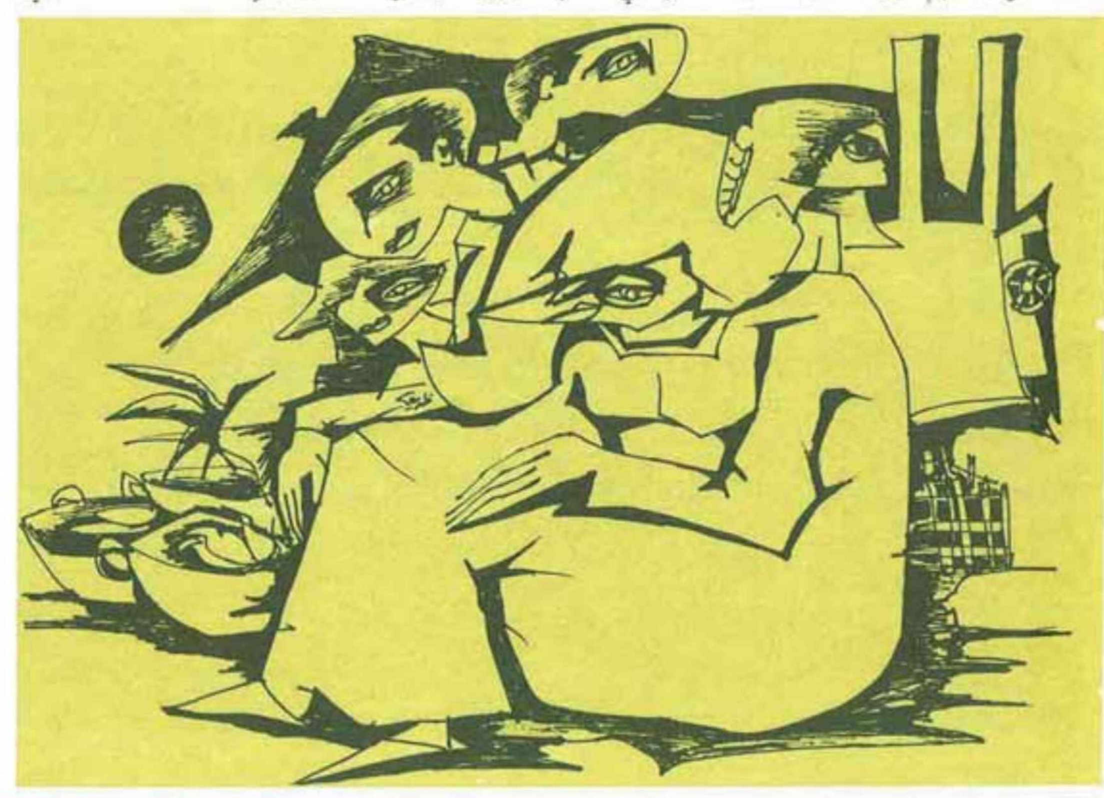
الكلمات التي خرجت من الأفواه التي كانت تمور بالغضب منذ قليل صكت أذني : حمداً لله على السلامة يا باشمهندس .

باشمهندس !! ؟ أين أنت يا محمود الآن لتسمع وترى .. ليلاً ونهاراً تتعب نفسك .. تسهر ... تذاكر .. تحمّل أبويك تكاليف لا قبل لهما بها .. تشتري مساطر وآلة حاسبة وأوراق كلك ، وخمس سنوات عجاف تتحملها لتصبح في النهاية مجرد مهندس .. مجرد مهندس وليس باشمهندس مثل هذا السائق .

ــ والله مشوار طويل ومجهد ويحتاج فعلاً لراحة .

ــ ندعو الله أن يسلم لك طريقك .

استحلب الصبر .. استحلبه ثم ازدرده .. يا لكم من أوغاد منافقون .



ـ سـيجارة يـا باشمهندس .

قالها أحدهم وهو يمد يده بعلبته المعدنية . هز رأسه وعيناه نصف مغمضتين ، قائلاً بصوت خلته آت من واد سحيق : لا .. شكراً .

تتلاعب عجلة القيادة بين يديه .. تهتز السيارة .. الرأس تكاد تسقط فوق الصدر بالرغم من ارتجاجات العربة وهي تجتاز الحفر الكثيرة على طول الطريق .

آه يا أبي .. سيضيع تعبك هدراً ... سيضيعه هذا السائق الذي حشا رأسه بمادة سوداء صغيرة صغيرة في حجم الدبوس .. ستجد الطيور الجارحة غذاء يكفيها لعدة أيام .

لتبق أنت يا أبي ... لا داعي لأن تتعب نفسك .

امتلأت الدار بنساء القرية ورجالها وشبابها .. ينحدر الدمع من عيني أمي على خديها ... بين ذراعي آخذها .. أمسح الدمع الغالي .. على خديها طبعت قبلاتي وعلى ظاهر الكفين .. دعواتها كانت آخر ما التقطته أذناي وأنا أغادر الدار .

ابق أنت يا أبي فالشمس ترسل حممها .

لم يأبه لقولي .. بكل فتوة الشباب حمل إحدى السلتين .

وجوه الأطفال الطينية وذبابها كانا آخر ما التقطته عيناي وأنا أودع قريتي .

داخل العربة أخذت مكاني ... عينا أبي تطلان علي .. قالتا كل شيء .. أبداً لم يتكلم خمسة وعشرون عاماً هي كل عمري لم أسمعك تشكو أو حتى تتأفف .. تطلب شيئاً .. لكنني أقرأ في عينيك كل ما لم تنطق به .

انعطفت السيارة إلى الطريق الإسفلتي .. ساح القار فبرزت حبيبات الحصى على وجه الطريق فبدا كوجه عجوز مجدور .. الأبنية العالية تحف الطريق من الجانبين بألوانها المعتادة .. وجوه الأطفال الوردية تطالعنا وهي عائدة من مدارسها .. الزي الموحد يخلع عليهم رونقاً محبباً إلى النفس فتعيد إليها بسمة غابت طويلاً خلف جدار الانتظار المميت ... تطفو داخل تلافيف الرأس بيوت قريتي الواطئة ووجوه أطفالها الطينية بأسمالها البالية .. تختلط الأزياء والبيوت والوجوه وكل المرائي .. تضغط على المخ والمخيخ وكل مكونات الرأس المعقدة فأحسها تنفجر .

اهتزت العربة اهتزازاً عنيفاً .. زعق الراكب الذي يجلس بجوار السائق لما رأى رأسه تسقط فوق صدره .. مد الساق اليسرى وهو يزعق .. داس على دواسة الفرامل بشدة فاهتزت رؤوس الركاب بشدة فخبطت في بعضها وفي ظهور المقاعد .. علت الأصوات محتجة .. أزاحوا السائق .. احتل مكانه أحد الركاب . جعر السائق وهمهم ببعض السباب لكنهم أسكتوه بسيجارة .. قال أحدهم وهو يمدها له :

خذ .. اشرب هذه علك تنام جيداً .

عند مفترق الطرق وقفت السيارة .. من خلال النافذة المفتوحة مددت يدي لبائع صحف .. التقطت صحيفة .. عيناي تأكلان الكلمات .. العناوين .. الأولوية لتنمية القرى .



بفرح طفولي امتلأت نفسي .. سيتغير وجهك يا قريتي وأطفالك سيغدون مثل بقية الأطفال .. سيكون لهم أفواه وأنوف وآذان .. وسنرى بريق عيونهم التي أخفتها جيوش الذباب وطبقات التراب .. يتململ الرجل الجالس على يساري .. كور كف يده اليمنى .. راحت تضرب أعلى ساقه .. بعد طول تردد سألني : كم الساعة الآن .. ؟ .

نعم لزيادة الأجور مع السيطرة على الأسعار .

استرجعت نظريات الاقتصاد التحليلي علني أجد تفسيراً لهذا العنوان .. لا يمكن تحقيق ذلك إلا بادخار هذه الزيادة وتوجيه الادخار للاستثمار ... الرجل بجواري يعيد السؤال ملحاً .

ـ لقد سألتك عن الساعة ؟ قلت دون أن أنظر إليه :

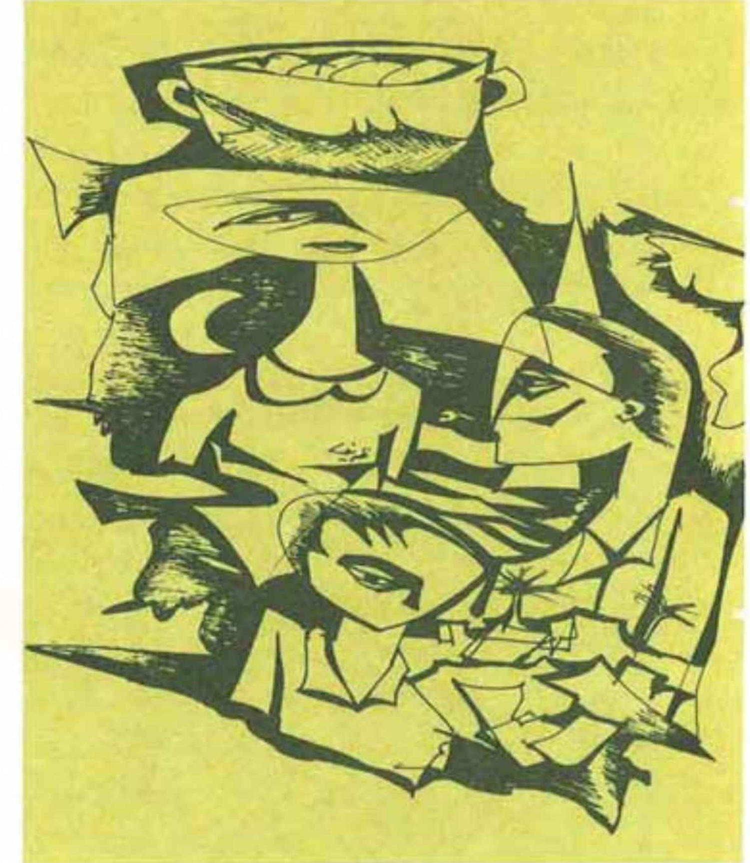
ـ علمها عند ربي .

قال مغتاظاً :

ـ أسألك عن الوقت وليس عن القيامة .

عرفت من الشيء المستدير حول معصمي منذ كنت صبياً في الإعدادية أن الشمس آخذة في الرحيل إلى نصف الكرة الآخر .. عبر النافذة أرسلت





بصري ... اصطدمت بهامات البنايات العالية والشوارع الإسفلتية .

ـ حمداً لله على السلامة .

رددها الركاب لبعضهم وكأنهم يقولون كفارة .

تفرقت الأجساد .. حملت سلتي وحقيبتي .. الرأس تتلفت يميناً وشمالا .. أستنجد بكل سيارة أجرة .. أخيراً وقفت إحداها .

ـ زين العابدين من فضلك .

ـ أخذ جنيهاً .

كادت كلمة الرفض « لا » تفر من بين الشفتين لولا أطبقت عليها . على صفحة وجهي قرأ ترددي .. قال بكل بجاحة أهل الكار : هاه .. ؟ .

ـ موافق .

خرجت الكلمة مبتورة ... ممزقة .

كالملتاث راح يتكلم في عدة أشياء ... كالغراب وهو يحجل فوق الأرض ولا يستقر .. عن الغلاء وطوابير الجمعيات وزوجته التي مثل الأرنب ، والأسعار المجنونة وإشارات المرور .. عن كل هذا تكلم ، ثم راح يسألني بنطاعة :

ـ إيه يا أستاذ .. إنني أتكلم منذ ساعة زمن .. لماذا لا ترد عليَّ .. إياك أن تظنني مجنوناً ؟ .

قبل أن أقول له خائفاً : لا سامح الله يا أسطى ، كان ميدان زين العابدين يطل علينا .. قلت متهرباً من كلامه .. الشارع الثالث على اليمين من فضلك .

حدجني بنظرة استنكار لم تدم طويلاً .. انشغل بوضع الجنيه في جيبه .. أسرعت بالنزول . صعدت الدرج وأنا أزعق .. محمود .. يا باشمهندس .

جاءني يجري .. بين يديه احتواني .. بقبلاته أمطر وجهي وبأسئلته ملأ أذني .. كيف حالك وأحوال الوالد والوالدة .. وحشتوني جداً جداً .

على السرير ارتميت .. تمددت .

قبل أن تنطلق عقيرة المؤذن بالتكبير انتفضت أصلب طولي .. قدماي تضربان الطريق .. أصابع يمناي تتحسس المظروف الأصفر الصغير ذا الطابع الحكومي .. يطالعني وجه أبي الحبيب العينان تقولان ما لم تنبس به شفتاه .

وصورة أمي وهي قابعة في ركن الحوش الواسع ترسم دوائر وخطوطاً .. ربما كانت خطوط الفقر الأزلي الذي تقبع تحته .. أدس اليدين في جيوب البنطلون ملتمساً الدفء .. تلتمس الأنامل الخطاب القابع داخله .. تمتلئ النفس بالأمل .. لكن سرعان ما يطل الوجه الزجاجي لمدير الأفراد ينفذ صوته اللزج إلى الأذن .. المحاسبون تم تعيينهم منذ شهر يا أستاذ ... يغزو الخوف جوانحي من جميع جوانبها ... لكنني أتماسك .. الخطوات تتقاطر ... الأذنان لا تلتقطان سوى وقع الأقدام .. يرتفع صوت المؤذن فجأة ، فيختلط الصوتان ويتحدان ...

يختلطان ويتحدان ليهزما الصمت المنتشر والخوف الذي كاد ينسال داخل الكيان كله .. آخذ نفساً عميقاً .. امتلأت الرئتان بهواء الفجر النقي فينتعش الصدر .. وقع القدمين يذوب في الأصوات الأخرى التي بدأت تنتشر ساعية وراء رزقها فيحبو الأمل من جديد في داخله وتولد ابتسامة فوق الشفتين .

لحم بلا رائحة

بقلم: جمعة محمد جمعة

أخذها وجرى، لن أدعه يفلت بها، كيف حصل عليها؟ لا بد أنني سهوت عنها أثناء فتح الباب، استغل إغماضة عيني واختفى، بحثت جاثياً، ومنحنياً، وواقفاً، رمقته ينهشها في ركن منزو، لحني أقترب، جرى، لن أدعه يهنأ بها، وراءه حتى الرمق الأخير، ذيل الجلباب مهضوم الحيلة بين الفكين، الهواء يلهو بسروالي القصير، صعد إلى الجسر، وراءه لا تكل قدماي، ولا تهدأ أنفاسي، تمنيت انشقاق الأرض عن قطار يلهفه، وأفوز، وراءه لو انصرم الزمن كله، اخترق الحقول، بدأت النباتات تشق الأرض، لن يجد مخبأ يلوذ به، ستوقفه الترعة رغماً عنه، عظمة الفخذ بين فكيه، إنه لم يلهث بعد، وأطل لساني من فمي.

— اذهب يا ولد إلى سريرك..

قالتها زوجة أبي بغضب، وتلقيتها بغضب، بين الغضبتين هوة، ابتلعتني، لا لوم عليك، اللوم كله لأبي، جاء بك ليسد فراغاً لا يملأ فراشاً، كنت طيبة ما غيرك؟، وعطوفة ما بدلك؟، أنا الأكبر كنت تعرفين، أحنيت ظهري للمساتك الرقيقة، وأملت خدي لقبلتك الحانية، وأمرت الصغار بطاعتك، بل وعاقبتهم..

كان القمر في مهده، وأنت، تضعين أول خطواتك في دنيانا، عروس ممشوقة، مختالة، اكتمل بدراً، وقد ازددت لحماً على لحم، وصار لك بطناً منتفخاً، تتهادين في خطواتك كالبطة، وتفتحين الباب على مصراعيه لأقل احتجاج منا:

— الباب يفوت جمل..

كل مرة يتلفت الصغار بحثاً عنه، لم يروه إلا لماماً وهو مساق للمذبح، أقول بصوت خافت:

— أنت هنا لخدمتنا..

لم يؤجرني أبوك خادمة، إنني زوجته، أتفهم؟.

كان سوطاً عليك، بعد بضعة أشهر صار خاتماً في إصبعك، ما بدله؟، ينعتنا بالبهائم، والمواشي، وكنا فلذات كبده، بل تمنى من الله سخطنا إلى قرود.

كل مرة، في آخر الأسبوع، تهمس لي أختي الصغيرة ونحن في الفراش، مقطوعي الأنفاس:

— أتشم رائحة الشواء في مطبخنا؟.

أكذب عليها وأقول:

— إنها من مطبخ الجيران.

أسمع أمنيتها، كالأرض العطشى تمتص وسادتي الدموع، أرى شفتيها تحدثاني بأحلامها، في الصباح أنهرها وهي تعبث ببرميل القمامة.

مواقيتك أكثر انضباطاً من ساعة الجامعة، يبثها المذياع عند الجيران، فركة كعب ويطرق أبي الباب، أوامرك صارمة بالنوم وكتم الأنفاس، مرة وحيدة، رفعت عصا العصيان، فاجأه صوتك الباكي قبل البيت بعدة أمتار، وكانت الشكوى من لا شيء مرة، والعلقة الساخنة تلقفها جسدي الهزيل، ليلة لا يجود الزمان بمثلها ولو قطعتنا إرباً إرباً.

أوقفني ملتاعاً، إنه يشق ماء الترعة بقدميه، سريعاً صعد إلى البر الآخر ونظر إليّ، ذيله في مرح يسخر مني، رفعت حجراً هددته به، أخفى الفخذ خلف شجرة، أطل برأسه، قذفت الحجر تفاداه ولم يأبه.

بدا، كأنه يعرفك، دون وجودك أوقفتني بلا حيلة، أنظر متحسراً على



نقودي التي ضاعت ، عشرون يوماً أذهب إلى المدرسة ، يمضي اليوم الدراسي دون أن تكف معدتي عن العويل ، أضع القرش بجوار القرش على فخذ السرير الحديدي ، اكتمل المبلغ الهائل ، وقفت عند الجزار ، أكلت عيناي اللحم نيئاً ، وبأكثر مما اشتريت ، رأيته يلقي بعظمة الفخذ في قفة العظام ، قلت على استحياء :

ــ هل تعطها لي ؟ .

رثاني الرجل قائلاً :

ــ إذا أردت العظم كله خذه .

مددت يدي وتناولتها ، اليوم أهلت أولى نسائم الحرية ، اليوم لنا بيت لا سطوة لك فيه ، أعرف كيف أعد الحساء ، وكيف أضع الطبلية وأرص فوقها الأطباق ، في المساء أسأل خالتي بهية عن صنع الشواء .

تطلعت إليه مغتاظاً ، تناولت حجراً آخر وصوبته نحوه ، رفع رجلاً خلفية وبال على الشجرة ، ترك عظمة الفخذ ، هرول مبتعداً ، عبر الترعة بعيداً عني ، أطلق ساقيه للريح .

لا بد أني ملاقيك عند البيت ، صرخت : الباب مفتوح ، ورقة اللحم على الأرض ، هرولت والسباق عنيف بيننا .

وقفت لاهثاً ، ينتفض جسدي كله ، إخوتي جلوس في نصف دائرة ، الورقة تفترش الأرض ، عليها بعض البقع الحمراء ، قلت بصوت لا أخاله صدر عني :

ــ أين اللحم ؟

قالوا في انشراح :

ــ أكلناه .

جلست على الأرض ، أسندت ظهري إلى الباب ، قالت أختي الصغرى بعد هنيهة :

ــ اللحم الذي تصنعه زوجة أبي أحسن ، ما تصنعينه ليس له رائحة .

بكيت ، بينما سمعت الجيران يهنئون أبي بميلاد طفل زوجته الأول .

الرهان القاتل

بقلم : محمد بركات عزيزة

كان دائماً على موعد مع هذا النهر المار من أمام قريتهم .. فطفولته ارتوت وترعرعت على الشاطئ الغربي لهذا النهر .. وأحلامه وألعابه غرست على رمال شاطئه بجانب أشجار الكافور والنخيل .. وأوراقه الخضراء ذبلت على الشاطئ الشرقي .

عرفت ذاته (الأنا) الواحدة منذ نعومة أظفارها .. ونمت هذه (الأنا) الأنانية مع نمو جسده الطويل المتسلق كأغصان البسلة فكان يسبق أقرانه في سني عمره .

في طفولته لوَّحته الشمس المشرقة .. ولفه ضوء القمر المرمري .. وتعلقت بأهداب خياله قصص الجان .. وخاف خيال الطفولة من أقرانه خرافات الجن ولفظ هو تلك الأوهام فقد كان يرى الجن بداخله .. فلماذا إذاً يهابه ؟

أقران الطفولة يخافون الاقتراب من النهر ليلاً حتى لا تلتقطهم (جنية) البحر .. وهو يتمنى أن تحتضنه (الجنية) إلى صدرها .. أنفاسه تشق المياه كطرّاد حربي .. ويده تطول قرص القمر .. فهو الوحيد المتحفز والواثق في قدراته الشخصية .

في صباه كان أول أقرانه الذي تعلم السباحة وأصبح قادراً على اجتياز النهر حتى شاطئه الآخر .. وهو يقامر على هذه المغامرة في أي وقت من الليل أو النهار .. ويكسب الرهان .

فوق الساقية تحت التوتة الخضراء .. على الشاطئ الغربي وفتيات القرية الغيد الحسان يملأن قواريرهن الفخارية ويتمايلن في دلال كأغصان البان ..

وغصن من أغصان البان العذراء يخطف قلبه .. ربيع عمره يملأ الكون من حوله زهوراً ورياحين .. عصفور قلبه يغني لحن الوجود ويطير ليحط على غصن البان العذراء .. ولكنه غير قادر .. فقفص التقاليد يأسر حركة هذا العصفور .. وفي صمت يحبها .

وفي مهرجان للاستعراض يصعد حيث يخاف الآخرون .. إلى قمة القنطرة الحديدية التي تربط شاطئي النهر حيث ترتفع ستة أمتار عن منسوب المياه ..

ويطير في الهواء كالصقر المنقض على فريسته من عل .. وتطول فترة غوصه .. وأقرانه من الشباب .. وفتيات القرية الغيد الحسان .. تشرئب أعناقهم إلى عرض النهر الواسع ترقباً لصعوده فوق سطح الماء .. وطوال فترة غوصه يثير في النفوس أشجاناً وألواناً .. فقلب المحبوبة يخفق بالأمل والرجاء .. وقلوب الرفاق تملؤها الغيرة من هذا الفارس الفائز حين كل رهان .

قابله (شيخ) القرية ونهاه عن المقامرة حيث إنها من المحرمات .. وفي عصر ذات اليوم راهن على سباق الخيل الذي يجرى مرة كل شهر .. وفاز .

وفي أمسية قمرية .. تجمع الأصدقاء يلعبون ويتسامرون .. واقترح أحدهم سباقاً من نوع خاص .. يقوم المتسابق بعبور النهر إلى الشاطئ الشرقي في هذه الساعة المتأخرة من الليل ثم يدخل وسط القبور ويقوم بدق وتد ليكون شاهداً على أنه أتم المغامرة بالكامل .. وقف الجميع مشدوهون .. إلا هو .. وافق على الفور ... واشترط شرطاً واحداً فقط .. وهو أن يصحب (جلبابه) معه حتى لا يسير وسط القبور عارياً .. ووافقه الجميع .. ولف (جلبابه) برأسه .

جسده الطويل يشق أجفان عيون النهر النائمة في ثبات عميق ويذوب في اليوم الدافق .. وعيناه .. عين على الرهان فتحمله موجات الشعور بالذنب .. وعين على مجد ذاته فتلقفه موجات الشعور بالفتوة والفروسية .. ووصل إلى الشاطئ الشرقي .. وارتدى (جلبابه) .. وغاب ظله وهو يتجه نحو القبور .

الليل يجثم فوق القبور .. وقلبه أقوى من جسده .. والرياح تزأر فلا تحرك عنده ساكن .. فكثافة الأشجار حول القبور بددت ضوء القمر وتناثرت أشلاؤه في دوائر بيضاء هنا وهناك وكأنها عيون الأموات ترقب هذا الذي سمح لنفسه أن ينتهك حرماتها . ولكنه دق الوتد وأنجز مهمته .

عصفور قلبه يزف أصداء فرحته عبر الأثير إلى الرفاق في الشاطئ الغربي .. واندفعت قدمه اليمنى لتبدأ مشوار العودة السعيد .. ولا تطاوع القدم اليسرى قدمه اليمنى .. وتسمرت قدماه بجانب الوتد .. ولأول مرة يرتعد قلبه خوفاً .. وعاود الكرة .. وكأن يداً قوية تمتد من باطن أرض الأموات تمسك بتلابيب (جلبابه) .. وخار قلب الأسد .

وعلى الشاطئ الغربي كانوا في انتظار عودته .. وأوتار صوت المؤذن يعلن للوجود بزوغ فجر جديد .. ويدوي في الفضاء رجع الصدى لأصوات الرفاق ينادون عليه فلا يجيب .

وعبروا إلى المقابر وجاثوا في طرقاتها بحثاً عنه .. والتقت عيونهم بالجسد الطويل مسجى بجانب الوتد فقد قتله وَهْم ساور نفسه أن شيطان المكان هو الذي جذب (جلبابه) وقيد حركته .. ولم يفطن إلى أنه دق الوتد الشاهد على فراسته فوق أطراف (جلبابه) .. وكان الرهان الأخير .



مؤرخو العرب



ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م) :

هو المؤرخ العربي المسلم المشهور ، ولد في **تونس** ونشأ وتعلّم بها ، وتنقل في بلاد المغرب ، ثم أقام في **تلمسان** . وشرع في تأليف تاريخه « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ، وله قيمة كبرى بين كتب التاريخ الإسلامي . عاد إلى تونس ، ومنها انتقل إلى **مصر** ، حيث اتصل بسلطانها **برقوق** فولاه قضاء المالكية . وتُعدّ مقدمة كتابه الكبير في التاريخ ذات خطر عظيم لاشتمالها على فصول في العمران والنشاطات الاجتماعية والسياسية ، وتصنيف العلوم . وقد تأثر بها علماء الاجتماع والتاريخ في الغرب من أمثال : **فيكو** الإيطالي ، **أوجست كونت** الفرنسي ، **وهربرت سبنسر** الإنجليزي .



ابن بسام (ـ ١١٤٧م) :

مؤرخ أندلسي ، عرف بكتابه « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » ، في ثمانية مجلدات ، وبه ١٥٤ ترجمة مسهبة لأعيان الأدب والسياسة في عصره ، وكتابه من أنفس كتب التاريخ الأندلسي وأحفلها بالطرف والروائع وعجائب الأخبار ، وغرائب السير ، وقد اطلع **ابن خلكان** على كتابه ونقل عنه واعتمد عليه ، وذكره **ياقوت الحموي** في كتابه المعروف ، أما **المقري** فقد ذكره كثيراً في كتابه « نفح الطيب » . وقد قسم كتابه أربعة أقسام باعتبار الأقاليم ، فقسم **لقرطبة** ووسط الأندلس ، وقسم **لإشبيلية** وبلاد غرب الأندلس ، وقسم **لبلنسية** وما يليها من شرق الأندلس ، والقسم الرابع لمن طرأ على شبه الجزيرة من أعلام في عصره .



التوحيدي ، أبو حيان (٣١٠ ـ ٤١٤هـ) :

هو من أصل فارسي ، قدم **بغداد** واستوطن بها ، ثم مضى بعد ذلك إلى مدينة **الري** . أتقن العربية وتعصب لها ، وتشيع للعرب ، وتكفل بالرد على الشعوبية . تلقى علومه على شيوخ بغداد والبصرة ، وتعمق في دراسة جميع علوم عصره . كان لحملته على الوزيرين **أبي الفتح ابن العميد ، والصاحب بن عباد** أثر فيما أصابه من إغفال الناس لأمره . اشتهر بكتبه : « مثالب الوزيرين » ، و « البصائر والذخائر » ، و « الإمتاع والمؤانسة » ، و « المقابسات » ، وقد تميز بمنهجه الخاص في كتابة السير ، التي اعتمد في كتابتها على التزام النزاهة والبعد عن بواعث الحب الشديد أو التعصب الأعمى .



الثعالبي ، عبد الملك بن محمد (٩٦١ ـ ١٠٣٨م) :

أديب ومؤرخ ، ولد ومات **بنيسابور** ، وألف عدداً من الكتب في اللغة والأدب والتاريخ . اشتهر بكتابه « **يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر** » ، الذي ترجم فيه لشعراء القرن الخامس ، وقسمه وفقاً للأقاليم ، القسم الغربي من العالم الإسلامي ، العراق ، والقسم الشرقي خراسان وما وراء النهر ، فاحتذاه المؤرخون للأدب فيما بعد في منهجه وتقسيمه . وقد عني بأخبار الملوك والأمراء والرؤساء ، وتأثيرهم في الأدب ، ليوضح العلاقة بين الأدب وبين الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية في عصره .





الجبرتي ، عبد الرحمن (١٧٥٤ ــ ١٨٢٥ م) :

مؤرخ مصري ، ولد **بالقاهرة** وتعلم بالأزهر ، وكان والده حسن الجبرتي من شيوخ الأزهر ، شهد مقدم الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ ــ ١٨٠١ م ، وعاصر أحداثها ، كما لمس الصراع بين الولاة العثمانيين الذي انتهى بتولية **محمد علي** حكم مصر . أرّخ هذا كله في كتابه «مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين» ، ثم في كتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» ، ويعتبر الأخير أعظم تواريخ مصر في القرنين ١٨ ، ١٩ الميلاديين ، وله قيمته العظمى في التاريخ الاجتماعي في ذلك العصر .



حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (١٦٠٨ ــ ١٦٥٧ م) :

مؤرخ تركي ، ولد في **استنبول** ، وساهم في عدة حملات عسكرية ، ولما زهد في حياة الوظيفة ، عكف على الدرس والكتابة التاريخية . بلغت كتبه التاريخية (٢٢) كتاباً ، أشهرها كتاب «**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**» ، وهو موسوعة في مجلدين قضى في تأليفها حوالي عشرين عاماً ، وكانت مرجعاً هاماً للباحثين والدارسين والمؤرخين على مر العصور .



خاقان ، الفتح بن (ــ ٥٢٨ هـ) :

مؤرخ أندلسي ، نشأ في إقليم **غرناطة** ، وتتلمذ على شيوخ عصره ، وكان معاصراً للمؤرخ **ابن بسام** صاحب «الذخيرة» . وقد عرف بسعة علمه وثقافته ، وعذوبة أسلوبه وألفاظه ، وقدرته على الوصف والتسجيل . اشتهر بكتابيه «قلائد العقيان» ، و «مطمح الأنفس» ، وقد تناول فيهما تاريخ الرجال الذين امتازوا وبرزوا في أية ناحية من نواحي الحياة الدينية أو الأدبية أو السياسية ، على غرار كتب الطبقات ، طبقات الشعراء ، وطبقات الحكماء ، وطبقات النحاة .



الدينوري ، أبو حنيفة أحمد (ــ ٨٩٥ م) :

فقيه ولغوي عربي ومؤرخ ، له مؤلفات عدة ، اشتهر منها كتاب «الأخبار الطوال» ، الذي ذكر فيه أخباراً مفصلة عن فتح العراق على يد العرب ، وأسهب في وصف معركة القادسية . تميّز تاريخه بالتحقيق والتدقيق ، والنزعة الموضوعية ، وتجلى في أسلوبه دقة الألفاظ وعذوبة العبارات . وله أيضاً كتاب «النبات» الذي حظي بتقدير علماء النبات في العالم الغربي .



الذهبي ، محمد بن أحمد (١٢٧٤ ــ ١٣٤٨ م) :

مؤرخ ومحقق تركماني الأصل ، ولد وتوفي **بدمشق** ، وكان قد رحل إلى **مصر** ، وطاف بكثير من البلدان ، حتى كف بصره . كتب في التاريخ الإسلامي ، وتميّز تاريخه بالإحاطة في المعرفة والشمول في النظرة ، والدقة في التعبير ، والبراعة في الوصف والتصوير . من أهم كتبه : «دول الإسلام» ، و «تاريخ الإسلام الكبير» ، و «سير النبلاء» ، و «الكاشف في تراجم رجال الحديث» .



الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد (توفي عام ١١٠٨ م) :

أديب لغوي وفقيه ومؤرخ ، أصله من **أصفهان** ، وعاش **ببغداد** ، ألّف عدة كتب في الأدب واللغة والتاريخ ، مثل : «حل متشابهات القرآن» ، و «أفانين البلاغة» ، و «الأخلاق» . ومن أشهر كتبه «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء» . يقع في (٢٥) جزءاً ، تضم مختارات من الأخبار والأشعار ، وتؤرخ لطائفة كبيرة من الأدباء والشعراء .



الزهري ، محمد بن مسلم (توفي عام ١٢٤ هـ) :

مؤرخ عربي ، من مؤرخي الطليعة في صدر الإسلام ، الذين عنوا بأخبار السير والمغازي ، واشتهروا بكثرة المعلومات التاريخية ، وقد اشتهر بسعة العلم ومعرفة الأنساب ، وساعد حبه لجمع الأخبار ذاكرته القوية ، وكان معنياً بكتابة ما يسمع على غير ما كان مألوفاً بين معاصريه ، وقد ألّف إلى جانب المواد التي دوّنها لاستعماله الخاص كتاباً عن القبائل العربية بأمر من **خالد القسري** ولكنه لم يتمه ، وقد كتب في السيرة ،

وكان كثير الاتصال بالخلفاء الأمويين ، وقد قدر علمه **عمر بن عبد العزيز** .



السخاوي ، أبو الخير محمد (١٤٢٧ ـ ١٤٩٧م) :

مؤرخ عربي ، ولد **بالقاهرة** ، وتلقى علوم الحديث والتفسير على أصحاب أبيه ، وبخاصة **ابن حجر العسقلاني** . فضى متنقلاً بين **مصر وسورية والحجاز** فترة من الزمن ، عكف بعدها على التأليف في الحديث والتاريخ . من أشهر مؤلفاته التاريخية : « التبر المسبوك في ذيل الملوك » ، و « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » ، و « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » ، و « الجواهر والدرر في ترجمة ابن حجر » .



شرية ، عبيد بن (توفي عام ٧٠هـ) :

مؤرخ عربي ، في طليعة مؤرخي التاريخ الإسلامي ، وهو أحد أربعة مؤرخين يتنازعون فضل الأسبقية في وضع أول كتاب أو كتيب في التاريخ الإسلامي ، وهم : **زياد بن أبيه** ، **ودغفل النسابة** ، **وعبد الله بن عباس** ، ثم **عبيد بن شرية** ، الذي اتخذه **معاوية** سميراً ومحدثاً ، يروي له طرائف الأخبار ، وغرائب الأحاديث ، وقد دوّنت أحاديثه في كتاب عنوانه « كتاب الملوك وأخبار الماضين » ، وهو أقرب إلى كتب الأخبار منه إلى كتب التاريخ .



صاعد الأندلسي التغلبي (١٠٢٩ ـ ١٠٧٠م) :

مؤرخ أندلسي ، ومن أشهر مؤرخي الإسلام ، أصله من قرطبة وولد بالمرية ، وولي قضاء قرطبة إلى أن توفي . له مؤلفات عديدة في التاريخ ، تميّزت بسعة علم صاحبها ، ودقة ملاحظته وجذالة أسلوبه وعذوبة لفظه ، أشهرها « جوامع أخبار الأمم من العرب والعجم » ، و « تاريخ الأندلس » ، و « تاريخ الإسلام » ، و « طبقات الأمم » ، و « مقالات أهل الملل والنحل » .



الضبي ، أحد من أهل القرن الثاني عشر الميلادي :

مؤرخ أندلسي ، تنقل بين **المغرب والجزائر** ومصر ، واشتهر بكتابه « **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس** » ، وهو من الكتب المؤلفة على منهاج كتب الطبقات ، مثل : طبقات الحكماء ، وطبقات الشعراء ، وطبقات النحاة ، ويعتبر كتاب « بغية الملتمس » تتمة لكتاب « جذوة المقتبس » **للحميدي** .



الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (٨٣٩ ـ ٩٢٣م) :

مؤرخ من أشهر مؤرخي الإسلام ، ولد في **طبرستان** ، وتنقل بين العواصم الكبرى طلباً للعلم ، فذهب إلى **الري وبغداد والبصرة والكوفة** ، وزار **سورية ومصر** ، وكتابه « تاريخ الرسل والملوك » ، من الكتب الجامعة ، حاكاه وأخذ عنه من جاء بعده من مؤرخين آخرين **كابن مسكويه وابن الأثير** . وله أيضاً كتاب « تاريخ الرجال » عرض فيه كل ما وقف عليه من مسموع ومكتوب . وقد أفاد الطبري من المواد التي جمعها مؤرخو القرن الثاني للهجرة ، وانتفع بحركة النقل عن اللغات الأجنبية التي بدأت في ذلك القرن .



عروة بن الزبير (٢٢ ـ ٩٣هـ) :

من أوائل من ألفوا في التاريخ ، وكان يعد أحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وأبوه **الزبير بن العوام** أحد الصحابة العشرة المقدمين ، وهو ابن **صفية** عمة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد روى عروة عن **عائشة** أم المؤمنين ، وكان معروفاً بالصلاح والتقوى وسعة العلم والمعرفة ، وقد مكنته إقامته بالمدينة من الإلمام بكثير من الأخبار عن أولية الإسلام ، ولم يكتف بتلقين تلاميذه الأخبار التي نقلها من الثقات الذين أخذ عنهم ، بل دون ما انتهى إلى علمه عن حوادث صدر الإسلام ، في رسائل اعتمد عليها ابن **إسحاق** ، **والواقدي** ، **والطبري** . وقد لوحظ على رسائله أنه لا يهمل الإسناد إهمالاً تاماً ، ولا يعنى به كذلك عناية شديدة . وقد عثر على مخطوطة كتابه في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحققها ونشرها العالم الفاضل الدكتور محمد مصطفى الأعظمي .



غلام ، علي آزاد البلغرامي (١٧٠٤ ـ ١٧٨٦م) :

مؤرخ ورحالة هندي ، طاف أنحاء الهند ، حج وأقام

بمكة المكرمة ، من مصنفاته في التاريخ ، كتابه المشهور «مآثر الكرام في تاريخ بلغرام» ، كما قام بنشر كتاب «مآثر الأمراء» لصرصام الدولة ، وهو معجم أعلام الدولة ، في أيام أباطرة المغول بالهند .



فرشته ، محمد قاسم هندوشاه (١٥٥٢ ـ ١٦٢٣م) :

مؤرخ إيراني مسلم ، كتب تاريخ الهند من أول الفتح الإسلامي ، من عدة مصادر ومراجع ، ويعتبر كتابه في تاريخ الهند الإسلامي ، من أهم المراجع التي اعتمد عليها المؤرخون والباحثون ممن جاءوا بعده .



القفطي ، علي بن يوسف الشيباني (١١٦٧ ـ ١٢٤٨م) :

أديب ومؤرخ مشهور ، ولد بقفط بمحافظة قنا في صعيد مصر ، ومات بحلب ، درس بالقاهرة والإسكندرية ، وانتقل إلى القدس ثم إلى حلب ، فألحق بديوان الرسائل ووزر للملكين العزيز والناصر . عمد في رسائله إلى تنميق اللفظ ، والتزام السجع ، والإكثار من التورية والجناس ، واحتذاء طريقة القاضي الفاضل . من أشهر مؤلفاته التاريخية : «إخبار العلماء بأخبار الحكماء» ، و «أخبار المصنفين» ، و «إنباه الرواة عن أنباء النحاة» ، وله في التاريخ السياسي كتاب «أخبار مصر من ابتدائها إلى أيام صلاح الدين» ، و «المغرب ومن تولاها من أتباع ابن تومرت» ، و «تاريخ اليمن» ، و «أخبار السلجوقية» .



الكلبي ، هشام بن محمد بن السائب (توفي عام ٢٠٦هـ) :

نشأ في الكوفة ، وكان نسابة عالماً بأخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها ، ومؤلفاته كثيرة ، بعضها فيما قارب الإسلام من أمر الجاهلية ، وبعضها في أخبار الإسلام وأخبار البلدان وأخبار الشعراء وأيام العرب . وهو مؤلف كتاب «الأصنام» ، وهو كتاب صغير الحجم ، كما ألّف للخليفة المأمون كتاب «الأنساب» ، وصف لجعفر البرمكي كتاب «الملوكي» ، وهو يشبه المدائني في طريقته في التأليف وتناول الموضوعات .



لسان الدين بن الخطيب ، محمد (١٣١٣ ـ ١٣٧٤م) :

أديب ومؤرخ أندلسي ، ولد بلوشة قرب غرناطة ، ومات بفاس ، خدم الوزير علي بن الجياب ، واستوزره بنو الأحمر منذ عام ١٣٤٩م . نفي مع محمد الخامس بمراكش لسنتين ثم عاد معه ، ألّف حوالي ٦٠ كتاباً معظمها في التاريخ والجغرافيا والأدب ، وأهمها كتابه «الإحاطة في أخبار غرناطة» ، و «اللمحة البدرية في الدولة النصرية» ، و «معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار» ، و «خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف» . ويعد ابن الخطيب من أبرز رجال الأندلس في عهدها الأخير .



المقري ، العباس أحمد بن محمد (١٠٠٠ ـ ١٠٤١هـ) :

مؤرخ مغربي ، ولد في تلمسان ببلاد الجزائر ونشأ بها ، ورحل إلى فاس وحج في عام ١٠٢٧هـ ، ثم صار يتنقل بين مصر وسورية والحجاز ، مؤثراً الإقامة في دمشق . ألّف كتاب «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» ، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، وهو من أوفى المراجع المعروفة في تاريخ الأندلس ومختلف أخبارها وأحوالها ، إن لم يكن أوفاها قاطبة .



النباهي ، أبو الحسن (٧١٣ ـ ٧٧٦هـ) :

ولد في مالقة بالأندلس ، ودرس بها على شيوخ مقصودين ، ثم رحل عنها إلى غرناطة لاستكمال علمه وثقافته ، ثم عين بها كاتباً بالديوان في بلاط ملك غرناطة . ألف في التاريخ كتابه الشهير «تاريخ قضاة الأندلس» الذي يعد من أهم ما كتب عن قضاة الأندلس والمغرب ، وهو من أندر كتب التاريخ عن حياة العدالة وسدنة القانون .



الهيثم بن عدي (١٣٠ ـ ٢٠٧هـ) :

من أشهر مؤرخي القرن الثاني الهجري ، وأكثرهم علماً وإحاطة ، فقد

كان وعاءً من أوعية العلم ، واسع الاطلاع على كلام العرب وعلومها وأشعارها ولغاتها الكثيرة ، ولد **بالكوفة** ، واشتهر بالرواية ، وكان صاحب أخبار ، فقد اختص بمجالسة **المنصور والمهدي والهادي والرشيد** ، وروى عنهم ، ومن كتبه : كتاب « المثالب » ، وكتاب « المعمرين » ، وكتاب « بيوتات العرب » ، وكتاب « أخبار الفرس » ، وثبت كتبه حافل ، يشمل كتباً عن الحكام والقضاة والخلفاء وحوادث الإسلام المبكرة وأخبار العرب في الجاهلية .



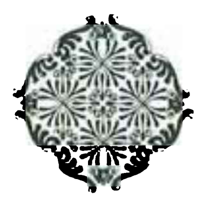
الواقدي ، محمد بن عمر (١٣٠ ـ ٢٠٧هـ) :

من أشهر مؤرخي القرن الثاني الهجري ، كان عالماً **بالحديث والمغازي** والفتوح ، وقد قربه الخليفة **المأمون** وولاه القضاء بشرقي **بغداد** ، وعرف بغزارة العلم ، وكان ثقة في أخبار الناس والسير والفقه وسائر الفنون ، وقد ذكر عنه **ياقوت وابن خلكان** أخباراً تدل على نبل أخلاقه وسماحة نفسه ، ومؤلفاته كثيرة منها : كتاب « المغازي » ، وكتاب « أخبار مكة » ، وكتاب « السيرة » ، وكتاب « فتوح الشام » .



ياقوت الحموي (١١٧٨ ـ ١٢٢٨م) :

مؤرخ وأديب من أصل رومي ، وكان يلقب بشهاب الدين ، عاش حياة قلقة مضطربة ، إلى أن أقام **بالموصل** ، ثم انتقل منها إلى **سنجار** ، إلى أن ارتحل إلى **حلب** . ترك طائفة من الكتب ، بينها كتابان يعدان من أنفس الكتب في التاريخ بوجه عام ، **وهما** : كتاب « معجم الأدباء » الذي سماه ياقوت « إرشاد الأريب إلى **معرفة الأديب** » ، وكتاب « معجم البلدان » . وبفضل هذين الكتابين يعد **في طليعة جامعي المعارف** والمعلومات ، ومنسق الأخبار والروايات ، وناظمي أشتات الفرائد والفوائد .



الأمل المغلوب

شعر : إبراهيم سعيد أبو صيام

الريح تصرخ بي تعدو تهزّ دمي
ونغمةُ الأمل المغلوب ملء فمي
والموج يصفع بُعمي قاربي ليرى
كيف التدحرج في دوّامة الظُّلَم
يجبو فلا شاطئٌ يبدو ولا قبس
يدنو فكلّ ندائي تاه في العدم
وخلفيَ الموت هدّار يطاردني
وزورقي مثقل الأجفان في صمم
يكاد ينهشني لولا مجالدتي
فينهش الطيف مقهوراً من النهم
ويعرف الصخرُ ألحاناً ملوّنة
كم أوجعت زورقي .. كم حطّمت حلُمي
بكتْ بصدري آمالي فقلت لها :
تالله إنك أقوى من لظى الألم
أطلّ شبه بصيص خلتُه شُهُباً
سرى بعظمي ولحمي .. هزّ نبْع دمي
فصحت في قاربي المثلوم أوقظه
قم ذاك شطّك فامسح رعشة السَّأم
فسار حتّى وصلنا والشُّباك لها
تأوّه وعويل غير منسجم
هدأتُها .. فوق خدّ الرمل ترمقني
من وجهيَ القانع المضْنى إلى قدمي
وقلت : يا بحر إنّي عائد وغداً
ترى الأفانين فازرعْ شائك الحُمم

عالم الحيوان .. في المملكة العربية السعودية

قرأت باهتمام بالغ ، المقال المنشور في العدد (٩٨) ، من مجلة «**الفيصل**» ص ص (١٠٤ ــ ١١٢) ، الصادر في شعبان ١٤٠٥ هـ ، أيار (مايو) ١٩٨٥ م ، تحت عنوان «**عالم الحيوان ... في المملكة العربية السعودية**» ، بقلم : **محمد فكري أنور** .

ومما أثار انتباهي أن أغلب المعلومات التي وردت في هذا المقال ، ما عدا الجزء الأخير «رحلة في الصحراء» ، وكذلك كافة الصور المنشورة معه مأخوذة من مصدر واحد هو كتاب فينسنت عام ١٩٨٢ م ، «حياة الحيوان في المملكة العربية السعودية» . وكان الواجب ومتطلبات الأمانة العلمية تملي على الكاتب أن يشير إلى ذلك في نهاية المقال .

هذا ، وكان من الأفضل لو أن الكاتب قد ذكر الأسماء الإنجليزية على الأقل للحيوان الذي ورد ذكره في المقال تلافياً للالتباس ، وتوضيحاً للأنواع المشار إليها ، حيث إن الأسماء العربية لكثير من الحيوان غير متفق عليها حتى الآن .

وفيما يلي بعض التعليقات والتصويبات حول بعض المعلومات التي وردت في هذا المقال الذي يتعلق بإحدى الثروات الوطنية للمملكة العربية السعودية ، الهدف منها هو التوضيح وبيان الحقائق ، ليس إلا حيث إن نشر معلومات غير صحيحة علمياً تعطي القارئ انطباعات خاطئة قد يصعب تغييرها أو تصحيحها فيما بعد .

وبالإضافة إلى الأخطاء العلمية التي جاءت نتيجة للترجمة غير الصحيحة بسبب ضعف الخلفية العلمية للكاتب في هذا المجال ، ولاختصاره للنص الإنجليزي ، هناك بعض الأخطاء في الأسماء العربية للحيوان مثل :

«**الوعل العربي**» ، وهو الوضيحي العربي Arabian Oryx ، أو بقر الوحش أو المها (ص ١٠٥ تحت الصورة ، ص ١٠٩) .

«**القرد الآسيوي**» ، وهو الفهد الآسيوي ، Asiatic Cheetah ، ولعل هذا خطأ مطبعي (ص ١٠٦) .

«**القرد الأثيوبي**» ، وهو البابون Baboon ، أو الرباح (ص ١٠٧) .

«**الإيدمي**» ، وهو الأدمي ، و «**العفراء**» وهو العفري ، (ص ١٠٨) .

أما بالنسبة إلى الملاحظات الخاصة ببعض الحيوان التي وردت في المقال ندرج في أدناه أهمها :

★ (ص ١٢٧) ، «**القنفذ الأثيوبي**» : إن هذا الحيوان واسع الانتشار في المملكة بعكس ما يذكر الكاتب من أنه نادر الوجود . أما «**القنفذ الآسيوي**» ، وأغلب الظن أنه يشير بذلك إلى قنفذ براندت Brandt's Hedgehog ، فإنه فعلاً نادر الوجود في المملكة ، حيث إن انتشاره محصور فقط في جنوب وشرق الجزيرة العربية .

★ «**الفأر الإفريقي والفأر الآسيوي**» : إن هذه التسميات غير واضحة ، ولا تدل على أي نوع معين ، حيث هناك الكثير من الفئران الإفريقية والآسيوية . وأغلب الظن أن الكاتب يشير إلى الفأر الأسود أو البيتي Black (House) Rat ، والفأر البني أو النرويجي Brown (Norway) Rat ، حيث كان الإنسان العامل الرئيسي في نقلها إلى مناطق كثيرة من العالم ، كما يشير الكاتب إلى ذلك .

★ «**النمس الأبيض الذيل**» : يشير الكاتب إلى أن ذنب هذا الحيوان ناصع البياض ، والواقع أن طرف الذنب فقط في هذا الحيوان أبيض اللون في الغالب ، أما بقية أجزاء الذنب فلونها رمادي مبيض يشبه في ذلك لون الجسم .

★ «**الجربوع**» : هناك نوعان من الجرابيع تتواجد في المملكة لم يميز بينهما الكاتب . أحدهما هو الجربوع الاعتيادي Lesser Jerboa وهو واسع الانتشار في المملكة . أما الثاني وهو الجربوع ذو الخمسة أصابع - Five toed Jerboa ، وهو الموجود في المنطقة الشمالية من المملكة ، علماً بأن هذا النوع يختلف عن النوع الأول في عدة صفات منها : أن لأقدامه الخلفية وليست الأمامية خمسة أصابع ، وأن أذنيه طويلتان وضيقتا النهاية ، وليست المسافة بين أذنيه ضيقة كما يذكر الكاتب .

★ (ص ١٠٨) «**الوطواط**» : إن عدد أنواع الخفاشيات المسجلة في المملكة في الوقت الحاضر هو واحد وعشرون نوعاً ، وليست سبعة عشر نوعاً . كما ويطلق عادة على الخفاشيات الكبيرة آكلة الثمار اسم الوطاويط (مفردها وطواط) ، ويوجد منها في المملكة العربية السعودية نوعان يتواجدان في المنطقة الغربية والجنوبية الغربية .

★ (ص ١٠٩) «**الوعل العربي**» : إن تسمية «العربي» لهذا النوع من الوضيحي تعود إلى أنه نوع خاص بالجزيرة العربية ، ولا يوجد في أي مكان آخر .

★ (ص ١١٠) «**النعامة العربية**» : إن الاسم الذي يطلق على ذكر النعام هو الظليم ، وعلى أنثاه الرألة . **أما الأسماء التي ذكرها كاتب المقال وهو «الزازيلهوم» ، و «الريدة» ، فقد نقلها**

حرفياً من كتاب فينسنت المشار إليه أعلاه ، ص ٦٣ ، من دون التأكد من الأصل العربي لهذه الكلمات التي حرّفت عند كتابتها من قبل شخص لا يتكلم العربية كتبها كما سمعها من أهل البادية .

وختاماً ، أرجو أن أكون بهذه الملاحظات قد ساهمت في خدمة قراء مجلة « **الفيصل** » الغراء . . .

د . إياد عبد الوهاب نادر
رئيس قسم علوم الحياة
كلية التربية ـ جامعة الملك سعود / فرع أبها ـ عسير

● **المجلة :** أنت على حق فيما ذهبت إليه من أن الكاتب قد أورد كل معلوماته من كتاب « حياة الحيوان في المملكة العربية السعودية » ، تأليف « **ليبسكوم فينسنت** » ، وقد فات الكاتب الإشارة إلى ذلك . . فنشكر لك هذا التنبيه .

أما فيما يختص بالملاحظات الأخرى ، فقد كان المترجم مجتهداً . . وليس الاجتهاد كالتخصص . . ولكي يكون القارئ في مواجهة الحقيقة التي نسعى إليها ، فقد نشرنا رد الدكتور إياد عبد الوهاب نادر كاملاً مع شكرنا العميق لاهتمامه بما ينشر في المجلة .

* * *

تصحيحات

طالعت العدد (١٠٣) من (**الفيصل**) الغراء ، عدد المحرم ١٤٠٦ هـ ، وعنّ لي فيها بعض تصحيحات أو تصويبات أوجزها في الآتي :

١ ـ ص ٢٠ ، في قصيدة (**العاشق المفلس**) قال الشاعر :

قد (أثلمت) عزمه الأحداث وانجرحت . .

والصواب (ثلمت) ، ثلاثي متعدٍّ بنفسه دون ألف . من باب ضَرَب .

وقوله :

وضجت الأرض (من تحتي) مدمدمة . .

و (من تحتي) حشو لا لزوم له ، لأن الأرض أبداً تكون من تحت ، ولا تكون من فوق . . وصنوه قول القائل : اليوم والأمس (قبله) ، ولا يكون الأمس إلا قبل اليوم . . ومثله قول الشاعر : (صداع) الرأس والوصب والصداع لا يكون إلا في الرأس .

٢ ـ ص ٩٩ ، في مقال **(لا بديل للبن الأم)** .

قال الكاتب : نستطيع أن نتفهم توصيات **منظمة الصحة العالمية** ، وتقرير **(هيئة) اليونسيف** . . . إلخ .

واستعمال (الهيئة) بمعنى الجماعة خطأ ، لأن الهيئة من معانيها الشكل والسَّمْت . . وحتى (هيئة كبار العلماء بمصر) ، تعدلت إلى (جماعة كبار العلماء . .) .

٣ ـ ص ١١٠ ، في قصيدة **(طائر الشوق)** قال الشاعر :

. . كم يكم القلب (والعيون) تعترف

والصواب (والعين) مفردة حتى لا يختل الوزن . وأغلب الظن أنه خطأ تطبيع .

٤ ـ ص ١٣٣ ، في باب **(مناقشات وتعليقات)** ، وتحت عنوان **(بين البلاغة والأسلوبية)** ، قال المعلق : يقودني هذا الحديث إلى موضوع مهم (لا يجب) أن نغضي عنه . .

والصواب (يجب ألا) ، لأن النفي لا يدخل على الإيجاب .

وقوله : . . إلى (إيقاف) زحف هذا الجراد . .

والصواب إلى (وقف) ، من الثلاثي ولا رباعي له ، وهو من باب (وَعَد) ، يتعدى بنفسه دون حاجة إلى حرف التعدية .

وقوله : فإن السرقة الأدبية لا يجب (كذا) أن تمر (من دون) عقاب . .

والصواب (دون) فقط بغير حرف الجر من . ولكن يمكن أن يقال (من غير) ، أو يقال (دون ما) عقاب . .

هذه تصحيحات عنّت لي خلال قراءتي العابرة لمجلة (**الفيصل**) الغراء ، ومثل هذه الهنات الهينات تجري على أسلات الأقلام بعضها من (سبق القلم) ، وبعضها الآخر من (التطبيع) ، أي الطباعة وهي تمر على القراء مرّ الكرام . ولذا وجب التنويه والتنبيه .

عدنان أسعد
الزيتون ـ القاهرة

● **المجلة :** نشكر للأخ عدنان تصويباته . . إلا أننا نرى أن بعض التصحيحات فيها قولان . . ولكل مجتهد نصيب .

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ قيمة الجوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٧٥٠ ريالا

ب ـ الجائزة الثانية ٥٠٠ ريال

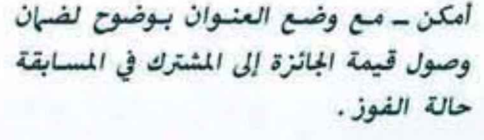
جـ ـ الجائزة الثالثة ٣٥٠ ريالا

د ـ سبع جوائز قيمة كل منها (٢٠٠ ريال سعودي) .

هـ ـ عشر جوائز قيمة كل منها اشتراك مجاني لكل فائز لمدة عام في مجلة « الفيصل » .

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وإرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن



أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي : (الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) . مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

جـ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها .

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

هـ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .



قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (١١٠)

الاسم : ....

المهنة : ....

العنوان : ....

●● المسابقة ●●

السؤال الأول :

من كتب التراث العربي الإسلامي العلمية ثلاثة كتب تحمل اسماً (عنواناً) واحداً هو « الجبر والمقابلة » لثلاثة علماء يختلف اسم كل واحد منهم عن الآخر .. اذكر أسماء هؤلاء العلماء ؟



السؤال الثاني :

هذه الصورة لأحد الجوامع الإسلامية .. ما اسم هذا الجامع .. وأين يوجد ؟ ←

السؤال الثالث :

كم يبلغ قطر كل كوكب من الكواكب التالية (بالكيلومتر) ؟

زحل ـ المشتري ـ المريخ .



السؤال الرابع :

كيف يتنفس نبات الأرز تحت الماء ؟



السؤال الخامس :

↑ هذه الصورة لإحدى القلاع التاريخية الموجودة في أحد الأقطار العربية الشقيقة .. لها عدة أسماء .. وعليها أحد المساجد المشهورة يحمل اسم قائد مسلم معروف .. اذكر اسم المدينة العربية التي توجد فيها .. والأسماء التي تعرف بها هذه القلعة .. وتاريخ إنشائها ؟

● أجوبة مسابقة العدد (١٠٣) ●

ج ١ أول رائد فضاء عربي مسلم هو الأمير **سلطان بن سلمان بن عبد العزيز**، وقد صعد إلى الفضاء عبر المركبة «**ديسكفري G-51**»، منطلقاً من قاعدة «**كانافيرال**» في جزيرة «**مريت**»، على الساحل الشرقي لولاية **فلوريدا**، كان ذلك في صباح يوم الاثنين ١٧ يونيو (حزيران) عام ١٩٨٥م، الموافق ٢٩ رمضان عام ١٤٠٥هـ.

ج ٢ مؤلفو الكتب التالية هم:

★ الصلة: ابن بشكوال.

★ الغورتمي: الخوارزمي.

★ طبقات الأمم: صاعد الأندلسي.

★ إخبار العلماء بأخبار الحكماء: ابن القفطي.

ج ٣ قيل في تسمية مدينة «**البصرة**» ـ إحدى مدن العراق التاريخية ـ عدة أسباب، منها:

★ نسبة إلى الحجارة البيضاء التي في **المربد** (منطقة بالبصرة).

★ تسمية عمر بن الخطاب لها بأنها «**أرض بصرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب**» في رده على خطاب (**عتبة بن غزوان**) الذي كتب إليه يستأذنه في تمصيرها.

★ تكبير لاسم القرية الآرامية التي عرفت هناك قبل الفتح الإسلامي باسم «**البصرة**».

★ تسمية المسلمين الذين حين وافوا مكانها للنزول بها، نظروا إليها من بعيد، وأبصروا الحصى عليها، قالوا إن هذه **بصرة** (يعنون حصبة).

ج ٤ يوجد كل من: **مسجد السليمية ـ جامع العرب ـ مسجد العمرية ـ جامع البيرقدار** ـ في جزيرة **قبرص**.

ج ٥ تبلغ أعلى قمة في هذه الجبال ما يلي:

★ **جبال الهملايا**: أعلى قمة فيها هي قمة «**إفرست**»، ويبلغ ارتفاعها (٢٩٠٠٢) من الأقدام.

★ **جبال الألب**: أعلى قمة فيها هي قمة «**مونت بلان**»، ويبلغ ارتفاعها (١٥٧٨١) قدماً.

★ **جبال الإنديز**: أعلى قمة فيها هي قمة «**أكونكاجوا**»، ويبلغ ارتفاعها (٢٢٨٣٥) قدماً.

● نتيجة مسابقة العدد (١٠٣) ●

فاز **بالجائزة الأولى**، وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي، الأخ **بلخن أحمد بن صالح**، شلغوم العيد، ميلة ـ **الجزائر**.

وفازت **بالجائزة الثانية**، وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي، الأخت **انتصار كامل محمد علي**، المدينة المنورة ـ **المملكة العربية السعودية**.

وفاز **بالجائزة الثالثة**، وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي، الأخ **ناصر يعقوب خليل**، حي ود نوباوي، أم درمان ـ **السودان**.

وهناك **سبع جوائز**، قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من **مصر** ـ بورسعيد، الأخت **غادة محمد كامل أبو سعدة**.

● من **الأردن** ـ سحاب، النقيرة، الأخ **صالح عطا الله حتمل**.

● من **العراق** ـ بغداد، الأخت **عدوية أحمد جعفر**.

● من **المغرب** ـ مكناس، الأخت **الطاهري العلوي مريم**.

● من **المملكة العربية السعودية** ـ الأحساء، القارة، الأخ **عبد الله أحمد محمد العلي**.

● من **مصر** ـ القاهرة، الأزهر الشريف، الأخ **بارقي إبراهيم**.

● من **سورية** ـ دمشق، الأخت **وردة خليل عمايري**.

بالإضافة إلى **عشر جوائز**، قيمة كل جائزة منها **اشتراك مجاني، لمدة عام، في مجلة «الفيصل»**، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

● من **الكويت** ـ الصفاة، الأخت **أنديرا نهاد كامل هنداوي**.

● من **اليمن** ـ صنعاء، الأخ **سلطان أحمد عبد الله ثابت**.

● من **البحرين** ـ ص.ب (٢٨١٧١)، الأخ **عادل يوسف محمد**.

● من **الجزائر** ـ ولاية غرداية، متليلي، الأخ **بلقاسم بوقلمونة**.

● من **المملكة العربية السعودية** ـ الرياض، الأخ **عادل صالح محمد بدوي**.

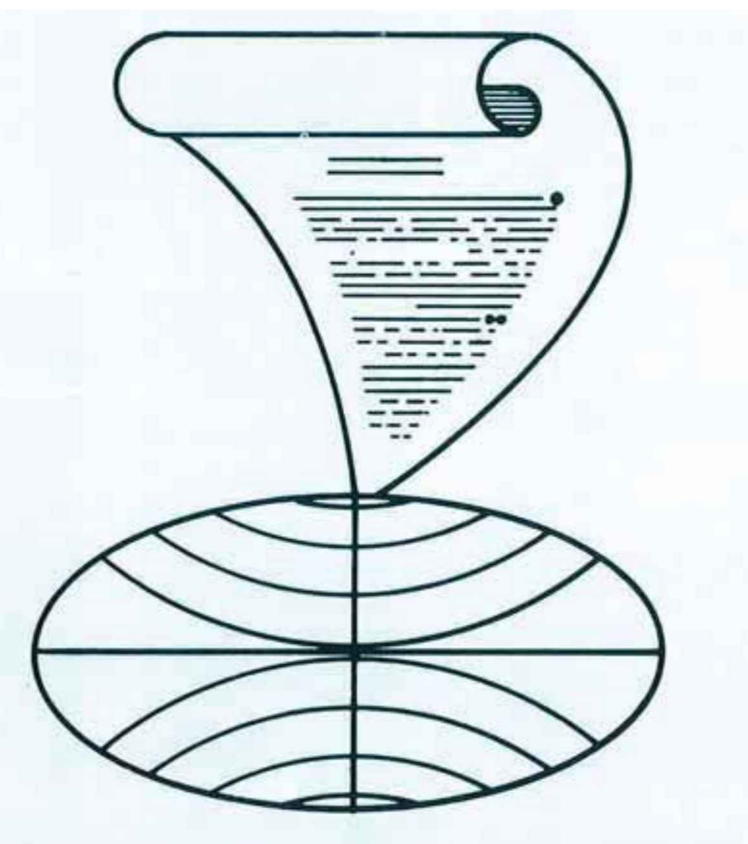
● من **أندونيسيا** ـ جاكرتا، سلاتان، الأخ **نقي الحد أرواني**.

● من **مصر** ـ القاهرة، الغورية، الأخ **حسين خليل حسين الرهيوي**.

● من **تونس** ـ القباضة الأصلية، الأخت **نبيهة السلطاني العبيدي**.

● من **دولة الإمارات العربية المتحدة** ـ العين، الأخ **محمد حسان خالد**.

● من **سورية** ـ ادلب، أبو الظهور، الأخ **مصطفى عبد الحميد شاكول**.



☆☆ اعتادت مجلة «الفيصل» في بداية كل عام جديد من عمرها، أن تقدم للقارئ أهم وأبرز الأخبار والأحداث العلمية والثقافية والفنية التي نشرت في أعداد العام المنصرم، رغبة منها في أن يكون هذا الرصد عوناً للدارسين والباحثين المهتمين بهذه الأحداث والأخبار.

وفي هذا العدد نقدم للقارئ هذا «الملف» الصغير عن أحداث وأخبار عامها التاسع المنصرم (من العدد ٩٧ إلى العدد ١٠٨)، محتوياً على إحصائية بسيطة لما نشرته المجلة من أخبار المحاضرات والرسائل الجامعية.. والله الموفق.

☆☆☆

رجب ١٤٠٥هـ

●● الوطن العربي :

★ إعلان أول جائزة لمكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض في مجالات (التربية ـ العلوم ـ الإنسانية ـ العلوم التقنية).

★ إنشاء «الجمعية السعودية الجغرافية» بجامعة الملك سعود بالرياض.

★ أقيم في دبي أول معرض للفنون التشكيلية والصناعات الشعبية بدول مجلس التعاون الخليجي.

★ صدور معجم «فهارس المخطوطات العربية في العالم» إعداد كوركيس عواد عن معهد المخطوطات العربية بالكويت.

★ صدور موسوعة «حضارة العراق» في بغداد تتألف من تسعة مجلدات.

●● العالم :

★ أقامت جمعية الصداقة الإسبانية بالتعاون مع دولة قطر معرضاً لفن الخط العربي القديم والحديث.

شعبان

●● الوطن العربي :

★ حصل على جائزة الدولة التقديرية لهذا العام كل من سمو الأمير الشاعر عبد الله الفيصل، والشاعر الأستاذ طاهر زمخشري، والأستاذ أحمد عبد الغفور عطار.

★ وفاة الأديب السعودي الشاعر عبد الوهاب آشي عن عمر ناهز الخامسة والثمانين عاماً، تغمده الله بواسع رحمته.

★ عقدت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض حلقة دراسية عن تحقيق التراث.

★ تحت إشراف جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وبالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، أقيمت في الرياض ندوة حول «مناهج تعليم اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي في الوطن العربي».

★ نظمت جامعة البترول والمعادن بالظهران في المملكة العربية السعودية المعرض السابع للحاسب الآلي.

★ أقيم بكلية آداب ـ جامعة الملك سعود بالرياض معرض لخرائط الجزيرة العربية بالتعاون مع المركز الثقافي البريطاني.

★ اكتشاف معالم أثرية لعدة قصور ضخمة ومراصد ومنشآت في مدينة الرقة بسورية.

★ عقد في جامعة بغداد المؤتمر العلمي الثاني للطب.

★ إقامة المعرض التاسع للفنانين التشكيليين العرب في الكويت.

★ انعقاد الندوة الثانية للمؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام في مدينة عمّان بالأردن تحت عنوان «بلاد الشام في صدر الإسلام».

★ انعقاد ندوة حول «النقد والإبداع» بمدينة الدار البيضاء بالمغرب تحت إشراف وتنظيم اتحاد الكتّاب والأدباء العرب.

★ إنشاء مجمع للمتاحف والمعارض التشكيلية والمراسم والندوات في مدينة الإسكندرية بمصر.

★ وفاة الأديب المصري عامر أحمد محمود العقّاد عن (٤٩) عاماً، تغمده الله بواسع رحمته.

العالم :

★ افتتاح مركز الملك فيصل

الثقافي والاجتماعي في مدينة (دكار) بالسنغال .

★ أقيم في متحف «فيكتوريا والبرت» بلندن ولأول مرة معرض للرسوم المائية .

★ إقامة متحف للسجاد والفن الشعبي التطبيقي في مدينة «كيرون آباد» الواقعة في إقليم أذربيجان بروسيا .

★ حصول الدكتور سعيد شيبان أستاذ طب العيون في جامعة الجزائر على جائزة الطب المغربية التي تمنح من باريس .

رمضان

الوطن العربي :

★ إقامة معرض للكتاب الزراعي بجامعة الملك سعود بالرياض .

★ أقيم في مدينة الجوف بالمملكة العربية السعودية معرض للخرائط الأثرية .

★ أقيم في الجزائر ملتقى فكري حول الناقد العربي ابن رشيق القيرواني .

★ أقام اتحاد الكتّاب الجزائريين المهرجان الشعري الرابع للشاعر الجزائري محمد العيد آل خليفة .

★ صدور دورية مغربية متخصصة في البيبليوغرافيا .

★ وفاة عميد الصحفيين التونسيين «الهادي العبيد» عن عمر ناهز السبعين عاماً ، تغمده الله بواسع رحمته .

★ صدور مجلة فصلية في تونس تعنى بشؤون المسرح باسم «فضاءات مسرحية» .

★ أقيم في الدوحة بقطر المعرض الأول للكتاب الجامعي الخليجي .

★ سوف يقام متحف دائم للخط العربي بإشراف المركز القومي للفنون التشكيلية بالقاهرة .



★ الأمير عبد الله الفيصل ★



★ طاهر الزمخشري ★



★ أحمد عبد الغفور عطار ★





★ عبد الوهاب آشي ★

★ عقدت في مسقط عمان ندوة حول «التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج العربية» .

العالم :

★ العثور على بقايا مدينة قديمة يرجع تاريخها إلى القرن الأول الميلادي في نيبال .

★ أقيمت في كراتشي بالباكستان ندوة دولية حول «إدارة الزكاة في المجتمعات الإسلامية الجديدة» .

★ عثر في لندن على عمل أدبي جديد للشاعر «لورد بايرون» .

شوال

الوطن العربي :

★ احتفلت جامعة «عنابة» بالجزائر بالذكرى العاشرة لتأسيسها .

★ أصدرت جامعة الجزائر العدد الأول من مجلة «نشرة علم الاجتماع» .

★ صدور جريدة يومية جديدة في لبنان باسم «الحقيقة» يرأس تحريرها ناصر قنديل .

★ أقيم في مسقط بعمان معرض للوحات زيتية ومائية لفنانين مستشرقين .

★ أقيم في المركز الثقافي الملكي بعمان معرض للكتاب الإسلامي .

★ حصول الطبيب التونسي الدكتور إبراهيم الغربي على جائزة أبو رقيبة الطبية عام ١٩٨٥ م .

★ إقامة معرض تحت اسم «كنوز الإسلام» في جنيف بسويسرا .

★ العثور على حفرية لإنسان قديم عاش منذ مليون و ٧٠٠ ألف عام في جنوب الصين .

★ اختير الكاتب المغربي «الطاهر بن جلون» عضواً في المجلس الأعلى للثقافة الفرنكوفونية بفرنسا .

★ وفاة الرسام الفرنسي جان دو بوفيه عن (٨٢) عاماً .

★ وفاة الكاتبة البريطانية «دنيس روبنسن» عن عمر ناهز السابعة والثمانين عاماً .

ذو القعدة

الوطن العربي :

★ احتفال مجلة «الفيصل» بصدور العدد المائة في السودة ـ أبها ـ منطقة عسير ، وقد رعى الحفل صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل .

★ العثور على نموذج لمدينة أثرية في سلطنة عمان .

العالم :

★ وفاة الأديب الهندي المسلم الشيخ عبد الماجد عبد اللطيف المعظم آبادي الندوي عن (٥٨) عاماً ، تغمده الله بواسع رحمته .

★ صعود أول طيار عربي مسلم إلى الفضاء في رحلة المركبة ديسكفري (٥١ جي) وهو الأمير السعودي سلطان بن سلمان بن عبد العزيز .

★ صدور ترجمة فرنسية لكتاب «لامية العرب» تعريفاً بلامية الشنفرى من تأليف محمد عظيمة .

★ الكاتبة الصينية «فريدة وانغ» قامت بترجمة بعض الآثار الأدبية العربية إلى الصينية .

★ وفاة المؤرخ الإسباني «سانشيز البورنوث» عن (٩١) عاماً .

★ في تركيا تقرر تحويل القصور الوطنية إلى متاحف مفتوحة .

★ صدور مجلة جديدة في قبرص تعنى بشؤون الكتاب بعنوان «كتاب» .

ذو الحجة

الوطن العربي :

★ صدور العدد الألف من مجلة «الدعوة» الصادرة بالرياض .

★ أنشئت في تونس جمعية جديدة باسم «الجمعية العربية للقصص الشعبي» في مدينة قابس .

★ أقيم المهرجان الدولي التاسع عشر للموشحات الأندلسية ، والموسيقى العربية ، بمدينة «التستور» في تونس .

★ العثور على دير من الحجر الجيري في شبه جزيرة سيناء بمصر .

★ انضمام مصر إلى عضوية «المنظمة الدولية لنقّاد الفن» .

★ وفاة المقرئ الشيخ محمود علي البنا في مصر عن عمر ناهز الستين عاماً ، تغمده الله بواسع رحمته .

★ تقوم وزارة الإعلام والثقافة باليمن الشمالي بتوثيق وحفظ بعض الأغاني والأناشيد والأهازيج اليمنية .

★ صدور مجلة جديدة تعنى بالفلسفة باسم «الجدل» في مدينة الرباط بالمغرب ، يديرها سليم رضوان .

★ صدور مجلة أدبية جديدة في العراق تعنى بأدب الشباب باسم «أسفار» .

العالم :

★ أقيم في لندن معرض عن العلوم الإسلامية .

★ أقيم في حيدرآباد بالهند المعرض الخامس عشر للتراث الإسلامي في العالم .

★ إنشاء قسم جديد بمعهد الدراسات السياسية في باريس أطلق عليه اسم «تحليل العالم العربي المعاصر» .

★ طرحت شركة «أنفوريالينيه» الفرنسية كتاباً جديداً في ثنايا حاسب إلكتروني .



★ الأمير خالد الفيصل ★



★ محمد العبد آل خليفة ★



★ د. شكري فيصل ★



★ د. عبد الله الغذامي ★

★ قررت اللجنة العالمية إدراج اللغة العربية ، في عداد اللغات المعتمدة رسمياً في المؤتمرات الكشفية العالمية .

★ عثرت باحثة علم نفس ألمانية على مخطوطة جديدة للعالم النفساني فرويد حول «الميتابسيكولوجيا» .

★ وفاة الكاتب الألماني «هينريش بويل» الحاصل على جائزة نوبل عن عمر ناهز (٦٧) عاماً .

★ الإعلان عن إنشاء جائزة باسم «ابن طفيل» في إسبانيا .

★ صدور مجلة عراقية في مدريد باللغة الإسبانية باسم «دجلة» .

★ انعقاد المؤتمر السابع عشر للاتحاد الدولي لتاريخ العلوم والفلسفة .

★ وفاة عالم الاقتصاد الأمريكي «سيمون كوزنيتس» الحاصل على جائزة نوبل في الاقتصاد عن (٨٤) عاماً .

★ استحدث اتحاد الكتّاب السوفييت جائزتين سنويتين لأفضل ترجمة ونشر لمؤلفات كتّاب بلدان آسيا وافريقيا في روسيا .

محرم ١٤٠٦هـ

الوطن العربي :

★ وفاة الدكتور شكري فيصل الباحث السوري إثر عملية جراحية ، تغمده الله بواسع رحمته .

★ إقامة الملتقى التاسع عشر للفكر الإسلامي بمدينة «بجاية» بالجزائر .

★ إعلان أسماء الفائزين بجائزة الدولة التشجيعية بمصر .

★ وفاة الدكتور عبد العزيز السيد أول مدير عام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تغمده الله بواسع رحمته .

العالم :

★ العثور على هيكل عظمي متكامل يعود تاريخه إلى عصور ما قبل التاريخ في قرية «بيك» شمال غربي سويسرا .

★ العثور على الطبعة الأولى من مؤلف أرسطو عن الحيوانات «دي أنيماليبوس» في روسيا .

صفر

الوطن العربي :

★ الناقد السعودي الدكتور عبد الله الغذامي حصل على جائزة مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي في العلوم الإنسانية لعام ١٤٠٤ ـ ١٤٠٥هـ ، عن كتابه «الخطيئة والتكفير» .

★ أقيم في مكة المكرمة معرض شامل لأوجه الحضارة والعمارة في مكة المكرمة .

★ أقيم في مدينة جدة أول معرض من نوعه عن الإلكترونيات والأجهزة السمعية والصوتية .

★ حصول جامعة الملك فيصل بالمنطقة الشرقية على جائزة (أحسن جهد عربي في مجال النخيل والتمور) المقدمة من اللجنة القومية العربية للنخيل والتمور .

★ عقدت بسلطنة عمان ندوة دولية للموسيقى التقليدية .

★ وفاة الشاعرة السورية سنية صالح عن خمسين عاماً ، تغمدها الله بواسع رحمته .

★ أقيم في الجزائر معرض الكتاب الدولي الرابع .

★ صدور مجلة ثقافية جديدة في مصر باسم «قضايا فكرية» عن دار الثقافة بالقاهرة .

★ أقيم في مدينة الإسكندرية مهرجان أدبي كبير بمناسبة مرور عشرين عاماً على تأسيس «جماعة الأدب العربي بالإسكندرية» .

★ وفاة العالم الإسلامي ووزير الأوقاف المصرية الأسبق الشيخ أحمد حسن الباقوري ، تغمده الله بواسع رحمته .

★ حصلت السيدة فاطمة الحاج أستاذة معهد الفنون الجميلة بالجامعة اللبنانية على جائزة المعهد الإسباني العربي للثقافة .

★ صدور جريدة جديدة في لبنان باسم «الجمهورية» يرأس تحريرها «إلياس المر» .

●● العالم :

★ أقامت وزارة التعاون والتنمية الفرنسية في باريس مهرجاناً للثقافة بدول العالم الثالث في إطار التعاون والحوار بين الشمال والجنوب .

★ صدور مجلة جديدة في باريس باسم «كومباكت» خاصة بالأسطوانات التي تعمل على طريقة أشعة الليزر .

★ أقيم في العاصمة البولندية مهرجان للثقافة العربية .

★ أقيم بمتحف برلين للشرق الأوسط في ألمانيا الشرقية معرض للآثار الفلسطينية التي يرجع تاريخها إلى ألفين أو ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد .

★ أقيم في طوكيو باليابان المهرجان الثقافي الأول لشباب مجلس التعاون الخليجي .

★ افتتح في مدينة كولونيا بألمانيا متحف خاص بأعمال الرسامة كاتة كولفيتس بمناسبة مرور ٤٠ عاماً على وفاتها .

★ أقيم في ثلاث مدن ألمانية معرض كبير تحت عنوان «الرياض .. بين الأمس واليوم» .

★ تحت رعاية المعهد الأمريكي للشؤون الإسلامية وجامعة بولينغ غرين في أوهايو ندوة عن «المرأة في الإسلام» .

★ وفاة الباحث الأمريكي «بول فالبري» عن عمر ناهز الخامسة والسبعين عاماً .

★ منحت الحكومة الإسبانية وسام الاستحقاق الفكري الإسباني للكاتب والأديب المغربي محمد الصباغ .

ربيع الأول

●● الوطن العربي :

★ أقامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض مؤتمر عالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية .

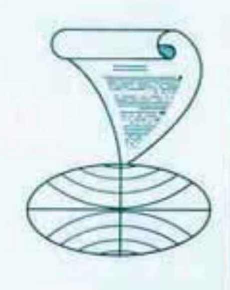
★ وفاة العالم السعودي الشيخ صالح بن علي الناصر رئيس قسم الفقه بكلية الشريعة بالرياض عن عمر يقارب الثالثة والستين عاماً ، تغمده الله بواسع رحمته .

★ افتتح في مدينة جدة متحف شخصي للتراث الحضاري لصاحبه حسن خليل .

★ وفاة الشاعر الأردني عبد المنعم الرفاعي رئيس وزراء الأردن الأسبق ، تغمده الله بواسع رحمته .

★ وفاة الأديب الأردني الدكتور عيسى الناعوري الأمين العام لمجمع اللغة الأردني عن (٦٧) عاماً ، تغمده الله بواسع رحمته .

★ اختيار الأديبين السعوديين عبد الله جفري والدكتور فهد العرابي الحارثي عضوين في منتدى الفكر العربي الذي يتخذ من عمّان ـ بالأردن مقراً له ، ويرأس إدارته الأمير





★ عبد المنعم الرفاعي ★



★ أحمد حسن الباقوري ★



★ عبد الكريم الخطيب ★



★ أحمد حسين ديدات ★

الحسن ولي العهد الأردني .

★ أنشئت في الأردن جمعية جغرافية أردنية .

★ وفاة الأديب المصري سعد مكاوي عن (٦٩) عاماً ، تغمده الله بواسع رحمته .

★ أقيم في تونس احتفال بمناسبة مرور ثلاثين عاماً على صدور مجلة «الفكر» التي أسسها السيد محمد مزالي .

★ اكتشاف مدينة أثرية في صيدا بلبنان يعود تاريخها إلى القسم الأول من العصور الرومانية .

★ وفاة المؤرخ المغربي القاضي أحمد عبد السلام البوعياشي عن عمر يناهز (٦٨) عاماً ، تغمده الله بواسع رحمته .

★ أقيم المعرض الرابع للكتاب المعاصر في دولة الإمارات العربية المتحدة بإشراف الدائرة الثقافية في الشارقة .

★ وفاة الدكتور مصطفى عبد الله سالم المهشري أستاذ علوم الحديث بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بمدينة قسنطينة بالجزائر ، تغمده الله بواسع رحمته .

★ أقيم في سلطنة عُمان معرض للتراث العماني تحت إشراف وزارة التراث القومي والثقافة العمانية .

★ تم توزيع جوائز معرض الكتاب العربي العاشر في الكويت على كل من (سعيد الصايغ ، والدكتور رشدي فتوح عبد الفتاح ، والدكتور عمر فروخ ، والدكتور جابر عصفور ، والدكتور فؤاد زكريا) .

●● العالم :

★ حصل الأديب الفرنسي «كلود سيمون» على جائزة نوبل للأدب لعام ١٩٨٥ م ، كما حصل عالم الاقتصاد الأمريكي «فرانكو موديجلياني» على جائزة نوبل

للاقتصاد ، وحصل على جائزة الفيزياء الألماني الغربي «كلاوس فــون ــ كليتسينج» ، وعلى جائزة الكيمياء الأميريكيان «هـربرت هــاويتان ، وجيروم كارل» ، كما حصلت هيئة طبية مكونة من عدد من الأطباء الروس والأميريكان على جــائزة الطب .

★ عقدت في باريس ندوة عن «تأثير الإسلام في الآداب الإفريقية» بإشراف «رابطة دراســة الآداب الإفريقية» برئاسة الصحفي «كلود ووتييه» .

★ أعد قصر من القرن السـابع عشر الميلادي ، في باريس ، ليكون متحفاً لأعمال الفنان الإسباني «بابلو بيكاسو» .

★ منحت جمعية أصـدقاء الكاتب الفرنسي المعروف «أندريه مورو» أول جائزة أدبية تحمل اسم الكاتب المذكور إلى الروائي «جوزيف كيسل» .

★ وفـاة الـروائية الفـرنسية «سيمون سينوريه» في باريس عن عمر يناهز (٦٤) عاماً .

★ وفـاة الـكاتب الإيـطالي «إيطالو كالفينو» عن عمـر نـاهز (٦٢) عاماً .

★ في سيري لانكا تمت ترجمة القرآن الكريم من اللغة العربية إلى اللغة السنهالية .

★ حصـل الشـاعر والأديـب السوري الدكتور أحمد عادل قره شولي على جـائزة «مدينة لايبزس الفنيـة الأدبية» الألمانية .

★ حصل الروائي الألماني «جول مـان» على جــائزة جـوتـه لعـــام ١٩٨٥ م .

★ أقيم بمدينة «تاكيدا» اليابانية معــرض الفــن التشــكيلي الثقــافي الفلسطيني .

★ افتتح في جامعة أكسفورد في بريطانيا مركز للدراسات الإسلامية ، ويعد هـذا المركز الأول من نـوعه في جامعة غـربية بـرئاسة العـالم المسـلم «أبو الحسن الندوي» .

ربيع الآخر

●● الـوطـن العربـي :

★ أقيمت في الجزائر نـدوة استثنائية للمجلس الأعلى للغة العربية لمناقشة المشروع التمهيـدي لإنشـاء «المجمع الجزائري للغة العربية» .

★ تقرر إنشاء بنك لـلأفكار في مصر يتبع رئيس الوزراء مباشرة .

★ وفـاة المفـكر الإسـلامي الدكتور عبد الكريم الخطيب ، تغمده الله بواسع رحمته .

★ إعـداد أول دائـرة معــارف مصرية للأطفال .

★ وفـاة شـاعر العـامية المصري فؤاد حداد عن (٥٨) عاماً .

★ اخـترع العـازف الموسـيقي العراقي (سـالم عبد الجبار) طـريقة جديدة لتدوين جميع الرموز الموسيقية العالمية الغربية والشرقية .

★ أعد اتحاد المؤرخين العرب بالعراق قـائمة بـأسماء عشرين مـؤرخاً عربياً لمنحهم أوسمة لجهودهم في خدمة الكتابات التاريخية .

★ أقـيم في بغـداد بــالعراق مهرجان المربد الشعري السنوي حضره شعراء، وأدباء ونقّاد من مختلف أقطار الوطن العربي .

★ أقـيم في بغـداد بــالعراق مهرجان للشاعر الشريف الـرضي بمناسبة مرور ألف عام على وفاته .

★ وفاة الأديب اللبناني العربي «ألبير أديب» صاحب مجلة «الأديب» عن (٧٧) عاماً .

★ أقيم في الإمـارات العـربية المتحدة مهرجان أدبي للشعر والقصة والزجل والنص المسرحي .

★ أقيم في الكويت معـرض علي


★ الأمير سلطان بن سلمان ★


★ عبد الله جفري ★


★ د . رجاء جارودي ★


★ د . عبد العزيز الدوري ★

لرسوم الأطفال برعاية المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .

●● العــالـم :

★ عقدت في باريس ندوة دولية عن «دور الإسلام والغرب في إقامة نظام اقتصادي عالمي جديد» .

★ تعد منظمة «اليـونسكو» موسوعة بعنـوان «تـاريخ إفـريقيا العام» .

★ حصـل الـروائي والـكاتب الفرنسي «فيليب سوليه» على جـائزة مدينة «بوردو» .

★ أقـيم في قـاعة مــدرسة الـدراسات الإفـريقية والشرقيـة (سواس) في لندن معرض للكتاب العربي .

★ اكتشـاف أثـري في مـدينة «داوغفليس» في جمهورية «لاتفيـة» السوفييتية .

★ انتخاب الشـاعر والـروائي والكاتب المسرحي النيجيـري «وول سوينكا» رئيسـاً للمعهـد الـدولي للمسرح لمدة عامين .

★ فاز كل من الأديب السوداني «الطيب المهدي» ، والأديب النيجيري «كالـو اوكبي» بجائزة محطة إذاعة صوت ألمانيا الأدبية .

جـادى الأولـى

●● الـوطـن العربـي :

★ إعلان أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية بفروعها الخمسـة (خـدمة الإسـلام ــ الـدراسات الإســلامية ــ الأدب العربي ــ الطب ــ العلوم) على النحو التالي :

١ ــ خدمة الإسـلام : الأستاذ أحمد حسين ديدات (من جنـوب إفريقيا) ، والأستاذ رجاء جارودي (من فرنسا) .

٢ ـ الدراسات الإسلامية : الدكتور عبد العزيز الدوري (من العراق) .

٣ ـ الأدب العربي : الأستاذ محمد بهجت الأثري (من العراق) .

٤ ـ الطب : الدكتور جيان فرانكو بوتانزو (من إيطاليا) ، والدكتور ألبرت ريشولد (من سويسرا) ، والدكتور ليليو أورشي (من إيطاليا) .

٥ ـ العلوم : الدكتور مايكل جون بيردج (من بريطانيا) .

★ إنشاء جائزة جديدة للمتفوقين دراسياً في مراحل التعليم باسم « جائزة الأمير محمد بن فهد بن عبد العزيز » بالمملكة العربية السعودية تمنح سنوياً لكل من حصل على معدل عال في دراسته .

★ صدور مجلة جديدة بالجزائر باسم « بريد البحث » .

★ انعقاد ملتقى وطني في الجزائر تحت شعار « اللغة العربية عنصر أساسي لهويتنا الثقافية » .

★ كشف أثري جديد في الأردن .

★ أقيم في البحرين المعرض الخامس للؤلؤ والصور التاريخية والسوق الشعبي .

●● العالم :

★ توفي في باريس المؤرخ الفرنسي « فرنان بروديل » عن (٨٣) عاماً .

★ وفاة الشاعر البريطاني « روبرت جريفر » عن (٩٠) عاماً .

★ وفاة الروائية الأمريكية « هيلين ماسينز » عن (٧٧) عاماً .

★ وفاة الروائية الإيطالية « الزا مورانت » عن (٧٣) عاماً .

★ انعقاد مؤتمر علمي في مدينة موسكو بروسيا حول الآثار القديمة في جنوب الجزيرة العربية .


★ الأمير محمد بن فهد ★


★ بهجت الأثري ★


★ د. جيان بوتانزو ★


★ د. مايكل بيردج ★

★ صدور أربع مسرحيات جزائرية باللغة الروسية .

★ اكتشاف أثري في الصين .

★ ترجمة ثلاثية نجيب محفوظ « بين القصرين » ، و « السكرية » ، و « قصر الشوق » ، إلى اللغة الصينية .

جمادى الآخرة

●● الوطن العربي :

★ انعقاد مؤتمر عن « الأقليات المسلمة .. آلامها .. آمالها » في مدينة الرياض نظمته الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

★ انعقاد ندوة بعنوان « نظام الإعارة بين مكتبات جامعات دول الخليج الأعضاء بمكتب التربية العربي » في الرياض .

★ مهرجانان أدبيان عن طه حسين ، وزكي نجيب محمود أقيما في مصر .

★ أقيم في القاهرة المعرض الدولي الثامن عشر للكتاب .

★ العثور على مجموعة من المقابر الأثرية عليها نصوص بالهيروغلوفية في مصر .

★ العثور على مجموعة من المكتشفات الأثرية في سورية .

★ العثور على آثار تاريخية هامة في ولاية « بجاية » بالجزائر .

★ صدور مجلة جديدة باسم « خليج الغد » عن جامعة الخليج العربي بالبحرين .

★ انتخاب إدارة جديدة لمجلس اتحاد الكتّاب بالإمارات العربية المتحدة .

★ صدور مجلة أسبوعية جديدة في مدينة « طرابلس » بلبنان باسم « التحرير » يديرها منيف رستم .

●● العالم :

★ أقيم في المكسيك المعرض العالمي السابع للكتاب .

★ وفاة الكاتب الأكاديمي الفرنسي « مارسيل أرلان » عن عمر يناهز السادسة والثمانين .

★ انتخاب الرئيس السنغالي السابق والشاعر المعروف « ليوبولد سنغور » عضواً في اللجنة المشرفة على الأكاديمية الفرنسية .

★ حصول الفنان التشكيلي « جان بول ريوبل » على جائزة باريس السنوية لعام ١٩٨٥ م .

★ وفاة المؤلف البريطاني الأصل « كريستوفر ايشروود » عن (٨١) عاماً .

★ اكتشاف كنز ثمين يرجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد في بلغاريا .

★ تحت مسرح « الصبريميتاج » في مدينة لينتجراد بروسيا عثر على بقايا حيطان في صالة عرش القيصر المعروف بـ « بطرس العظيم » .

★ عقد في نيويورك المؤتمر الدولي لنادي القلم بمشاركة حوالي سبعمائة كاتب ، من كافة أنحاء العالم .

المحاضرات .. والرسائل الجامعية

●● نشرت المجلة خلال أعداد عامها التاسع المنصرم (من العدد ٩٧ إلى العدد ١٠٨) أخباراً عن عدد من المحاضرات التي ألقيت في الداخل والخارج بلغت (١٥٤) محاضرة مختلفة .

●● كما نشرت عن رؤوس موضوعات عدد من الرسائل الجامعية (الماجستير والدكتوراه) التي نوقشت في جامعات المملكة وغيرها من الجامعات العربية وغير العربية بلغت (١٣٥) رسالة .

☆ ☆ ☆



* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا . والله الموفق **

في الوطن العربي

- مؤتمر اتحاد الكتّاب العرب في بغداد .
- ندوة عن القصة القصيرة في الجزيرة العربية في الرياض .
- معارض وأمسيات وندوات ثقافية في الوطن العربي .
- مهرجان دولي للمواهب الشابة في الجزائر .
- أعضاء جدد في مجمع القاهرة اللغوي .
- صدور صحيفة أدبية جديدة في سورية .

في العالم

- شاعر رسمي للولايات المتحدة الأمريكية .
- جائزة دولية جديدة في بريطانيا .
- ترجمة قصص كويتية إلى اليوغوسلافية .
- مستشرقة روسية تحقق مخطوطة عربية .
- دار نشر جديدة للثقافة العربية في إسبانيا .







★ د. منصور الحازمي ★ ★ محمد سعيد طيب ★



★ محسن باروم ★

السعودية :

ندوة عن القصة القصيرة

ضمن فعاليات المهرجان الوطني الثاني للتراث والثقافة، أقيمت **ندوة عن القصة القصيرة بالجزيرة العربية ـ بدايتها وتطورها** ـ تحت إشراف وتنظيم **اللجنة الثقافية للمهرجان**، وقد أحياها **أدباء من الخليج العربي والجزيرة هم**: الدكتور منصور الحازمي، والدكتور سليمان الشطي، والدكتور إبراهيم عنوم . . وقد أدار الندوة سمحي الهاجري .

المعروف أن هذه الندوة هي إحدى الندوات المتعددة التي عقدت بهذه المناسبة، بحضور أدباء ومفكرين من الوطن العربي .

ندوة عن دور النشر

عقدت في نادي مكة المكرمة الثقافي، ندوة موسعة حول دور النشر، وذلك ضمن إطار موسمه الثقافي، حيث شارك فيها كل من :

★ **عبد العزيز الرفاعي** عن (دار الرفاعي) .

★ **محمد سعيد طيب** عن (تهامة) .

★ **محسن باروم** عن (دار الشروق) .

★ **عاتق بن غيث البلادي** عن (دار مكة) .

وقد حضر الندوة عدد من المهتمين، ونوقشت فيها أمور هامة لها علاقة بالكتاب ونشره، والتهم الموجهة لدور النشر المحلية .

مسابقة للأطفال

تشجيعاً للمواهب والقدرات الإبداعية، فقد نظمت اللجنة الثقافية **بجمعية الوفاء الخيرية النسائية بالرياض**، مسابقة **(في القصة) خاصة بالأطفال دون الرابعة عشرة**، وقد وضعت لتلك المسابقة شروطاً منها :

★ ألا تزيد صفحات القصة عن ثلاث .

★ أن تكتب بخط واضح .

وستمنح للفائزين بهذه المسابقة جوائز قيمة .

معرض للكتاب

أقيم في مدينة أبها تحت إشراف وتنظيم **نادي أبها الأدبي**، بالتعاون مع فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وفرع جامعة الملك سعود **المعرض الثالث للكتاب**، وذلك بمشاركة عدد كبير من دور النشر المحلية والمكتبات التي لها علاقة بالنشر . . وقد استمر المعرض أكثر من أسبوع من الشهر الماضي، وقد عرضت فيه عناوين متعددة شاملة لمختلف الفنون والعلوم والثقافة .

معرض للكتاب

أقيم في الرياض المعرض الأول للكتاب بمعهد الضباط خلال شهر رجب، حيث عرضت فيه عناوين متعددة، زادت على العشرين ألفاً، اشتملت على مختلف العلوم والفنون، وذلك بمشاركة العديد من المكتبات ودور النشر المحلية .

أمسية قصصية

أقيمت في الطائف تحت رعاية **النادي الأدبي، أمسية قصصية** أحياها كل من القصاصين : **عبد الله باخشوين، وعبد الله باحرز، وعقيلي الغامدي** .

وقام بالقراءة النقدية للقصص القاص **صالح الأشقر**، بحضور العديد من المهتمين بهذا اللون الأدبي .

ندوة عن شكسبير

أقيمت في كلية آداب البنات بالرياض ندوة عن الأديب الإنجليزي **وليم شكسبير**، نوقشت فيها الموضوعات التالية :

★ معلومات أولية عن أدبه، إعداد **فاطمة التمر** .

★ سيرة شكسبير وابتكاراته المسرحية، ولغته التي هي أساس الابتكار عنده، إعداد **الدكتورة أنيسة الخزرجي** .

★ المرأة في أدب شكسبير، إعداد **الدكتورة عواطف هدايت** .

معرض ثقافي

أقامت سفارة جمهورية الصين الوطنية بالرياض، **معرضاً ثقافياً صينياً**، وذلك خلال شهر رجب عام ١٤٠٦ هـ، حيث عرضت فيه الأفلام الثقافية، والكتب، وبعض النماذج الفنية التي تحكي واقع الحياة في الصين الوطنية .

كتب جديدة

● **«الرياض ـ مدينة وسكاناً : كيف** كانت، كيف عاشوا؟»، تأليف **أحمد مساعد الوشمي**، صدر في **الرياض** .

● **«وتلك الأيام»**، تأليف **عبد الفتاح أبو مدين**، صدر في **جدة** .

● **«موجز تاريخ الطب لمرحلة صدر الإسلام»**، بقلم **الدكتور يوسف الحميدان**، صدر **الجزء الرابع عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ضمن سلسلة «المكتبة السعودية»** .

● **«ترانيم على الشاطئ»، ديوان شعر للشاعر علي محمد صيقل**، صدر عن **نادي جازان الأدبي** .

● **«قل لي من أنت؟»**، بقلم **عبد الله باجبير**، صدر في **جدة عن دار أبي حسن للنشر والتوزيع** .

● **«الإدارة والعلاقات الإنسانية»**،



★ عبد الفتاح أبو مدين ★ ★ د. يوسف الحميدان ★

تأليف سليمان الجبهان، صدر في الرياض.

● «تطهير الجنان والأركان من درن الشرك والكفران»، بقلم أحمد بن حجر آل بوطامي، صدر عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ضمن مطبوعاتها.

● «وقائع سرية»، تأليف شكيب الأموي، صدر في جدة.

● «القوة الدافعة السرية للشيوعية»، تأليف شكيب الأموي، صدر في جدة.

● «محطات أمل الشباب»، تأليف الدكتور عبد اللطيف فرج، صدر عن نادي أبها الأدبي.



مؤتمر الأدباء العرب

تحت شعار «التحدي والاستجابة في الثقافة العربية المعاصرة»، عقد في بغداد المؤتمر العام الخامس عشر للاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب، ومهرجان الشعر السابع عشر، وذلك خلال الفترة من ١٧ ــ ٢٢ مارس (آذار) عام ١٩٨٦م.

نوقشت في المؤتمر الذي حضره عدد كبير من الأدباء عدة أبحاث منها:

★ «الثقافة العربية المعاصرة في مواجهة الغزو»، بحث أعده الدكتور حافظ الجمالي (سورية).

★ «الناقد العربي والموروث النقدي»، بحث أعده الدكتور حسام الخطيب (سورية).

★ «استجابة اللغة العربية لتطورات العصر»، بحث أعده عفيف دمشقية (لبنان).

★ «المدينة والشعر»، بحث أعده عبد الله رضوان (الأردن).

★ «ظهور أجناس الوعي في الرواية»، بحث أعده الدكتور محسن الموسوي (العراق).

★ «مستقبل الأجناس الأدبية»، بحث أعده الدكتور محمد الطرابلسي (تونس).

أما مهرجان الشعر، فقد حضره عدد كبير من الشعراء العرب.

معرض دولي للكتاب

أقيم في بغداد في شهر مارس (آذار) عام ١٩٨٦م، المعرض الرابع الدولي للكتاب، تحت إشراف وتنظيم وزارة الثقافة والإعلام، والدار الوطنية للتوزيع والإعلان، وبمشاركة عدد كبير من دور النشر والطباعة، والمكتبات

كلمة

جول ريميه وكأس العالم

ظهرت فكرة تنظيم بطولة كرة قدم عالمية في يوم ٢١ مايو (أيار) عام ١٩٠٤م، في مدينة باريس عاصمة فرنسا، الذي حضرته الدول المؤسسة لتلك الهيئة، وجاء في بنود اللائحة التأسيسية للاتحاد الدولي لكرة القدم أنه إذا أقيمت مثل هذه البطولة في المستقبل القريب أو البعيد فيجب أن تنظم تحت إشراف الاتحاد الدولي.

إلا أن هذه الفكرة ظلت مجرد فكرة لم يرعها إلا جول ريميه الذي تولى رئاسة الاتحاد الدولي عام ١٩٢٠م، لكنه في بداية الأمر لم يستطع تنظيم بطولة كأس العالم على مدى عشر سنوات وذلك بسبب ما واجهته من مصاعب وتحديات كثيرة كانت تحول دون تنفيذ فكرته، وكانت العقبة الرئيسية تتمثل في الألعاب الأولمبية لأن مسابقة كرة القدم كانت مدرجة ضمن مسابقات البرنامج الأولمبي، حيث رأى الكثيرون أنه لا داعي لإقامة بطولة العالم لكرة القدم طالما أن كرة القدم تقام ضمن مسابقات الألعاب الأولمبية.

إلا أن القانون الأولمبي كان يحرم على اللاعب المحترف حق الاشتراك في الألعاب الأولمبية وبالتالي فقد كان على لاعبي كرة القدم المحترفين عدم اللعب مع فرقهم في المسابقات الأولمبية، ومن هنا تصدى جول ريميه لهذه الفكرة وأعلن أنه يجب أن يشترك جميع اللاعبين المحترفين وغير المحترفين في بطولة تجمعهم جميعاً لإمتاع عشاق اللعبة التي كانت شعبيتها تتصاعد في كل أنحاء العالم.

وهنا أعلن هنري ديلوني سكرتير الاتحاد الفرنسي لكرة القدم وصديق جول ريميه عبارته الشهيرة سنة ١٩٢٤م: «لا يمكن لكرة القدم الدولية اليوم أن تقام في إطار الألعاب الأولمبية وحدها لأن الكثير من الدول التي اعترفت بالاحتراف ونظمته لا يمكن لها أن تمثل في الألعاب الأولمبية بأمهر لاعبيها وهم المحترفون».

وفي عام ١٩٢٧م، عقد الاتحاد الدولي لكرة القدم في هلسنكي عاصمة فنلندا وتمت الموافقة على تكوين لجنة فرعية لدراسة مشروع جول ريميه الخاص بتنظيم بطولة كأس العالم لكرة القدم.

وفي اجتماع الاتحاد الدولي لكرة القدم في أمستردام في مايو (أيار) ١٩٢٨م، تمت الموافقة على تنظيم أول بطولة لكأس العالم لكرة القدم، وفي مدينة زيورخ تفرعت لجنة خاصة عن الفيفا لصياغة قوانين ولوائح ونظم البطولة، وفي مدينة برشلونة الإسبانية اجتمع الاتحاد الدولي في مايو (أيار) سنة ١٩٢٩م، ورغم معارضة إيطاليا والمجر وهولندا وإسبانيا والسويد تقرر منح أوروجواي شرف إقامة أولى بطولات كأس العالم وأطلقوا عليها كأس جول ريميه.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن كأس جول ريميه استمر لتسع مسابقات (١٩٣٠ ــ ١٩٧٠م)، واحتفظت البرازيل بالكأس إلى الأبد بعدما فازت به ثلاث مرات، وكأس جول ريميه من صنع المثال الفرنسي أبيل لافلور وطول الكأس ٣٠سم، أما الوزن فيبلغ ٤ كيلوجرامات، وفيه ١٨٥٠ جراماً من الذهب، وبلغت نفقات صنعه خمسين ألف فرنك دفعها جول ريميه من جيبه الخاص.

وبهذا دخل جول ريميه التاريخ من أوسع أبوابه، وظل جول ريميه يخدم اللعبة التي أحبها وعشقها وظل رئيساً للاتحاد الدولي لمدة تزيد على ثلث قرن، من عام ١٩٢٠م إلى ١٩٤٥م، وقد ترك هذا المنصب وهو في الواحدة والثمانين من عمره قضاها في خدمة كرة القدم.

مجدي عبد العظيم عثمان
الإسكندرية ــ مصر



العالمية والعربية والعراقية.

سورية :

صحيفة جديدة

أصدر اتحاد الكتّاب العرب في دمشق صحيفة أسبوعية باسم «الأسبوع العربي»، تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن.

وتتكوّن الصحيفة من أبواب ثابتة منها : (قضايا فكرية، تراث، أدب الأطفال، سينما).

بالإضافة إلى الموضوعات التي تستجد في كل عدد.

صدر العدد التجريبي منها، وقدم له **علي عقلة عرسان** رئيس اتحاد الكتّاب، **ويرأس تحريرها عبد النبي حجازي**، وتضم عدداً من المحررين الأدباء أمثال: **علي كنعان، وحافظ الجهالي، ومحمد ياسر شرف.**

كتب جديدة

● **«سوناتات للفرح»، مجموعة شعرية** للشاعر **مسلم الزيبق**، صدرت في **دمشق.**

● **«انهيارات»، مجموعة شعرية** للشاعر **ممدوح السكاف**، صدرت ضمن **منشورات اتحاد الكتّاب العرب بدمشق.**

● **«مقدمة للحب»، ديوان شعر** للشاعر **وليد معماري**، صدر في **دمشق.**

الجزائر :

مهرجان دولي للمواهب

عقد في ولاية تبسه خلال شهر مارس (آذار) عام ١٩٨٦ م، **أول مهرجان دولي للمواهب الشابة والاكتشافات.**

وكان الهدف الرئيسي من عقد هذا المهرجان، هو إتاحة الفرصة لكل المواهب الشابة الدولية لتعبِّر عن إمكاناتها الذهنية، وقدراتها العقلية، وأن تتبادل فيما بينها تجاربها في جميع فروع المعرفة والثقافة.

في دائرة الضوء

● **الكتاب :** معارج القدس في مدارج معرفة النفس.

● **المؤلف :** حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي.

● **الناشر :** المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

الإمام أبو حامد الغزالي غني عن التعريف، فهو حجة الإسلام، وقاهر الباطنية، وصاحب كتاب **(إحياء علوم الدين).**

أما عن كتابه الذي نحن بصدده فيقول الإمام الغزالي عن سر تسميته بهذا الاسم «ونحن نعرج في هذا الكتاب من مدارج معرفة النفس إلى معرفة الحق جل جلاله». ويقول: «ويعد معرفة النفس تنعطف على معرفة الحق جل جلاله، إذ جميع العلوم مقدمات ووسائل لمعرفة الأول الحق جل جلاله».

ويستشهد الغزالي في هذا الصدد بقوله تعالى **﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾** (سورة فصلت، الآية ٥٣) ويقوله تعالى **﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾** (سورة الذاريات، الآية ٢١). ويقول **الرسول صلى الله عليه وسلم «من عرف نفسه فقد عرف ربه».** وقوله عليه السلام: **«أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه».**

أما عن **موضوعات الكتاب** ومحتوياته فإنه يبدأ بمقدمة يشرح فيها معاني الألفاظ المترادفة على النفس وهي: النفس، والقلب، والروح، والعقل..

ويتحدث أولا عن النفس فيقسمها حسب المعنى إلى قسمين :

★ **الأول :** أنها تطلق، ويراد بها المعنى الجامع للصفات المذمومة، وهي القوى الحيوانية المضادة للقوى العقلية وهي التي يقول عنها الرسول صلى الله عليه وسلم: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك».

★ **الثاني :** أنها تطلق، ويراد بها حقيقة الآدمي وذاته، فإن نفس كل شيء حقيقته، وهي الجوهر الذي هو محل المعقولات، وهذه النفس تنقسم إلى ثلاثة أنواع: **النفس المطمئنة، والنفس اللوامة، والنفس الأمارة بالسوء.**

ويتحدث بعد ذلك عن القلب فيقسمه ايضا حسب المعنى إلى قسمين :

ـ **الأول :** ويراد به اللحم الصنوبري الشكل المودع في جوف الإنسان من جانب اليسار، وهو يعرف بالتشريح.

ـ **الثاني :** ويراد به الروح الإنساني المتحمل لأمانة الله المتحلي بالمعرفة المركوز فيه العلم بالفطرة الناطق بالتوحيد بقوله بلى، فهو أصل الآدمي وبهاية الكائنات في عالم المعاد. قال تعالى **﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾** (سورة الرعد، الآية ٢٨). وقال نبينا عليه السلام: «إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن». ولذا أمرنا صلى الله عليه وسلم أن ندعو الله قائلين: «اللهم يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك».

ثم ينتقل إلى الحديث عن الروح فيقول : إنها تطلق على عدة معان هي :

★ **الأول :** تطلق، ويراد بها البخار اللطيف الذي يصعد من منبع القلب، ويتصاعد إلى الدماغ، بواسطة العروق، ومن الدماغ يسري بواسطة العروق أيضاً إلى سائر البدن.

★ **الثاني :** تطلق، ويراد به المبدع الصادر من




★ د. حافظ الجمالي ★ ★ علي عقلة عرسان ★

حضر المهرجان عدد كبير من ذوي المواهب والقدرات، ودعي إليه عدد من المسؤولين والإعلاميين في الوطن العربي والإسلامي والصديق.

كتب جديدة

● «عروبة الفكر والثقافة أولاً»، تأليف الدكتور عبد الله الركيبي، صدر عن **المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر**.

● «**الجواد والسيف المكسور**»، **مجموعة شعرية للشاعر السوداني جيلي عبد الرحمن**، صدرت عن **المؤسسة الوطنية للكتّاب بالجزائر**.

● «**المعجزة القرآنية**»، **تأليف بن الشيخ الحسين سفيان**، صدر عن **دار الشهاب بباتنة**.

● «**في البدء كان أوراس**»، **مجموعة شعرية للشاعر عز الدين ميهوبي**، صدرت عن **دار الشهاب بباتنة**.

الكويت

جائزة العلوم التطبيقية

حصلت الدكتورة (فينيس جودة)، رئيسة برنامج التآكل بمعهد الكويت للأبحاث العلمية على **جائزة الكويت لعام ١٩٨٥م، في مجال العلوم التطبيقية** في حقل التآكل، وذلك مناصفة مع **الدكتور (بدر الدين عطية) الأستاذ في جامعة القاهرة**.

المعروف أن الجائزة سنوية، تمنحها مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، وتهدف إلى تشجيع العلم والعلماء، وتوزع الجائزة في التاسع عشر من هذا الشهر (شعبان) الموافق للثامن والعشرين من شهر أبريل (نيسان) عام ١٩٨٦م.

كتب جديدة

صدرت **الكتب التالية** عن **شركة كاظمة للنشر والتوزيع بالكويت**:

أمر الله تعالى الذي هو محل العلوم والوحي والإلهام، وهو من جنس الملائكة مفارق للعالم الجسماني قائم بذاته.

★ **الثالث**: تطلق، ويراد بها الروح الذي في مقابلة جميع الملائكة، وهو المبدع الأول وهو روح القدس.

★ **الرابع**: وتطلق، ويراد بها القرآن. وعلى الجملة فهي عبارة عما به حياة ما.

وأخيراً يتحدث عن العقل وله معان ثلاثة:

★ **الأول**: يطلق، ويراد به العقل الأول المقصود في قوله عليه السلام: «**أول ما خلق الله العقل... الحديث**».

★ **الثاني**: يطلق، ويراد به النفس الإنسانية.

★ **الثالث**: يطلق، ويراد به صفة النفس، وهو بالنسبة إلى النفس كالبصر بالنسبة إلى العين.

ويختم الإمام الغزالي هذه المقدمة بقوله: «ونحن حيث أطلقنا في هذا الكتاب لفظ النفس والروح والقلب والعقل فنريد به النفس الإنسانية التي هي محل المعقولات».

ثم ننتقل بعد هذه المقدمة إلى فصول الكتاب فنراه **يقسم الكتاب إلى تسعة فصول هي**:

(بيان إثبات النفس، بيان أن النفس جوهر، بيان أنه جوهر ليس له مقدار ولا كمية، بيان القوى الحيوانية وتقسيمها إلى محركة ومدركة، بيان القوى الخاصة بالنفس الإنسانية من العقل النظري والعملي، بيان مراتب العقل، بيان أمثلة درجات العقل من الكتاب الإلهي، بيان تظاهر العقل والشرع وافتقار أحدهما إلى الآخر، بيان حقيقة الإدراك ومراتبه في التجريد).

وفي ثنايا هذه الفصول يكشف لنا كثيراً من الأمور التي تقتضي من دارسي علم النفس أن يقفوا أمامها طويلاً باحثين ومدققين في معانيها التي تسحر الألباب، وتنبه الغافل إلى ما لهذا الإمام الجليل من باع طويل في مجال علم النفس.

وبعد فهذا غيض من فيض، وقطر من بحر علم الإمام الغزالي الذي يذكر أن الفضائل والرذائل تنشأ من ثلاث قوى في الإنسان هي: قوى التخيل، وقوى الشهوة وقوى الغضب، ثم يذكر أمهات الفضائل ونتائجها وثمراتها إلى غير ذلك من الأمور التي تتعلق بالقلب والروح وبقاء النفس بعد المفارقة. ويتحدث عن النبوة والرسالة وهل الرسالة حظوة مكتسبة أم أثرة ربانية، ويتحدث عن أصناف المعجزات وكرامات الأولياء، ويتحدث عن أفضل نوع البشر من هو. ويذكر معنى اللقاء والرؤية، وينهي الغزالي كتابه بالحديث عن معرفة الباري جل جلاله، ومعرفة صفاته وأفعاله، وإذا كان ثمة تعليق على هذا الكتاب الجليل القدر فإننا نقول:

★ **أولا**: إن الغزالي بهذا الكتاب قد برهن على علو كعبه في مجال علم النفس، كما كان علماً مبرزاً في علم الفلسفة حينما كتب كتابه (تهافت الفلاسفة)، و (مقاصد الفلاسفة) وفي علم المنطق حينما كتب (محك النظر في المنطق)، و (معيار العلم في المنطق).

★ **ثانياً**: إن الغزالي قد بز المتكلمين والصوفية والفلاسفة الذين اقتبس عنهم جميعاً، وتميز عنهم بأنه أعطى كل شيء حقه.

★ **ثالثاً**: إن كتب الإمام الغزالي في الفلسفة والمنطق وعلم النفس ما زالت معيناً لا ينضب لدارسي هذه الفروع الثلاثة، والأجدر بالباحثين والدارسين لهذه العلوم أن يولوا هذه الكتب، ومنها الكتاب الذي نحن بصدد الحديث عنه بعض الاهتمام. وكفاهم الغثاء الذي انحدر إلينا من جراء الجري وراء **فرويد، وسارتر، ودوركايم**، وغيرهم من ذوي الآراء التي لا تسمن ولا تغني من جوع.

جابر محمد حسن خليل
الإسكندرية ــ مصر





★ د. علي شلش ★ ★ د. زينب عبد العزيز ★

★ «وقفة مع أدباء المهجر»، تأليف سلامة قاقيش، تقديم الدكتور شاكر مصطفى.

★ «الصوت الثاني في القصة الكويتية ـ قراءة في المضامين»، تأليف وليد أبو بكر.

★ «القضية الاجتماعية في المسرح الكويتي»، تأليف وليد أبو بكر.

★ «خمسة أصوات»، رواية، بقلم غائب طعمة فرمان، صدرت في طبعتها الثانية.

★ «القضايا القومية في شعر المرأة الفلسطينية»، تأليف هاشم صالح مناع.

★ «أغاريد الطيور»، مجموعة شعرية للشاعر إسماعيل أبو شقرة.

مصر

كشف أثري

تمّ اكتشاف أساسات معبد قديم، يرجع تاريخه إلى **العصر اليوناني الروماني** في منطقة **(نجع الحجر) بقرية الجعافرة**، التي تبعد حوالي ٢٥ كيلومتراً شمال مدينة **أسوان**، وذلك أثناء قيام بعثة أثرية بإجراء عمليات حفر وتنقيب بالمنطقة.

ومن جهة أخرى، عثرت بعثة أثرية أخرى في منطقة **(أم الرضم)**، التي تبعد ٣٠ كيلومتراً عن مطروح على **ثلاث مقابر للدفن الجماعي** من العصر الروماني.

المؤتمر السنوي للمجمع

عقد المؤتمر السنوي الثاني والخمسون لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، خلال شهر مارس (آذار) عام ١٩٨٦م، حيث **تمت فيه مناقشة عدة قضايا أهمها:**

★ المصطلحات العلمية.

★ ألفاظ الحضارة.

★ لغة المسرح.

★ اللهجات العربية القديمة وصلتها باللهجات الحديثة.

★ تيسير تعليم اللغة العربية.

الجدير بالذكر أنه قد انضم أعضاء جدد إلى المجمع عرب ومستشرقون أمثال **الأديب الفرنسي جاك بيرك**.

كتب جديدة

● **«مدينة الموت الجميل»، مجموعة قصصية** للقاص **سعيد الكفراوي**، صدرت عن **دار كتب خانة للنشر والتوزيع**.

● **«الإمبراطور الرهيب ـ نيرون»**، تأليف **أرنست ماسون**، ترجمة **جمال السيد**، صدر في **القاهرة**.

● **«النقد السينمائي»**، تأليف **الدكتور علي شلش**، صدر في طبعة جديدة ضمن سلسلة **«المكتبة الثقافية»**، التي تصدر عن **هيئة الكتّاب**.

● **«الريح»، رواية** بقلم الروائي الفرنسي **كلود سيمون**، ترجمة **الدكتورة زينب عبد العزيز**، صدرت ضمن **روايات الهلال** في **القاهرة**.

الأردن

معرض للكتاب الأميركي بالأردن

أقيم في قاعة المعارض بالعاصمة الأردنية معرض للكتاب الأميركي، اشتمل على مجموعة كبيرة من الكتب التي تركز على دراسة التاريخ الأميركي عبر القرون الماضية، والعلاقات الأميركية مع الشعوب الأخرى، بالإضافة إلى كتب أخرى لها علاقة بالسياسة والحياة الثقافية والاجتماعية والعلمية.

كتب جديدة

● **«المقاومة الوطنية اللبنانية والاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان»**، بقلم **فيصل جلول**، صدر عن **دار الكرمل للنشر في عمّان**.

● **«الشيخ كنعان»، مجموعة قصص للأطفال**، بقلم **منيرة قهوجي**، صدرت عن **دار الكرمل بعمّان**.

● **«وتبق المدينة»، مجموعة شعرية** للشاعر **حمد معرموش**، صدرت عن **مطبعة الأمان بعمّان**.

● **«أصابع ضالعة في الانتشار»، ديوان شعر** للشاعر **أحمد الخطيب**، صدر في **عمّان**.

● **«الجزء الثالث من فهرست المخطوطات العربية المصورة»**، صدر عن **مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية**.

الإمارات العربية

أمسية شعرية

نظم المجمع الثقافي في (أبو ظبي)، أمسية شعرية خلال شهر رجب، أحياها كل من الشعراء: **حبيب الصائغ، والدكتور الزين عباس عمارة، وحسن حيدر، ونبيل أبو زرقتين**.

وحضرها عدد من المهتمين.

معرض الكتاب

نظم مسرح صقر الرشود برأس الخيمة المعرض الأول للكتاب، وذلك ضمن الموسم

الثقافي الذي يتبعه سنوياً، وذلك بأن عرض فيه أكثر من عشرين ألف كتاب بمشاركة عدة مكتبات خاصة ودور نشر محلية.

كتب جديدة

● «تاريخ الإمارات الطبيعي»، تأليف **الدكتور علي الغنيمي**، صدر عن **جامعة الإمارات**.

السودان

كتب جديدة

● **«الأسد والبقرات الثلاث»، قصة** بقلم **عبد الله عبد الوهاب**، صدرت في **الخرطوم**.

● **«جواب مسجل للبلد»، ديوان شعر للشاعر هاشم صديق**، صدر في **الخرطوم**.

البحرين

الشرقاوي رئيساً لأدباء البحرين

انتخبت الجمعية العمومية **لأسرة الأدباء والكتّاب في البحرين**، في اجتماعها السنوي الأخير، الذي ناقشت فيه عدة موضوعات مختلفة لها علاقة بالأدب والأدباء في البحرين، انتخبت **السيد علي الشرقاوي رئيساً لها، والسيد أحمد مدن أميناً للسر**، وستة أعضاء آخرين في المجلس.

كتب جديدة

صدرت الكتب التالية عن المكتبة الوطنية بالبحرين بالتعاون مع **دار الفارابي ببيروت:**

محاضرات

● «مفتريات المستشرقين وقراءات القرآن الكريم»، محاضرة ألقاها الدكتور عبد الفتاح شلبي بنادي مكة المكرمة الأدبي.

● «الثروات المعدنية في المملكة العربية السعودية»، محاضرة ألقاها معالي الدكتور محمد عبده يماني بنادي مكة المكرمة الثقافي.

● «الفن بين الإباحة والتحريم»، محاضرة ألقاها مصطفى عبده بالمعهد العالي للموسيقى والمسرح السوداني.

● «الآثار العربية الإسلامية في إسبانيا»، محاضرة ألقاها الدكتور جارثي جيز بمدينة وهران الجزائرية.

● «التراث ـ بنك المعطيات الثقافية في تونس»، محاضرة ألقاها الدكتور رضا تليلي بالجزائر العاصمة.

● «التزوير والتدوين في كتب التنزيل»، محاضرة ألقاها الدكتور أحمد طه إبراهيم بمعهد العلوم الإسلامية بجامعة الجزائر.

● «الاستراتيجية السياسية لأواخر الثمانينات»، محاضرة ألقاها المستشار الألماني السابق هيلموت شميت بجامعة قطر.

● «السياسات الدولية والشرق الأوسط»، محاضرة ألقاها الدكتور كارل براون بالقنصلية الأميركية بالظهران.

● «مضار التدخين»، محاضرة ألقاها نصر معروف بسراة عبيدة في منطقة عسير بالمملكة العربية السعودية.

● «نظرة الغرب إلى الإسلام»، محاضرة ألقاها الدكتور مانع حماد الجهني بكلية الهندسة ـ جامعة الملك سعود بالرياض.

● «الصلاة وأهميتها في الإسلام»، محاضرة ألقاها الشيخ عبد الله بن صالح القصير بمركز الدعوة والإرشاد بالرياض.

● «الأدب الشفهي ـ النظرية والمفهوم»، محاضرة ألقاها الدكتور سعد الصويان بنادي جدة الأدبي.

● «دور الإنفاق في الاقتصاد السعودي»، محاضرة ألقاها وزير المالية محمد أبا الخيل بجامعة البترول والمعادن بالظهران.

● «الاتجاهات الفكرية المعاصرة»، محاضرة ألقاها الأستاذ محمد قطب بجامعة الملك سعود بالرياض.

● «حول قراءة التراث»، محاضرة ألقاها الناقد محمد العلي بنادي جدة الأدبي.

● «الإعلام بين الحرية والمصلحة»، محاضرة ألقاها فائق فهيم بكلية العلوم بالرياض.

● «من تفرد الرؤية إلى إشكالية التعبير»، محاضرة ألقاها سعيد مصلح السريحي بنادي الرياض الأدبي.

● «تجربة المسرح الكويتي»، محاضرة ألقاها عبد العزيز السريع بالرياض.

● «أمراض الكلى»، محاضرة ألقاها الدكتور حسن أبو عائشة بكلية طب جامعة الملك سعود بالرياض.

★ «فيروز»، قصة، تأليف عبد القادر عقيل.

★ «دفء لا وصف له»، قصة، تأليف نعيم عاشور.

★ «يوم قائظ»، قصة، تأليف عبد الله خليفة.

تونس

مؤتمر الدراسات العثمانية

عقد في مدينة الحمامات بتونس، المؤتمر العالمي الثاني للدراسات العثمانية حول «الحياة الاجتماعية العربية في العهد العثماني»، تحت إشراف وتنظيم مركز الدراسات والبحوث، وبحضور مائة مؤرخ وباحث متخصص، من مختلف أنحاء العالم، منهم أربعون باحثاً من الوطن العربي.

استمر المؤتمر أسبوعاً من شهر رجب عام ١٤٠٦ هـ، ونوقشت فيه عدة موضوعات لها صلة بالحياة الاجتماعية في الولايات العربية إبَّان الحكم العثماني.

قطر

كتب جديدة

● «القصص الشعبي في قطر»، تأليف الدكتور محمد طالب الدويك، صدر عن مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي بقطر.

المغرب

كتب جديدة

● «الروض المريع في صناعة البديع»، تأليف ابن البناء المراكشي المعروف (بالعدوي)، تحقيق رضوان بن شفرون، صدر في الرباط.

● «إشراقات»، ديوان شعر جديد للشاعر عز الدين الإدريسي، صدر في الرباط.

● «قال الراوي»، مجموعة قصصية للقاص أحمد زياد، صدرت في الرباط.

● «الحبيب إلى الله»، تأليف محمد الأشهب، صدر في الرباط.

لبنان

كتب جديدة

● «حداثة السؤال»، مقالات نقدية، بقلم الشاعر المغربي محمد بنيس، صدر عن دار التنوير ببيروت.

● «الخطاب النقدي عند طه حسين»، تأليف الدكتور أحمد أبو حسن، صدر عن دار التنوير ببيروت.

● «محاضرات في الألسنية العامة»، تأليف فرديناند دي سوسير، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر، صدر عن دار نعمان للثقافة ببيروت.

● «قصص من أميركا اللاتينية»، مجموعة قصص قصيرة لغارسيا ماركيز وآخرون، ترجمها عن الإسبانية الشاعر عيسى مخلوف، صدرت عن مؤسسة الأبحاث العربية ببيروت.

● «العابر الهائل بنعال من ريح»، ترجمة شربل داغر، صدر عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ببيروت.

● «كلمات في الجرح»، مجموعة شعرية للشاعرة شهلا خليل الكيالي، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت.

الباكستان

مسابقة عن السيرة

سيكون يوم الأحد القادم من هذا الشهر (شعبان)، الموافق ٢٠ من شهر أبريل (نيسان)، هو آخر موعد لوصول الكتب التي سيشارك بها أصحابها في مسابقة أعدتها وزارة الشؤون الدينية الباكستانية حول «أفضل كتاب ألِّف عن السيرة النبوية خلال الفترة الواقعة بين أول ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٨٤ م، وآخر نوفبر (تشرين الثاني) عام ١٩٨٥ م»، حيث ستقدم سبع جوائز مالية تقدَّر قيمة كل منها بخمسة آلاف دولار، سيتم تقديمها للكتاب الفائز بأية لغة من اللغات.

وقد وضعت الوزارة عدة شروط للمسابقة منها:

★ الالتزام بالموضوعية في التأليف.

★ أن يكون المؤلف على قيد الحياة.

★ ألا يقل عدد الصفحات عن مائتي صفحة.

★ أن ترسل عشرة من الكتب المراد المشاركة بها إلى الوزارة في الموعد المحدد.

أسبانيا

دار نشر جديدة

أنشئت في العاصمة الإسبانية (مدريد) دار نشر متخصصة في الثقافة والحضارة العربيتين، تحت إشراف المعهد الإسباني العربي بالعاصمة.

اسم الدار «دار نشر كانتارابيا»، وتضم ثلاث مجموعات:

★ «استوديوس»، (دراسات)، وتعنى بالجوانب الرئيسة للثقافة العربية.

★ «ميل اي أون تكستوس»، (ألف

نص ونص)، وتعنى بالإبداع الأدبي.

★ «دوكومنتوس»، (وثائق)، وتعنى بطباعة الموضوعات المتعلقة بالسياسة، وأحداث الساعة في العالم العربي.

أمريكا :

أعضاء في أكاديمية الفنون

انضم إلى مجلس الأكاديمية الأمريكية للفنون ومعهد الفنون والآداب أعضاء جدد منهم: الصحفي الأمريكي إرث باشرولد، والروائي سام سيبارد.. ضمن أعضاء الأكاديمية والمعهد الذين يبلغ عددهم (٢٥٠) عضواً.

وفاة أوكيف

توفيت في نيويورك الرسامة الأمريكية «جورجي أوكيف» عن (٩٨) عاماً، حيث كانت من مواليد عام ١٨٨٨م.

تعتبر «**أوكيف**» رائدة الاتجاه الجديد في الرسم بالولايات المتحدة الأمريكية، كما تعتبر من أعمدة فن الرسم، مما جعلها تعدُّ من معالم أمريكا خلال القرن العشرين الميلادي.

أول شاعر رسمي

تمّ لأول مرة في تاريخ أمريكا، انتخاب الشاعر والكاتب الأمريكي المعاصر «روبرت بن وارين» (٨٠) عاماً، ليكون **أول شاعر رسمي للولايات المتحدة الأمريكية.**

وكان منصب الشاعر الرسمي للولايات المتحدة قد تأسس خلال العام الماضي ١٩٨٥م، فقط، وقد تم انتخاب (وارين) لأشعاره الوطنية الرقيقة والرفيعة تجاه بلاده.

وقد حصل الشاعر (وارين) على **جائزة البولتزر في الأدب** مرتين ومرة في الشعر،



رسائل جامعية



●● «**الرومانسية عند بعض الشعراء السعوديين**»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت **بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة**، تقدمت بها السيدة **شفاء عبد الله زيني عقيل**.

●● «**الصدق الفني في الشعر**»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت **بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر**، تقدم بها السيد **أحمد عبد المنعم العسيلي**.

●● «**تحقيق ودراسة النصف الأول من كتاب اختلاف الفقهاء للمروزي**»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت **بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة**، تقدم بها السيد **محمد طاهر الحكيم غلام الرسول**.

●● «**دراسة حركية تفاعل أكسدة الأثيلين في مفاعل بيرتي باستخدام الفضة كعامل مساعد**»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت **بجامعة البترول والمعادن بالظهران**، تقدم بها السيد **محمد سعود الأحمدي**.

●● «**دور اليهود في إفساد العقيدة الإلهية والآثار التي ترتبت على ذلك**»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت **بجامعة أم القرى بمكة المكرمة**، تقدم بها السيد **حسن محمد إبراهيم**.

●● «**دراسة وتحقيق كتاب بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد**»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت **بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض**، تقدم بها السيد **موسى بن سليمان الدويش**.

●● «**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية ١٣٤٩ ـ ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣١ ـ ١٩٣٩م**»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت **في كلية الآداب الإنسانية ـ قسم التاريخ بجامعة الملك عبد العزيز بجدة**، تقدم بها السيد **مازن صلاح مطبقاني**.

●● «**الفوائد المحصورة في شرح المقصورة**»، تأليف **ابن هشام اللخمي السبتي**، موضوع رسالة **لنيل دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الرباط**، قام بإعدادها وتحقيق الكتاب السيد **الحاج خلف محمد**.

●● «**تحقيق ديوان أبي عبد الله محمد بن إدريس العمراني**»، موضوع رسالة **لنيل دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط**، تقدم بها السيد **شهيد التهامي**.

●● «**حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨م**»، موضوع رسالة **لنيل دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط**، تقدم بها السيد **الخديمي علال**.

●● «**الأدب المغربي المعاصر**»، موضوع رسالة **لنيل دبلوم الدراسات العليا من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس**، تقدم بها السيد **أحمد الحلو**.

●● «**إعادة هيكلة القطاع الفلاحي الدولي**»، موضوع **رسالة ماجستير** نوقشت **في معهد العلوم الاقتصادية التابع لجامعة الجزائر**، تقدم بها السيد **جنان عبد المجيد**.






★ عبد الرحمن الأبنودي ★ ★ ألبير كامي ★

وأصدر ديواناً من الشعر خلال العام الماضي، تناول فيه بحث الإنسان عن جذوره، وميله للمعرفة، وحب الخير للبشرية جمعاء.

وابتداء من شهر سبتمبر (أيلول) القادم، سيشغل (وارين) هذا المنصب الجديد الذي يصل مرتبه المادي حوالي (٣٦) ألف دولار سنوياً، إضافة إلى المركز المعنوي الذي سوف يسجل اسم هذا الشاعر في التاريخ الأمريكي.

أحدث الكتب

● «الرسم بالكمبيوترات»، تأليف مارك ويلسون، صدر عن شركة «بوتنام للطباعة».

● «أعمال الإنسان ـ دراسة تحليلية لأشهر الأعمال الهندسية التي أنجزها الإنسان»، تأليف رونالد كلارك، صدر عن شركة فايكينج للنشر.

● «الطائرة»، بقلم جون برادلي، صدر عن شركة «فايكينج للنشر».

فرنسا

قصائد عامية إلى الفرنسية

قام المستشرق الفرنسي جان كلود بترجمة مختارات من قصائد **الشاعر العامي المصري عبد الرحمن الأبنودي** انتقاها من دواوينه: (الزحمة، الفصول، الأرض والعيال، صمت الجرس).

والمعروف أن الطاهر بن جلون سبق أن ترجم للشاعر الأبنودي كتاباً إلى الفرنسية منذ خمس سنوات حول «سيرة بني هلال».

معرض لفنان معاصر

أقيم في كلية الفنون الجميلة بباريس، معرض للفنان الفرنسي المعاصر تويور، وذلك تحت عنوان «امرأة والغراب»، عرضت فيه لوحات فنية تمثل مختلف اتجاهات الرسم، ويستمر المعرض حتى منتصف شهر أبريل (نيسان) عام ١٩٨٦م.

أحدث الكتب

● «الرنيس»، رواية، بقلم جان راسباي، صدرت في باريس.

● «غضب البحر»، رواية للكاتب التركي بشار كمال، صدرت مترجمة إلى الفرنسية عن دار غاليمار في باريس.

● «الرباط الأول»، رواية، بقلم الكاتبة نيكول أفريل، صدرت في باريس.

اليونان

وفاة كاتب يوناني

توفي (بانديس بريفيلاكيس) الكاتب والفيلسوف والباحث اليوناني عن عمر يناهز السابعة و... ين عاماً، إثر أزمة قلبية مفاجئة.

كان بانديس من أصدقاء **ألبير كامي، ونيكوس كازانزاكيس** صاحب ... «زوربا اليوناني»، وقد غطّى هذا الأديب مكاناً كبيراً في الأدب اليوناني الحديث، سواء كناقد فني، أو كباحث، وكاتب مسرحيات، وقصص قصيرة.

ترجمت معظم أعماله إلى عدة لغات، وكانت من الكثرة بمكان حصل بواسطتها على أعلى الأوسمة الأدبية اليونانية.

بريطانيا

جائزة دولية جديدة

أنشأت دائرة المعارف البريطانية جائزة دولية جديدة، تمنح لأول مرة تحت شعار «تبادل المعرفة في العالم»، وأول من حصل عليها ـ في العام الحالي، عالم الفلك البريطاني «**ملكولم بولجير**» الذي يعمل مديراً للمرصد الملكي بها، وعالم الطبيعة الكندي **جون ويلسون**، والأستاذ الأسترالي **دام ليوني كريمر** لجهوده في مجال التعليم.

أحدث الكتب

● **«قبيلة كريندورف»، عمل روائي، بقلم فرانك باركن، صدر في الأسواق البريطانية**

● **«مغامرات في الأمازون»، تأليف ميرخي، صدر في لندن.**

يوغوسلافيا

ترجمة قصص كويتية

ضمن الاهتمام العالمي بالقصص العربية المميزة، فقد ترجمت المجموعة القصصية الموسومة «في الداخل عالم آخر» للقاصة الكويتية (ليلى العثمان) إلى اللغة اليوغوسلافية، لتلحق بقصص عربية أخرى ترجمت إلى هذه اللغة وإلى لغات أخرى كالروسية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية.

جيفوين وجائزة أدبية

حصل الأديب اليوغوسلافي (جيفوين بافلوفيش) على **جائزة مجلة (نين) الأدبية** لعام ١٩٨٥م، وذلك عن روايته «جدار الموت»، **وتعدّ هذه الجائزة من الجوائز الأدبية الرفيعة في يوغوسلافيا** التي يرشح لها أدباء من كبار الكتّاب أمثال جيفوين البالغ من العمر (٥٣) سنة.

الاحتفال بمرور ١٦٠ عاماً

احتفلت دار النشر اليوغوسلافية



★ ليلى العثمان ★

«ماتيتسا صريسكا» ، بمرور مائة وستين عاماً على إنشائها .

وتعدُّ هذه الدار من أعرق دور النشر في البلاد اليوغوسلافية ، فعن طريقها نشرت الكتب المتعددة والشاملة لمختلف القضايا والفنون والآداب .

●● أحدث الكتب ●●

● «بالنظر إلى أسفل ، إلى الطرق» ، رواية ، بقلم ميهايلو لالتيش ، صدرت في بلغراد .

● «الأعمال الكاملة للشاعر ماركو ريستينش ١٩٠٢ ـ ١٩٨٤ م» ، صدرت في عشرة مجلدات ببلغراد .

روسيا

●● أحدث الكتب ●●

● «قبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين» ، تأليف ابن فضل الله العمري شهاب الدين أبي العباس ، تحقيق المستشرقة الروسية (دوروثيا كرافولسكي) ، صدر في موسكو .

الصين

●● مهرجان للدراما ●●

يقام خلال شهر أبريل (نيسان) عام ١٩٨٦ م ، أول مهرجان للدراما في الصين في مدينة **شنغهاي** ، حيث تقدم فيه عدة أعمال صينية وأجنبية تم تكييفها إلى أوبرات صينية تقليدية مثل بعض روايات **شكسبير** ، كرواية الليلة الثانية عشرة ، ومكبث ، وجعجعة بلا طحن .

★ ★ ★



أخبار الغد

البحرين

●● مسابقة في البحث الاجتماعي ●●

بهدف دعم حركة البحث العلمي حول واقع واحتياجات الحياة الجديدة في المجتمع العربي الخليجي ، وتشجيع المهتمين والمشتغلين في الحقل الاجتماعي على الإسهام في دراسة القضايا والمشكلات الاجتماعية في هذه المنطقة ، فقد **أعلن مكتب المتابعة لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية** ، الذي يتخذ من (**المنامة**) مقراً له عن **مسابقته الثانية في البحث الاجتماعي** ، وذلك على مستوى دول الخليج العربية ، ضمن إطار الاحتفال بالأسبوع العربي الخليجي الثاني للعمل الاجتماعي ، والمقرر تنظيمه في دولة البحرين خلال النصف الأول من عام ١٩٨٧ م .

ولهذه المسابقة عدة شروط منها :

★ أن يعالج البحث إحدى القضايا أو الظواهر الاجتماعية السائدة في المجتمع الخليجي ، وذلك على المستوى الكلي أو المحلي .

★ أن تتوفر في البحث الشروط العلمية المرعية .

★ أن يكون البحث جديداً ، ولم يسبق أن قدم لأية جهة كانت ، أو فاز بأية جائزة .

★ ألا يكون قد قدم لنيل درجة علمية أو أكاديمية .

★ ألا تقل عدد صفحاته عن خمسين صفحة فولسكاب ، ولا تزيد على مائة صفحة .

★ على أن يرسل البحث مطبوعاً إلى قسم الشؤون الاجتماعية ـ مكتب المتابعة لمجلس وزراء العمل والشؤون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية ، ص . ب ٢٦٣٠٣ ـ المنامة .

المعروف أن هناك جوائز للفائزين الثلاثة الأوائل ، وأن **آخر موعد لتقديم البحوث ، هو اليوم الثالث والعشرين من شهر رمضان القادم** ، الموافق ٣١ من شهر مايو (أيار) عام ١٩٨٦ م .

أسبانيا

●● الاحتفال بمسجد قرطبة ●●

سيتم في إسبانيا الاحتفال بالذكرى (١٢٠٠) سنة على بناء مسجد قرطبة الإسلامي .

يشارك في تنظيم الاحتفال حكومة الأندلس المحلية ، والمجلس الإقليمي في محافظة قرطبة ، وبلدية قرطبة ، والكنيسة الكاثوليكية ، وجامعة قرطبة .

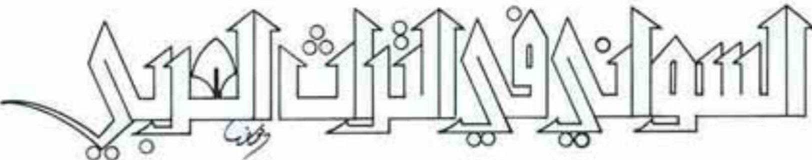
وسيكون العاهل الإسباني خوان كارلوس هو رئيس الشرف في الاحتفالات .

الجدير بالذكر أن هذا الاحتفال كان من المفروض أن يقام في شهر يناير (كانون الثاني) من العام الفائت ، وتم تأجيله بسبب الخلاف الذي وقع بين بلدية قرطبة ، وبين الكنيسة الكاثوليكية ، وبعد أن تقاربت وجهات النظر تقرر إقامته .

★ ★



بمناسبة المهرجان الوطني الثاني للتراث والثقافة بالرياض :



● في اللغة :

★ **السواني** : جمع السَّانية : وهي الناضحة . وهي الناقة التي يُسْتَقى عليها . يقال : سَنَت الناقة تَسْنُو إذا سقت الأرض . والسانية : بالهاء تقع على الجمل والناقة .

★ **السَّاني** : المسْتَقي أي الذي يقوم على أمر السانية فيستقي عليها ليروي زرعه أو ماشيته . وجمع السَّاني : السُّناة : قال **لبيد بن ربيعة** :

كأن دموعه غَرْبا سُناة ... يحيلون السِّجال على السِّجال

فالسُّناة هم الرجال الذين يَسْقُون بالسواني ، ويقبلون بالغروب [الدلاء] فيحيلونها أي يَدْفَقُون ماءها في الجداول .

● في الحديث الشريف :

ورد اسم السانية في حديث رسول الله ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : «ما سُقِي بالسواني ففيه نصف العُشر» .

● في المثل السائر : سير السواني سَفَرٌ لا ينقطع .

● في الشعر : قول **زهير بن أبي سلمى** وهو من أقدم ما قيل في السواني ، ومن أجوده معنى .

فزهير لم يكتف بوصف السانية ، وإنما عَمَد إلى رسم لوحة فنية رائعة ، وفَّر لها الحيوية والحركة والجلبة ، وهي أمور يشعر بها كل من يقف مشاهداً حركة السواني في مهرجان التراث بالجنادرية ، وجلبتها فضلاً عن حيويتها .. فاسمع إليه إذ يقول :

١ ـ كأنَّ عينيَّ في غَرْبَيْ مُقَتَّلَةٍ ... من النواضح تسقي جَنَّةً سُحُقا

٢ ـ تمطو الرِّشاء فتجري في ثنايتها ... من المحالة ثَقْباً رائداً قلقا

٣ ـ لها متاعٌ وأعوانٌ غَدَوْنَ به ... قِتْبٌ وغَرْبٌ إذا ما أُفْرِغ انسحقا

٤ ـ وخلفها سائق يحدو إذا خَشِيَتْ ... منه اللَّحاق تَمُدُّ الصُّلْبَ والعُنُقا

٥ ـ وقابل يتغَنَّى كلما قَدَرَتْ ... على العراقي يداه قائماً دَفَقا

٦ ـ يحيل في جدولٍ تحبو ضفادعه ... حبو الجواري ترى في مائه نُطُقا

٧ ـ يخرجن من شربات ماؤها طَحِلٌ ... على الجذوع يَخَفْنَ الغَمَّ والغَرَقا

● أجزاء السانية :

★ **الغَرْبُ** : الدلو العظيمة .

★ **المقتلة** : الناقة المذللة .

★ **النواضح** : السواني وهي النوق التي يستقى عليها .

★ **الرشاء** : حبل الدلو .

★ **الثناية** : الحبل يوثق طرفه بقتب الناقة ، والآخر بالدلو .

★ **المحالة** : البكرة التي يجري عليها الحبل .

★ **متاع السانية** : أدواتها من الدلاء والحبال وغير ذلك .

★ **الأعوان** : العمال الذين يهيئون لها سبل العمل .

★ **القتب** : رَحْل صغير يُشَدُّ على سنام الناقة .

★ **القابل** : الذي يقف في أعلى البئر ليتلقَّى الدلو بعد امتلائها ، ومن ثَمَّ يحيلها إلى الجدول . وهو إنما يقطع ملل ورتابة هذا العمل بالغناء .

★ **العراقي** : خشبتان متعارضتان مثبتتان على الدلو ليربط بها طرف الحبل . (طالع صورتين للسواني باطني غلافي هذا العدد) .

د. حسن أبو ياسين

من كتاب هذا العدد




د. رمضان الصباغ

★ من مواليد الشرقية ــ مصر عام ١٩٥١ م.

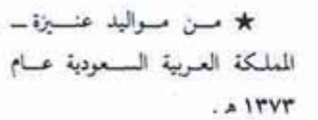
★ دكتوراه في الفلسفة.

★ عمل في حقل التدريس.

★ يعمل حالياً مدرساً لفلسفة القيم.

★ له مجموعة من القصائد الشعرية، وعدد من الأبحاث نشرت في المجلات العربية.

★ له مشاركاته في الندوات والمؤتمرات الثقافية.



د. عبد العزيز إبراهيم السويل

★ من مواليد عنيزة ــ المملكة العربية السعودية عام ١٣٧٣ هـ.

★ دكتوراه في علم اللغويات واللهجات.

★ يجيد الإنجليزية.

★ عمل مدرساً في المدارس الثانوية.

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً بكلية الآداب بقسم اللغة الإنجليزية بجامعة الملك سعود بالرياض.

★ شارك في عدد من المؤتمرات اللغوية، وعلم اللغة الاجتماعي.

★ له عدد من الأبحاث في الدوريات المتخصصة، وبعض المقالات المنشورة في المجلات العربية.

د. مصطفى عليان عبد الرحيم

★ من مواليد «صرفند العمار» ــ فلسطين عام ١٩٤٧ م.

★ دكتوراه في الأدب والنقد.

★ عمل مدرساً، ثم محاضراً غير متفرغ، فمشرفاً تربوياً.

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً في كلية اللغة العربية ــ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

★ له عدد من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة تأليفاً وتحقيقاً.

د. جادة. إبراهيم إسماعيل

★ من مواليد القاهرة ــ مصر عام ١٩٣٨ م.

★ دكتوراه الدولة في الآداب والعلوم الإنسانية، السوربون ــ باريس.

★ يجيد الفرنسية، والإيطالية، والإنجليزية، والإسبانية.

★ عمل رئيساً لقسم اللغات بكليتي آداب ــ جامعتي المنصورة وطنطا، وأستاذ قائم بالمعهد الجامعي الشرقي بنابولي في إيطاليا.

★ يعمل حالياً أستاذاً مشاركاً، ورئيساً لقسم الدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

★ شارك في عدد من الندوات والمحاضرات.

★ له مجموعة من الأبحاث والدراسات، نشرت بالعربية والفرنسية والإيطالية.

عبد الرحمن العبد الله العبد الكريم

★ من مواليد شقراء ــ المملكة العربية السعودية عام ١٣٥٣ هـ.

★ الثانوية العامة.

★ عمل مدرساً، ثم مساعد مدير مدرسة، ثم مشرفاً على التعليم في حائل، فمسؤولا إدارياً، ثم مديراً لشؤون الموظفين بجامعة الملك سعود بالرياض، ثم تنقل في عدة



وظائف بديوان رئاسة مجلس الوزراء.

★ يعمل حالياً مستشاراً بديوان رئاسة مجلس الوزراء.

★ له مجموعة من القصائد الشعرية المخطوطة.



●● «مدينة المائة باب» .. إنها متحف بلا جدران، فحيث سرت وجدت أمامك أثراً من الآثار: معابد ومقابر، مسلات وألواحاً، تماثيل ونقوشاً، أحجاراً وصخوراً. طالع ص (٤).



●● إن المهتمين بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي الإسلامي في العصر الوسيط قليلون، سواء في الجامعات العربية، أو الأجنبية، ويرجع ذلك إلى أسباب، منها ندرة المصادر والمعلومات. طالع ص (٣٥).



●● هذا المؤلف ينتقد كل من تناول تاريخ الأرض ومن عليها .. فكلهم جعل الإنسان مركز الكون، وهذا مصدر الخطأ الفكري، أما الغرب فهو مكن الأرض، وغلافها، ورياحه، هي الجديرة بذلك. طالع ص (٦٧).

كاريكاتير ٣

الأقصر .. أو مدينة المائة باب (مدينة وتاريخ) .... جلال المشري ٤

الشرق .. في عيون الغرب ١٤

المتحف الوطني للأنثوغرافيا (الباردو) .. في الجزائر (من متاحف العالم) ١٥

من ديوان الشعر السعودي (يا حلوة الوصل) .... إبراهيم أمين فودة ١٩

و .. للحديث شجون .... عبد العزيز الرفاعي ٢٠

تدريس الحضارة العربية الإسلامية للراشدين من غير العرب .... د. حمادة إبراهيم محمد إسماعيل ٢٢

أين الألفبائية الصوتية العربية؟ .... د. عبد العزيز السويل ٢٦

دور المستشرقين في إبراز جوانب الإبداع في الفكر الجغرافي العربي .... د. سعيد حسين علي ٢٨

وأنت تقرأ .... د. علي جواد الطاهر ٣٠

الحبيب الجنحاني (لقاء مع) .... محمد الصادق عبد اللطيف ٣٥

الفلسفة التربوية الخلدونية .... د. فرغلي جاد أحمد ٣٩

بيتها (قصيدة) .... زكي قنصل ٤٤

بدايات (المصباح الغازي) ٤٥

من المكتبة السعودية ٤٦

ابن حزم .. والنحو الظاهري .... د. مصطفى عليان ٥١

صداح (قصيدة) .... عبد الرحمن العبد الكريم ٥٤

كلود سيمون .. يفوز بجائزة نوبل للأدب .... رضا الطيب الكشو ٥٥

الأدب الألماني الحديث .. ولعبة الصراع بين الأجيال .... محمود قاسم ٥٩

باقة من شاعرات اليونان .... د. نعيم عطية ٦٣

الظاهرة الإنسانية (رحلة في كتاب) ...

تأليف: بيير تيارد دي شاردان .... عرض وتقديم: جمال بدران ٦٧

الطبيب العربي (علي بن رضوان)

(مطالعات في الكتب) ... تأليف: د. سلمان قطاية .... عرض وتقديم: رمضان الصباغ ٧٢

عملية الزرع التاريخية التي شغلت العالم (موضوع خاص) .... عبد الرحمن حريتاني ٧٥

إيقاع الحياة (كيف تتشكل شقوق الوحل الجميلة) ٨٣

اكتشافات علمية ٨٤

الربيع (لوحة وفنان) .... كلير شوفولو ٨٦

الخادم الآلي .. وعالم المستقبل .... د. سعد الحاج بكري ٨٨

أنسولين إنساني صناعي لمرضى السكر .... د. محيي الدين لبنية ٩٢

الجيوبوليتيكا الألمانية وسياسة هتلر النازية .... أحمد البرصان ٩٥

الكمبيوتر في مجال علم النفس .... د. ماهر محمود الهواري ٩٩

لماذا كانت مدرسة الشعر الحر .... د. أحمد التهامي أحمد ١٠٣

أوجه الشبه بين نظريتي التشريط البافلوفي وأبقراط في الأمزجة .... د. محمد مصطفى زيدان ١٠٦

المؤتمر الخامس للتعريب .... د. يحيى عبد الرؤوف جبر ١٠٨

السيرك .. للكبار والصغار .... د. نبيل راغب ١١١

أخيراً (قصة قصيرة) .... حسن نور ١١٥

لحم بلا رائحة (قصة قصيرة) .... جمعة محمد جمعة ١٢٠

الرهان القاتل (قصة قصيرة) .... محمد بركات عزيزة ١٢٢

مؤرخو العرب (دائرة المعارف) ١٢٣

الأمل المغلوب (قصيدة) .... إبراهيم سعيد أبو صيام ١٢٧

مناقشات وتعليقات ١٢٨

مسابقة مجلة الفيصل ١٣٠

أحداث عام ١٣٣

الحركة الثقافية في شهر ١٣٩

بمناسبة المهرجان الوطني الثاني للتراث والثقافة

بالرياض: السواني في التراث العربي ١٥٠

من كتّاب هذا العدد ١٥١

الآن.. بمراكز البيع
في جميع أنحاء المملكة..





الديوان الأول للأمير الشاعر
خالد الفيصل بن عبد العزيز
«دايم السيف»

* أكثر من مائة قصيدة مع
لوحات تشكيلية ملونة بريشة الشاعر
* طباعة أنيقة
– وتجليد فني فاخر

قصائد نبطية

لمزيد من المعلومات يرجى الاتصال بفروع الشركة على الهواتف التالية:

المنطقة الوسطى:
- الرياض: ٤٠٢١٠١٣ — ٤٠١٤٧٠٧
- الخـرج ٥٤٤٤٣٤٤
- الزلفي ٤٢٢٢٣٤٣
- بريدة ٣٢٣٤٠٨٣

المنطقة الغربية:
- مكة المكرمة ٥٤٥٢٣٨٦
- المدينة المنورة ٨٣٦١١٨٤
- جـدة ٦٧١١٩٢٢ — ٦٧١٦١٠١
- ينبع ٣٢٢٨٦٧٧
- الطائف ٧٣٢٧٧٨٨

المنطقة الشمالية:
- تبوك ٤٢٢٣١٢٠
- حائل ٥٣٢٣٢٣١
- القريات ٦٤٢٤٥١٢
- الجوف ٦٢٤٢٣٢٠
- عرعر ٦٦٢٠٤٤٠

المنطقة الجنوبية:
- ابهـا ٢٢٤٥٩٨٤
- جيزان ٣١٧٠٣٨١
- نجران ٥٢٢٣٨٣١
- الباحة ٧٢٥١٨٦٩

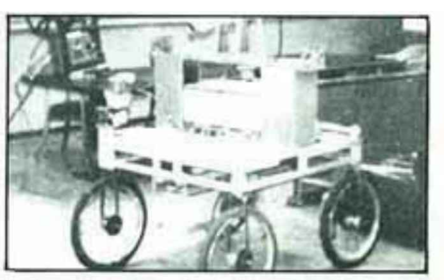
المنطقة الشرقية:
- الدمام ٨٢٦٦٨٥٦
- الهفوف ٥٨٧٢٩٧٠

امتياز التوزيع في المملكة:
توزيع
الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع
ص. ب/ ٦١٤٦٦ الرياض ١١٥٦٥ هاتف ٤٧٨٤٣٤٣/ ٤٧٨٤٦٤٦

●● في هذا العدد ●●



●● لماذا يتم استخدام قلب حيوان ليزرع في جسم إنسان؟ وهل لم يكن بإمكان الأطباء الذين أجروا عملية الزرع استخدام قلب إنسان بدلا من قلب الحيوان؟ وهل أخبر والدا الطفلة «فاي» بأن عملية الزرع محاولة تجريبية لطفلتهما. طالع ص (٧٥).



●● «الخادم الآلي.. وعالم المستقبل».. عنوان مقال يتناول أسطورة الإنسان الآلي وتطوراته واستخداماته، ويحتوي على مناقشة لأثره وخدماته، وعبوديته للإنسان نفسه. طالع ص (٨٨).



●● كان السيرك الأمريكي في القرن التاسع عشر الميلادي، يعتمد على أربعة عناصر: العرض الرياضي، العرض العجيب، عرض الأسود، عرض الغرب المجنون. والعرض الشامل لمهارات رعاة البقر. طالع ص (١١١).



ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE — تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 110 - 10TH YEAR - APR/MAY. 1986. — العدد (١١٠) شعبان ١٤٠٦هـ السنة العاشرة نيسان (أبريل) / أيار (مايو) ١٩٨٦م.

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief



All Correspondence To: — المراسلات:

AL-FAISAL MAGAZINE
P.O BOX 3
RIYADH 11411-Saudi Arabia
Tel: 4653026-4653027, TELEX 202600 DRFATH SJ

مجلة الفيصل ـ ص.ب (٣)
الرياض ١١٤١١، المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس: ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

البلد	السعر	البلد	السعر	البلد	السعر
المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج.ع.اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج.اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٤٠ قرشاً	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٥٠ قرشاً	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

EUROPE – AMERICA – ASIA

Country	Currency	Price	Country	Currency	Price	Country	Currency	Price
Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	12	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

■ أسعار الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعوديا

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S R 150 Others S R 250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

شركة الطباعة العربية السعودية ...

